أوشو
OSHO

الحدس

أبعد من أي حسّ

الطبعة الثامنة

إعداد: مريم نور

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

الحدس
(أبعد من أي حسّ)
«رؤية لحياة جديدة»
أوشو
إعداد: مريم نور
حصريًا لقناة د. حازم مسعود على تيليجرام

إِهْدَاءُ اَلنُّسْخَةِ اَلنَّصِّيَّةِ اَلْمُحَوَّلَةِ

إلى المكفوفين، المناضلين لأجل القراءة..
إلى عموم القرَّاء الشغوفين..

ببصيرتكم نستنير، وبشغفكم نسير.

نهديكم جميعًا هذا الكتاب، عسى أن يكون إضافة مفيدة لبنائكم الفكري والروحي، وأن تكونوا نبراسًا للعالمين.

ونسأل الله أن يتقبَّل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينتفع به العالمين من كل كفيفٍ وذوي الأبصار. وعسى أن تشملنا نواياكم الصالحة ودعواتكم الطَّيِّبَة، المُستجَابَة بإذنه سبحانه جلَّ عُلاه.

ونسأله أن يرزقنا جميعًا جنَّة الدنيا والآخرة، وأن يهدينا وايَّاكم سَوَاءَ السَّبِيلِ، صراطه المستقيم. فعسى ربّي أن يهدينا لأقرب من هذا رشدًا.

المُحمَّدين

مقدّمة:
أيّها الأحبة...

إن كلمة حَدْس أبعد من حدود الإحساس... وأبعد من حدود الأحرف... في الشرق، هنالك مذاهب تُعرف بالحدس أو بالحدسية... مذاهب تقول بأن ثمة حقائق أساسية تُعرف بالحدس، ومذاهب أخرى تقول بأن القِيَم والواجبات الأخلاقية يمكن إدراكها بالبداهة... ولقد قلت البداهة لا البلاهة ولا البلاغة...

المرأة تعرف الحب بالحدس ولكن الرجل يعرف الحب بالدسّ... المرأة لا تذهب إلى الحرب بل إلى قلب الرجل وإلى الجيب... ولكن الرجل يذهب إلى الحرب وإلى القمار والدمار والى اختراق السماء والفضاء. ولكن المرأة بدمعة وبابتسامة تنزع منه كل الصراعات ويمضي معها إلى آخر التفاهات ويمطرها بالشيكات بدون أي شكليّات...

المرأة تنتصر بالحب وبالعفوية وبالفطرة والرجل يخسر بالعقل وبالمال وبالمنطق، وكلنا في الهوى سوى...

هذا هو الحدس والحِسّ عند الرجل وعند المرأة... والبرهان في تصرّفات هذا الإنسان في هذا الزمان. الرجل يسأل عقله... إنه شمسي الذكاء والحدود والمرأة تسير مع القمر في الهلال وفي البدر... وكلنا نتأثر بموجات الكواكب والأجرام السماوية والجرائم الأرضية...

الرجل الذكي يتصرّف حسب المنطق والحدس الأنثوي، يعطي النتيجة بعفوية مطلقة دون أي مرجعية عقلية... قلبها على لسانها والرجل عقله في جيبه وفي الأعداد والمرأة هي عدّة بدون حق ومنطق...

لا شرح ولا تفسير بين المنطق عند الرجل والحب عند المرأة... كلّ النساء والأطفال والشعراء والفنانين أصحاب قلب وعفوية ولا نعرف الأسباب... تمامًا كما نرى البرق ونسمع الرعد ولا نعرف السبب كذلك الحب هو سبب وجود الحب...

إن الحدس أو الحسّ أو الفطرة أو البديهة كلمات تَرْمُز إلى حقيقة لا كلمة لها... إنها التوحيد بين كل المخلوقات وأبعد من حدود الازدواجية...

إن عفوية الأطفال وحب الإنسان وتسبيح كل الكائنات هي الحس الفطري الذي فطرنا عليه الخالق لنحيا به... ولكن اليوم لا حياة إلّا بالمنطق وبالعقل الذي يعد ويحاسب ويحكم ويحاكم ويحلل ويحرّم ويضرب ويحارب ولا وجود للحب أو للعفوية الّا عند نخبة من أهل الصفاء وأهل الذكر... لذلك قال الأنبياء: «موتوا قبل أن تموتوا وإن لم تعودوا كالأطفال لن تدخلوا ملكوت الله».

لقد دمّرنا الحدس وحاربنا الحسّ وحرّمنا العفوية وبهدلنا البديهة وأصبح إنسان اليوم بهيمة مهيمنٌ عليه حكمُ فرعون... حكم الدولار والبترول... وللتأكيد وللتذكير هذا الكتاب هو المفتاح المطلوب لفك حبل المغلوب منذ ألوف وملايين السنين.. انزل أيها القارىء من سلّم العذاب إلى

درج الحب والسلام... استفتِ قلبك ولو أفتوك... أنت صاحب القلب وصاحب القرار أو الفرار... أنت السفينة والقائد... أنت الخيّال وصاحب الخيل...
إقرأ هذا الكتاب... الكتاب مفتاح إلى القلب وثورة في الجيب وفي العقل... هذا هو المطلوب في حياة المغلوب والمصلوب... لنتحرّر من عقد عَقّدت حياتنا ما قبل آدم وحواء وورقة التين والتوت...
الحدس والحسّ والفطرة والبديهة هي الثروة المفقودة والموجودة... اقرأ هذا الكتاب بقلبك لا بفكرك... لا تعدّ الساعات أو الوقت أثناء القراءة... إنك تتذكر من أنت.. هذا الكتاب مرآتك الضائعة... هويتك التي وقعت في الهاوية منذ ولادتك الأولى حتى اليوم... اقرأ وستلد من جديد... بحدس وحسّ ومنطقٍ حقٍ لا ثمن له إلّا إذا عادت إليك جميع حواسك... وبالإحساس تحيا الأحاسيس... وستكون لغتك لغة الصمت... صمت الأحياء...
صمت الزهور لا صمت القبور.. الطبيعة لا تزال طبيعية إلّا أنت وأنا والحيوانات التي تعيش معنا.. الطبيعة الحيّة لا تزال تحيا بحسّها ونحن لا نزال نموت بجهلنا...
لنقرأ هذا الكتاب، والكاتب لم يكتب أي كتاب بل شاركنا بإحساسه وفطرته عبر كلمات نَبَعَتْ من قلبه لا من فكره أو عقله... إنّ أوشو أقرب إلى الصخر أكثر من هؤلاء البشر.. إنه لا يزال صامدًا حيًا عبر هذه الكلمات وفي حدس جميع الآيات..

شكرًا لكم
مريم نور

تمهيد

لا يمكن تفسير الحَدْس بطريقة علمية لأن الظاهرة بحد ذاتها غير علمية وغير عقلانية. لغويًا، لا بأس إذا طرحنا السؤال «هل يمكن تفسير الحدس؟» ولكن ما يعنيه هذا السؤال هو «هل يمكن اختزال الحدس بالفكر؟». والحدس هو شيء يتعدى الفكر، شيء آتٍ من مكان ما حيث الفكر في حالة عدم إدراك تامة. وهكذا فإن بإمكان الفكر أن يستشعر الحدس، ولكن ليس بإمكانه تفسيره.

يمكننا أن نُحسّ بقفزة الحدس بسبب وجود فجوة (فراغ). ويمكن للفكر أن يشعر بالحدس - كأن نلاحظ أن شيئًا ما قد حصل - ولكن لا يمكننا تفسير هذا الشيء، لأن التفسير يحتاج إلى سببية. والتفسير يعني الإجابة عن هذه الأسئلة: من أين يأتي هذا الشيء؟ لماذا يأتي وما هو السبب؟ هل يأتي من مكان آخر، وليس من الفكر بحد ذاته؟ - وهكذا لا يوجد تفسير منطقي للحدس.

الحدس هو عالم أحداث مختلف قائم بذاته ولا علاقة له بالفكر على الإطلاق، مع أن بإمكانه أن يخترق الفكر. ويجب علينا أن نفهم أن بإمكان الحقيقة الأسمى أن تخترق الحقيقة الدنيا، وليس العكس. وهكذا، بإمكان الحدس أن يخترق الفكر لأنه أسمى، وليس بإمكان الفكر أن يخترق الحدس لأنه أدنى.

وكما هي الحال من حيث أن عقلك يمكنه أن يخترق جسدك، وليس بإمكان جسدك أن يخترق عقلك، فإن الكينونة يمكنها أن تخترق العقل، ولكن ليس بإمكان العقل أن يخترق الكينونة. ولذلك فإذا كنت سائرًا نحو الكينونة، يجب عليك أن تفصل نفسك عن العقل والجسد، لعدم قدرتهما على اختراق ظاهرة أسمى.

عندما ترتقي إلى عالم أسمى، يجب عليك أن تتخلى عن العالم الأدنى إذ لا يوجد أي تفسير للعالم الأسمى في العالم الأدنى لأن تعابير التفسير بحد ذاتها غير موجودة هناك؛ وليس لها أي معنى. ولكن بإمكان الفكر أن يشعر بالفجوة، بإمكانه أن يعرف أن هناك فجوة. وسيتملكه إحساس بأن «شيئًا ما قد حصل ولكنه يتعدى معرفتي» وإذا كان بإمكانه أن يستشعر ذلك، فهذا يعني أن الفكر قد حقق الكثير.

ولكن بإمكان الفكر أن يرفض ما حصل. وهذا ما يُقصد بالقول إننا نتحلّى أو لا نتحلّى بالإيمان. فإذا كنت تشعر أن ما لا يمكن تفسيره بواسطة الفكر ليس له وجود، فأنت إذًا «غير مؤمن». وهكذا تتابع مسيرتك في عالم الفكر الأدنى، مُقيّدًا به. ومن ثم لن تسمح للحدس ولعالم الأسرار أن يتحدثا إليك.

هذا هو العقلاني الذي لا يرى أية ظاهرة من بُعد آخر. إذا دُرّبت على التفكير بطريقة منطقية، فأنت لن تسمح لنفسك بقبول الحقيقة الأسمى؛ سوف تنكرها وتقول، «هذا غير ممكن، لا بد أن تكون مخيلتي؛ لا بد أن يكون حلمًا. إذا لم أتمكن من أن أتحقق منها بطريقة منطقية، فلن أقبلها». وهكذا يصبح الفكر المنطقي منغلقًا، ضمن حدود التحليل، ولا يمكن للحدس أن يخترقه.

ولكن بإمكانك أن تستخدم الفكر من غير أن تكون منغلقًا. أي أنك تستطيع أن تستخدم العقل كأداة، وتبقى منفتح الفكر. وهكذا ستتقبل الحقيقة الأسمى؛ وعند حصول أي شيء ستكون منفتحًا. وإذ ذاك

يمكنك أن تستخدم فكرك كمساعد. وما يلاحظه هو أن «شيئًا ما قد حصل ولكنه يتعدى معرفتي». ولكن بإمكانه أن يساعدك على فهم هذه الفجوة.
فيما يتعدى ذلك، يمكن استخدام الفكر للتعبير وليس للتفسير. وعلى ذلك فإن أحد الحكماء لا «يفسر» أي شيء؛ إنه يُعبّر لا يُفسّر. والأوبانيشادات بمجملها تعتمد التعبير من دون أي تفسير. إنها تقول: «الأمر على هذا النحو، هكذا تسير الأمور، هذا ما يحصل. إذا أردت، أدخل. لا تبقَ في الخارج؛ لا يمكن إعطاء أية تفسيرات من الداخل إلى الخارج. هيا أدخل. وكن جزءًا من هذا الداخل».
حتى ولو أصبحت في الداخل، فلن تُفسَّر الأمور لك؛ ولكنك ستتمكن من معرفتها والشعور بها. ويمكن للفكر أن يحاول الفهم، ولكن المحاولة ستبوء بالفشل. إذ لا يمكن اختزال الأسمى بالأدنى.
إن الحدس ينتقل من دون أية وسيلة ـ لذلك فهو قفزة. هو قفزة من نقطة إلى نقطة أخرى من دون وجود صلة ربط بينهما. إذا أتيتُ إليك بخطىً متتالية، فهذا ليس بقفزة. أما إذا أتيتك فجأة ومن دون أن أخطو أية خطوة، فهذه قفزة. والقفزة الحقيقية أعمق من ذلك. إنها تعني أن شيئًا ما يوجد في نقطة (أ) وبعدها يصبح في نقطة (ب) ولا يوجد أي شيء بين النقطتين. وتلك هي قفزة حقيقية.
إن الحدس قفزة - وما هو بالشيء الذي يأتي إليك بخطوات متتالية. بل هو شيء يحصل لك - شيء يحصل لك من دون أي سبب أو أي مصدر. وهذا الحدث المفاجئ يعني الحدس. ولو لم يكن مفاجئًا، أو غير متصل على الإطلاق بما حصل في السابق، لكان بإمكان العقل أن يكتشف الممرّ. وذلك قد يتطلب بعض الوقت، ولكنه ممكن. ولكان بإمكان العقل أن يعرف، أن يفهم ويسيطر على ظاهرة الحدس، ومن ثم يأتي يوم يمكن فيه تطوير آلة تشبه الراديو أو التلفزيون تستطيع أن تلتقط الحدس.
ولو أتانا الحدس عبر الأشعة أو الموجات الفضائية لكان بإمكاننا أن نصنع آلة لالتقاطها. ولكن لا يمكن لأي آلة أن تلتقط الحدس لأنه ليس بظاهرة تأتي عبر الأمواج. بل ليس الحدس بظاهرة على الإطلاق؛ وإنما هو قفزة من العدم إلى الوجود.
هذا بالضبط ما يعنيه الحدس ـ ولهذا السبب ينكره العقل. وهو ينكره لعدم مقدرته على التقائه. فالعقل يمكنه فقط التقاء الظاهرات التي يمكن تقسيمها إلى سبب ونتيجة.
وفقًا للعقل هناك عالمان للوجود، المعلوم والمجهول. ويُقصد بالمجهول، الشيء الذي لا نعلمه حتى الآن ولكن قد نعلمه يومًا ما في المستقبل. ولكن الصوفية تقول بوجود ثلاثة عوالم: المعلوم، والمجهول، وغير المدرك. ويقصد الصوفيون بغير المدرَك العالم الذي لا يمكن إدراكه على الإطلاق.
ويتمحور عمل الفكر في العالمين المعلوم والمجهول، وليس في العالم غير المدرك. أما الحدس فإنه يعمل في إطار غير المدرك، الذي لا يمكن إدراكه على الإطلاق. والظاهرات غير المدركة لا يمكن أن نتوقع إدراكها مع مرور الزمن لأن صفة غير المدرك هي صفة جوهرية وملازمة لها. والأمر لا يتعلق بدقة الآلات التي نستخدمها وتطور علم المنطق، أو كون الحسابات الإلكترونية التي نستخدمها ما زالت بدائية - ولكن ليس هذا هو السؤال. ذلك أن الصفة الجوهرية الملازمة للظاهرات غير المدركة هي عدم إمكانية إدراكها على الإطلاق؛ وستبقى كذلك إلى الأبد.
هذا هو عالم الحدس.

عندما نتمكن من إدراك شيء من العالم غير المدرك، فإنها قفزة - لا يوجد أي رابط، لا يوجد أي ممر، ليس هناك أي عبور من نقطة إلى نقطة أخرى. ويبدو الأمر غير قابل للتصديق، فعندما أقول يمكنك أن تشعر بها ولا يمكنك فهمها، عندما أقول شيئًا من هذا القبيل، أدرك تمامًا أنني أتفوّه بأشياء ليس لها أي معنى، وأقصد بذلك الأشياء التي لا يمكن فهمها بواسطة حواسنا. والعقل هو حاسة، هو الحاسة الأدق.

إن الحدس ممكن بسبب وجود غير المدرك. والعلم ينكر الوجود الإلهي لأنه يقول، «هناك تقسيم واحد: المعلوم والمجهول. إذا كان هناك إله سنكتشفه بواسطة الطرق الإختبارية؛ إذا كان موجودًا، سيكتشفه العلم».

من ناحية ثانية، يقول الصوفي: «مهما فعلت، سيبقى في أساس الوجود شيء غير مدرك - سرّ غامض». وإذا لم يكن الصوفيون على حق، أعتقد أن العلم سيدمّر معنى الحياة بأكمله. وإذا لم يكن هناك من سرّ خفي، سيزول معنى الحياة بأكمله وسيزول الجمال كليًا.

إن غير المدرك هو الجمال، المعنى، الطموح، الهدف. وبسبب غير المدرك هناك معنى للحياة. فعندما يكون كل شيء معلومًا، تصبح جميع الأشياء عديمة النكهة. وعندها ستشعر بالاشمئزاز والضجر.

إن غير المدرك هو سر الحياة؛ هو الحياة بذاتها.

سأقول هذا:

الفكر هو جهد لمعرفة المجهول، والحدس هو حدوث غير المدرك. من الممكن اختراق غير المدرك ولكن من غير الممكن تفسيره. إن الشعور به ممكن ولكن تفسيره غير ممكن. وبقدر ما تحاول تفسيره، تصبح منغلقًا (محدود الرؤيا)، إذًا لا تحاول. دع الفكر يعمل في مجاله، ولكن تذكّر دائمًا أن هناك عوالم أكثر عمقًا. هناك عوامل مُسبّبة أكثر عمقًا لا يمكن للفكر أن يفهمها. هناك عوامل مسببة أكثر سموًا لا يمكن للفكر أن يدركها.

الفكر هو جهد لمعرفة المجهول والحدس هو حدوث غير المدرك. من الممكن اختراق غير المدرك ولكن من غير الممكن تفسيره. الشعور به ممكن ولكن تفسيره غير ممكن.

خرائط

عندما يقوم الجسد بوظيفته بطريقة عفوية، ندعو ذلك الغريزة.
عندما تقوم الروح بوظيفتها بطريقة عفوية، ندعو ذلك الحدس.
هما متشابهان ولكنهما بعيدان كل البعد أحدهما عن الآخر.
الغريزة تخصّ الجسد وهي غير مصقولة.
الحدس يخصّ الروح وهو في منتهى الدقة.
وبين الاثنين يوجد العقل وهو الخبير، الذي لا يعمل أبدًا بطريقة عفوية.
العقل يعني المعرفة.
المعرفة لا يمكن أن تكون عفوية أبدًا.
الغريزة أعمق من الفكر والحدس أسمى من الفكر.
كلاهما يتعدى الفكر، وكلاهما جيد.

الرأس والقلب والكائن

يمكن تقسيم شخصيتك - فقط بقصد فهمها؛ وإلا فليس هناك ضرورة للتقسيم. إنها كيان واحد، إنها «كل»: الرأس، والقلب، والكائن.
إن الفكر هو وظيفة الرأس، والغريزة هي وظيفة الجسد، والحدس هو وظيفة القلب. وخلف أولئك الثلاثة هناك الكائن، الذي يعمل فقط كشاهد.
الرأس يفكر فقط؛ لذلك لا يتوصل إلى أية خلاصة. إنه لفظي، لغوي، منطقي. ولأنه لا يملك أية جذور في الواقع، فهو لم يوصلنا إلى أية خلاصة بعد آلاف السنين من التفكير الفلسفي. لقد كانت الفلسفة أكثر الممارسات عقمًا. والفكر شديد الذكاء في خلق أسئلة ومن ثم في خلق أجوبة، وبعد ذلك يخلق من هذه الأجوبة مزيدًا من الأسئلة ومزيدًا من الأجوبة. ويمكن للفكر أن يبني قصورًا من الكلام، وأنظمة من النظريات، ولكن لا تتعدى جميعها كونها هواءً ساخنًا.
لا يمكن للجسد أن يعتمد على الفكر، لأن عليه أن يبقى على قيد الحياة. ولذلك نجد أن الوظائف الرئيسية للجسد مرتبطة بالغريزة - على سبيل المثال، التنفس، نبضات القلب، هضم الطعام، الدورة الدموية. وهناك ألف عملية تتم داخل جسدك ليس لك فيها أي دور. ومن حُسن المصادفة أن الطبيعة قد أعطت للجسد حكمته الخاصة. وإلا، لو قُدّر للفكر أن يهتم بالجسد، لكانت الحياة مستحيلة! لأنه من الممكن أن تنسى أن تتنفس بعض الأحيان - على الأقل أثناء الليل، كيف يمكنك التنفس وأنت نائم؟ أنت في حالة ارتباك بما فيه الكفاية بسبب أفكارك؛ وفي حالة الارتباك هذه، من سيهتم بالدورة الدموية وما إذا كانت الخلايا تتلقى الكميات الكافية من الأوكسجين أم لا، وما إذا كان الطعام الذي تتناوله يتم فرزه إلى مقوّماته الأساسية، وأن هذه

المقوّمات يتم إرسالها إلى حيث الحاجة إليها؟ إن كل هذا المقدار الضخم من العمل تقوم به الغريزة. لا حاجة لك. يمكنك أن تبقى في حالة غيبوبة؛ ومع ذلك فإن الجسد يستمر بالعمل.
لقد أسندت الطبيعة جميع الوظائف الجسدية الهامة للغريزة، وأغفلت كل ما يجعل حياتك ممتعة.... لأن مجرد الوجود أو البقاء ليس له أي معنى. ولإضفاء المعنى على حياتك، أعطى الوجود الحدس لقلبك. ومن خلال الحدس تنبعث إمكانية الفن، والجماليات، والحب والصداقة - جميع أنواع الإبداع هي حدسية.
ولكن الأسواق لا تحتاج إلى حدسك. إنها لا تتعامل بالحب والأحاسيس؛ وإنما تتعامل بالأشياء الملموسة الدنيوية. ومن أجل ذلك يقوم فكرك - الذي هو الجزء الأكثر سطحية - بوظيفته. والفكر يسمح لك بالقيام بالأعمال الدنيوية المطلوبة منك تجاه الآخرين في هذا العالم. إنه الرياضيات، والجغرافية، والتاريخ، والكيمياء - الفكر يخلق جميع أنواع العلوم والتكنولوجيا. إن لعلم المنطق وعلم الهندسة فائدة كبيرة - ولكن الفكر أعمى. إنه يقوم فقط بخلق الأشياء، ولكنه لا يدري ما إذا كانت تُستخدم من أجل التدمير أو الخلق. إن الحرب النووية ستكون حربًا أنتجها الفكر.
وللفكر بعض المنافع، ولكنه، لسوء الحظ، أصبح متحكمًا بك كليًا. وهذا ما أوجد كثيرًا من المشاكل في العالم.
إن الجسد، والعقل، والقلب: أولئك الثلاثة يشكّلون كيانك. ولكنك لا تسير أبدًا باتجاه الداخل؛ جميع طرقاتك تتجه نحو الخارج، جميع حواسك تتجه نحو الخارج. جميع إنجازاتك هي هنا في هذا العالم.
إن الفكر يفيد في هذا العالم، وجميع أنظمتك التعليمية هي تقنيات لتحاشي القلب ولتخزين الطاقة في الفكر مباشرةً. ويمكن للقلب أن يسبب المشاكل للرأس فهو لا يعرف أي شيء عن المنطق. وللقلب مجال عمل مختلف كل الاختلاف، ألا وهو الحدس. إنه يعرف الحب، ولكن الحب سلعة لا قيمة لها في العالم. إنه يعرف الجمال، ولكن ما هو مردود الجمال في الأسواق؟
إن الناس الذين يعملون بقلوبهم - الرسامين، الشعراء، الموسيقيين، الراقصين، الممثلين - جميعهم غير عقلانيين. إنهم يخلقون جمالاً رائعًا، وهم عُشّاق رائعون، ولكنهم لا يتكيفون على الإطلاق في بيئة ينظمها الرأس (الفكر). والمجتمع ينظر إلى الفنانين على أنهم منبوذون، مصابون ببعض الجنون. وعلى ذلك لا يريد أحد أن يصبح أولاده موسيقيين، أو رسامين أو راقصين. والجميع يريدونهم أن يصبحوا أطباء، أو مهندسين أو علماء، لأن هذه المهن تدرّ كثيرًا من المال. بينما الرسم والشعر والرقص هي مهن تحمل في طياتها كثيرًا من المخاطرة - يمكن أن ينتهي بك المطاف متسوّلاً في الشارع تعزف على الناي.
لقد أُنكِر القلب - وفي معرض الحديث، من المجدي أن نتذكر أن إنكار القلب كان إنكارًا للمرأة. وما دمنا لا نستطيع أن نتقبّل القلب، فلن نستطيع تقبل المرأة. وإذا لم نعط للقلب فرص النمو ذاتها التي أعطيناها للرأس، لا يمكن تحرير المرأة. والمرأة هي القلب والرجل هو الرأس. والتمايز واضح.
إن الغريزة نتاج الطبيعة. وعندما نتدخل في الغريزة، نخلق انحرافات. وكل الديانات فعلت ذلك؛ لقد تدخّلت كل ديانة بالجسد - والجسد هو في منتهى البراءة، لم يرتكب أية خطيئة. وإذا تقبّلت

جسدك في حالته الطبيعية المطلقة، فإن ذلك سيعود عليك بكثير من الفائدة؛ سيساعد قلبك ويغـذيه، سيساعد فـي شـحذ قـدراتك الفكريـة، لأن غـذاء الفكر يأتي من الجسد، وكذلك غذاء القلب. وإذا كان رأسك، وقلبك، وجسدك في حالة تناغم، يصبح بإمكانك أن تجد نفسك بسهولة متناهية. ولكن بما أنهم في حالة صراع، فإن حيـاتك بأكملـها تضـيع فـي هـذا الصـراع، صـراع بـين الفكـر والغريزة والحدس.

إن الشـخص الحكـيم يخلـق انسـجامًا بـين الـرأس والقلـب والجسد. ومن خلال هذا الانسجام يأتي الوحي بمصدر الحياة، المحور الأساسي للحياة، الروح. وهذه هي أعظم نشوة ممكنة - ليس فقط للجنس البشري ولكن في مجمل هذا الكون، لا يمكن أن توجد نشوة أعظم من ذلك.

أنا لست ضد أي شيء، أنا فقط ضد التنافر، وبما أن الرأس يخلـق الوضـعيات الأكثـر تنـافرًا، أريـد أن أضـع الـرأس فـي مكانه الصحيح. إن الرأس خادم وليس سيدًا، وكخادم هو عظيم ومفيد.

أحد بائعي الحليب في مدينة دبلن انتهى لتوه من توزيع بضاعته، فـأوقف عربتـه وحصـانه خـارج الحانـة ودخـل لتنـاول المشروب. بعد ساعة منعشة، عاد إلى الخارج ليرى حصانه مطليًا باللون الأخضر.

غاضـبًا، يعـود إلـى داخـل الحانـة ويسـأل: «مـن منكـم طلـى حصاني باللون الأخضر؟» وقف عملاق أيرلندي يناهز طوله المترين وقال: «أنا فعلت ذلك.

أتريد أن تفعل شيئًا حيال ذلك؟» يرمقه بائع الحليب بنظرة شاحبة ويقول: «لقد جئت فقط لأقول لك، إن طبقة الطلاء الأولى قد جفّت!» إن الفكر مفيد. وإنك لتحتاج إلى الفكر في بعض الحالات - ولكن كخادم فقط، وليس كسيد.

الماضي والحاضر والمستقبل

لديك ماضٍ، وحاضر ومستقبل. الغريزة تخص ماضيك. إنها قديمة جدًا وصلبة؛ وهي إرث ملايين من السنين. وعندما أقول إنها تشبه غريزة الحيوان، لا أقصد الإدانة بهذا القول. إذ يعتبر البعض ذلك بمثابة إدانة - ولكني أعبّر عن حقيقة، من دون أية إدانة على الإطلاق. لقد كانت رحلة طويلة جدًا.

الفكر هو ميزة بشرية. وهو حاضرنا. وهذه هي الطريقة التي نعمل بها، بواسطة الفكر. وإن جميع العلوم، والأعمال، والمهن وكل ما يجري في العالم - السياسة، الدين، الفلسفة - جميعها ترتكز على الفكر. والفكر ميزة بشرية.

أما الغريزة فلا تخطئ أبدًا لأنها قديمة، وكاملة النضج عبر التطور. عيناك تطرفان - هل كان ذلك فعلاً إراديًا من قِبلك؟ كلا، بالطبع، فالعينان تطرفان بطريقة عفوية - وهذا سلوك غريزي. إن قلبك ينبض، والرئتان تقومان بتأمين الكمية اللازمة من الأكسيجن لجميع خلايا الجسد؛ والأمر لا يتعلق بك لتأمين هذه الوظائف الجوهرية التي تؤمّن استمرارية الحياة. فالغريزة هي التي تتحكم بهذه الوظائف لأنها لا تخطىء على الإطلاق. والغريزة لا تغفل عن تأمين الكمية اللازمة من الأكسيجن؛ إنها لا تغفل عن أي شيء.

إن الفكر يخطئ لأنه حديث في سلّم التطور. وهو يتلمّس طريقه في الظلمة، ولا يزال يسعى لمعرفة هويته ونطاق عمله. وبما أنه غير متجذر في مجال الخبرات الحياتية، فهو يستبدل هذه الخبرات بالمعتقدات، والفلسفات والأيديولوجيات التي أصبحت النطاق الحصري الذي يركّز عليه الفكر. ولكن جميع هذه المعتقدات والفلسفات عرضة للخطأ لأنها من صنع الإنسان، مبتكرة من قِبل أحد الأشخاص الأذكياء، ولا يمكن تطبيقها في كل الظروف. وقد تكون محقة في بعض الحالات ومخطئة في حالات أخرى. والفكر أعمى، لا يعرف كيف يتعامل مع الجديد. وهو يستحضر دائمًا أجوبة قديمة لأسئلة جديدة.

يعمل الفكر من خلال الأحكام المسبقة؛ وهو لا يعرف العدالة. وبحكم طبيعته، لا يمكنه أن يكون عادلاً، لأن ليس له أية خبرات. أما الغريزة فهي عادلة دائمًا لأنها تعبير طبيعي وعفوي عن حالة الكون. ولكن من المستغرب أن جميع الأديان أدانت الغريزة وأثنت على الفكر.

بالطبع، لو اتبع الجميع غرائزهم، لاستمتعوا بالحياة بمنتهى جمالها وبساطتها من دون أي خوف، فليس لديهم أية فروقات فلسفية.

ولا بد أن الوجود بكامله يسخر من الإنسان، لما حصل له. فإذا كان باستطاعة الطيور أن تحيا من غير حروب، فَلِمَ لا يستطيع الإنسان ذلك؟ إن الطيور لا تتقاتل أبدًا في حروب؛ وكذلك الأمر بالنسبة للحيوانات والأشجار. ولكن ذلك ليس باستطاعتنا.

والشيء الثالث، الذي هو مستقبلك، هو الحدس. لذلك يجب علينا أن نفهم هذه الكلمات الثلاثة.

إن الغريزة مادية - إنها ماضيك المرتكز على خبرات ملايين السنين، وهي معصومة، لا ترتكب أي خطأ وتصنع فيك عجائب من دون أن تدرك ذلك. كيف يصبح طعامك دمًا؟ كيف تستمر بالتنفس حتى وأنت نائم؟ كيف يفصل جسدك بين الأوكسيجن والنيتروجين؟ كيف يتسنّى لعالمك الطبيعي الغريزي أن يُقدّم لكل جزءٍ من جسدك ما يحتاج إليه؟ كيف يعطي لدماغك القدر الكافي من الأوكسيجن للقيام بوظيفته؟ كيف يرسل الكمية اللازمة عبر شرايين ممتدة في جميع أقسام الجسم، توزّع الدم النقي وتستخرج الدم المستعمل لإعادة تنقيته وتوزيعه مجددًا.

يقول العلماء إن ما تفعله الغريزة للإنسان، لا يمكن أن يفعله الإنسان بطريقة إرادية. وفي جسم صغير الحجم، تصنع الغريزة عددًا كبيرًا من المعجزات. ولو أراد العلم في يوم من الأيام أن يقوم بعمل جسم إنسان واحد، لكان بحاجة إلى مصنع تقارب مساحته ميلاً مربعًا وآلات ضخمة! ومع ذلك فلن يكون معصومًا من الخطأ؛ يمكن للآلات أن تتعطل، أن تتوقف عن العمل، وقد ينقطع التيار الكهربائي. ولكن طوال سبعين عامًا أو مئة عام عند بعض الناس، تقوم الغريزة بوظائفها على أكمل وجه. والتيار الكهربائي لا يتوقف داخل جسم الإنسان. ولا يحصل أي خطأ؛ والأمور كلّها تسير وفقًا للمخطط، وهو موجود في كل خلية من جسمك.

وفي اليوم الذي نتمكن فيه من قراءة شفرة الخلايا البشرية، سيكون باستطاعتنا أن نتنبأ بما سيكون عليه أي طفل قبل ولادته، حتى قبل أن يصبح جنينًا في رحم الأم. ذلك أن خلايا الوالدين لها برنامجها، وهو يتضمن كم سنة ستعمر، وحالتك الصحية، والأمراض التي ستصيبك، وعبقريتك، وذكاؤك ومواهبك وكامل مصيرك.

ومقابل الغريزة، في القطب الآخر من وجودك - فيما يتعدى العقل، الذي هو عالم الفكر - هناك عالم الحدس.
يفتح الحدس أبوابه عبر التأمل. والتأمل هو بكل بساطة الاقتراب من مشارف الحدس. والحدس في حالة جهوزية دائمة. إنه لا ينمو؛ وهو موروث من الوجود. الحدس هو شعورك، هو كينونتك.
إن الفكر هو العقل. والغريزة هي الجسد. وكما أن الغريزة تقوم بوظائفها على أكمل وجه لصالح الجسد، فإن الحدس يعمل بصورة مثالية في مجال الشعور. والفكر هو جسر بين الغريزة والحدس - هو جسر نعبر من خلاله. ولكن هناك ملايين الناس الذين لا يعبرون هذا الجسر. إنهم يجلسون على الجسر ويعتقدون أنهم وصلوا إلى مسكنهم.
ولكن المسكن هو في الشاطئ الآخر، بعيدًا عن الجسر. والجسر يربط بين الغريزة والحدس. ولكن الأمر يرجع إليك. فقد تباشر بإقامة مسكنك على الجسر - وبهذا تكون قد ضللت الطريق.
ولن يكون الفكر مسكنك لأنه مجرد أداة صغيرة تُستخدم للعبور من الغريزة إلى الحدس، وبذلك فإن الشخص الذي يستخدم فكره ليتخطاه هو الإنسان الذكي.
إن الحدس وجودي. والغريزة طبيعية. والفكر يتلمّس طريقه في الظلمة. فكلما أسرعت بتخطي الفكر، كان ذلك أفضل؛ ويمكن للفكر أن يكون عائقًا في تقدم الذين يعتقدون أنه لا يوجد شيء فيما يتعدى الفكر. كما يمكن للفكر أن يكون معبرًا فاتنًا للذين يدركون أن هناك على وجه التأكيد شيئًا يتعدى الفكر.
لقد توقف العلم عند حدود الفكر - لهذا لا يمكنه أن يفهم شيئًا عن الشعور. وإذا لم يرافق الفكر البشري حدس متيقظ، فإن العالم سيتعرض للخطر. ونحن نعيش تحت مخاطر الفكر لأن الفكر أعطى للعلم قوة فائقة. ولكن هذه القوة هي في أيدي القاصرين، وليست في أيدي الأشخاص الحكماء.
إن الحدس يجعل الإنسان حكيمًا - سمّ ذلك التنوّر أو اليقظة؛ فكلا الكلمتين تعني الحكمة. ولكن في أيادي الحكماء فقط، يمكن للفكر أن يكون خادمًا أمينًا.
والغريزة والحدس يعملان معًا بطريقة مثالية - الغريزة على الصعيد المادي والحدس على الصعيد الروحي. ومشكلة الجنس البشري بأكملها هي أنه عالق في الوسط، في العقل، في الفكر. وهذا ما يسبّب التعاسة، والقلق، والعذاب، والفراغ الروحي، والتوتر من دون رؤية أي حلّ في الأفق.
إن الفكر يصنع مشكلة من جميع الأمور ولا يعرف أي حلّ لها. أما الغريزة فلا تخلق أية مشكلة على الإطلاق وبذلك لا تحتاج إلى أي حل؛ إنها تعمل بطريقة طبيعية. والحدس هو حلّ بحدّ ذاته، فهو لا يعرف معنى المشاكل. أما الفكر فهو مشاكل فقط، لا يعرف معنى الحلول.
إذا نظرت إلى هذا التصنيف بطريقة صحيحة سيسهل عليك فهمه: لو لم تكن الغريزة متوفّرة، لكنت ميتًا. ولولا توفّر الحدس لما كان لحياتك أي طعم - سوف تستمرّ في الحياة، ولكن حياتك ستكون خاملة كحياة أية نبتة.
والحدس يعطي معنى للحياة، ويضفي عليها روعة وبهجة. الحدس يكشف لك أسرار الوجود، يمنحك نعمة الصمت والسكون، التي لا يمكن لأحد تعكير صفوها أو حرمانك منها.

وعندما تعمل الغريزة والحدس بطريقة متوافقة، يمكنك أن تستخدم فكرك للأغراض الصحيحة. وإذا لم يحصل ذلك، كان لديك وسيلة من غير أن يكون لديك هدف. والفكر لا يعرف معنى الأهداف. وهذا ما خلق الوضع الحالي في العالم - يستمر العلم في إنتاج الأشياء ولكنه لا يدرك لماذا ينتجها. ورجال السياسة يمضون في استخدام هذه الأشياء من غير أن يدركوا أنها مدمّرة، وأنهم يعدّون لعملية انتحار شمولية. والعالم يحتاج إلى ثورة هائلة تأخذه بعيدًا عن عالم الفكر إلى عالم الحدس الصامت.

يجب أن نفهم معنى كلمة الحدس. الحدس يُقصد به شيء ينبعث من الداخل. إنه استبصار بالأمور بصورة فجائية دونما حاجة إلى خبرة سابقة. والحكمة لا يمكن استعارتها، وكل ما هو مستعار ليس بحكمة. وإذا لم تتوفر لديك حكمتك الخاصة، ورؤيتك الخاصة ونظرتك الخاصة، فلن تتمكن من فهم سر الوجود.

أنا من مؤيدي الغريزة. وهذا سرّ أريد أن أكشفه لكم: إذا كنتم من مؤيدي الغريزة، سيكون بإمكانكم أن تجدوا طريقكم نحو الحدس بسهولة. لأن الغريزة والحدس متشابهان، بالرغم من أنهما يعملان في مجالين مختلفين - أحدهما يعمل في المجال المادي والآخر يعمل في المجال الروحي. أن تتقبل حياتك الغريزية بفرح تام، من دون أي شعور بالذنب، فإن ذلك سيساعدك في فتح أبواب الحدس - لأنهما غير مختلفين، بل يعملان في مستويات مختلفة. وكما أن الغريزة تقوم بوظائفها بطريقة رائعة وصامتة، من دون أي ضجيج، كذلك يقوم الحدس بوظيفته بمزيد من الروعة والصمت.

الفكر هو إزعاج. ولكن الأمر يعود لنا بأن نسمح له بإزعاجنا أو نستخدمه كنقطة عبور. فعندما تصادف حجرًا في الطريق، بإمكانك أن تنظر إليه كعائق، أو تستخدمه كنقطة انطلاق إلى مستويات أعلى. وأولئك الذين يتحلون بالفهم، يستخدمون الفكر كنقطة انطلاق. ولكن الجماهير هي تحت سيطرة المفاهيم التي تقول لهم، «استخدموا فكركم كقوة لقمع الغريزة». وهكذا يتورط الناس في محاربة الغريزة ويتناسون الحدس كليًا. وتصبح طاقتهم كلها متورطة في قتال قوى الحياة فيهم. وعندها تكون في حالة قتال مستمر مع غريزتك....

إن الحدس هو الوردة الصوفية التي ستقودك إلى منتهى النشوة الوجدانية، إلى الحياة الأبدية. ولكن يبدو أن الناس هم في قبضة الماضي الميت كليًا. يتقيدون بالتعليمات الموروثة ولا يأخذون بعين الاعتبار كافة العلوم الإنسانية.

تلك الطبقات الثلاث تشكّل طبقات علوم الإنسان كافة. وعلينا أن نسمح للغريزة أن تتدفق بحرية وعفوية، وأن لا نسمح للفكر أن يتدخل بوظائفها لأي سبب. وكما يجب استخدام الفكر كمعبر إلى الحدس، كذلك يجب أن يُفسح المجال للحدس ليتولى شؤون حياتك. عندها ستكون حياتك أضواء ساطعة من النورانية. ستصبح مهرجانًا دائمًا.

درجات السلّم

الحدس هو أعلى درجة في السلّم، سلّم الوعي، الذي يمكن تقسيمه إلى ثلاثة مستويات: المستوى الأول والأدنى هو الغريزة؛ والمستوى الثاني الوسطي هو الفكر؛ والمستوى الثالث والأعلى هو الحدس.
من الواضح أن البادئة IN مستخدمة في جميع الكلمات، Instinct و Intellect و Intuition، وهذه مصادفة هامة. وهذا يعني أن هذه المستويات فطرية Inborn. وليس بالإمكان تعلّمها. أي لا يمكن تنميتها عبر أية مساعدة خارجية.
إن الغريزة هي عالم الحيوانات - كل شيء غريزي. حتى لو بدت لك الأمور مختلفة بعض الأحيان، فهي مجرد إسقاط لمشاعرك الشخصية. على سبيل المثال، يمكنك أن ترى الحب عند الحيوانات - عندما ترعى الأم (الحيوان) صغيرها بمحبة وعناية فائقة، تعتقد أن ذلك يتعدى الغريزة، أي أنه شيء أسمى، وليس من الناحية البيولوجية فقط. ولكنه في الواقع ليس أسمى، وإنما هو بكل بساطة شأن بيولوجي. ذلك أن الأم تقوم بذلك كمخلوق آلي Robot تسيطر عليه الطبيعة. ليس بيدها أية حيلة، وعليها أن تقوم بذلك.
في عدد كبير من فصائل الحيوانات لا يتحلى الأب بالغريزة الأبوية؛ وعلى عكس ذلك، فإن الكثير من ذكور الحيوانات يقتل مواليده ويأكلها. ففي فصيلة التماسيح، على سبيل المثال، نجد أن حياة المواليد في خطر شديد. فالأم تتفانى في حماية مواليدها وتقاتل من أجل الحفاظ على حياتهم، ولكن الأب يريد أن يتنعم بهم كوجبة شهية! ليس لدى الأب أية غريزة أبوية. والواقع أن الأب يشبه في سلوكه الإنسان. أما أنثى التمساح فإنها تحافظ على مواليدها داخل فمها لحمايتهم من والدهم. وهي تتمتع بفم كبير - جميع الإناث يتمتعن بفم كبير - وبإمكانها حشر دزينة من المواليد في فمها. وفي داخل فم الأم، بالقرب من الأنياب الخطرة، يتمتع المواليد بأقصى درجات الأمان. والأمر الصعب بالنسبة للمواليد، هو أن يتمكنوا من معرفة من هو الأب ومن هي الأم، لأنهما متشابهان. وبعض الأحيان يقترب المواليد من الأب، يدخلون في فمه ويقضى عليهم.
ولكن الأم تحمي مواليدها وتقاتل من أجلهم. ولهذا السبب ربما أنعمت الطبيعة على التماسيح بعدد كبير من المواليد: تلد الأم دزينة في كل مرة، كل سنة. ولو تمكنت من الحفاظ على حياة اثنين فقط لأمكنها ذلك من تثبيت عدد أفراد التماسيح، ولكنها في الواقع تحافظ على نصف المواليد تقريبًا كل مرة.
إن أي شخص يراقب سلوك التماسيح يشعر أن الأب فعلاً متوحش، لا يتمتع بالرحمة والحب، وأن الأم تتحلّى بصفات الأمومة. ولكنه بذلك إنما يسقط أفكاره ومشاعره. ذلك أن الأم التمساح لا تحمي أطفالها لسبب واع؛ وسلوك الحماية لديها ينبع من هرموناتها، والأب لا يملك تلك الهرمونات. ولو حقناه بنفس الهرمونات لتوقف عن قتل مواليده. وعلى ذلك، فالأمر يتعلق بالكيمياء وليس بالخصائص النفسية أو أي شيء يتعدى الكيمياء الحيوية.
إن تسعين بالمئة من حياة الإنسان هي جزء من عالم الحيوان. وإن الغريزة هي التي تُسيّر حياتنا.
تقع في غرام امرأة، أو تقع امرأة في غرامك، فتعتقد أنه أمر عظيم. وما هو بالأمر العظيم، وإنما هو حالة افتتان غريزية فحسب. إنها هرمونات تجتذبها هرمونات مقابلة. وأنت لعبة في يد الطبيعة. إن الحيوان لا يهتم بأمور الحب الدقيقة المرهفة، ولكن الإنسان يشعر أن التعبير عن

الحب بطريقة غريزية هو أمر مشين ومذل. والحب لا يتعدى كونه ظاهرة كيمياء حيوية. الحب شعر، الحب فن، الحب فلسفة - ولكنه في الوقت نفسه كيمياء حيوية. ويبدو أنك خجول من تكوينك البيولوجي والكيميائي، خجول من طبيعتك.

ولكن هذه ليست الطريقة لفهم الأشياء. وعلينا أن نفهم الأمور بدقة. علينا أن نكون قادرين على التمييز بوضوح، وإلا بقينا في حالة ارتباك دائمة. وستعمل الأنا في داخلك على إعطاء أسمى المعاني لأمور هي في أدنى مستويات سُلّم الشعور. وما تعتبره حبًا ما هو إلا وهم أحدثته الكيمياء في جسدك. فكّر بهذا الأمر: لو نزعنا عن الحب فكرة الرومانسية، لما تَحمَّل أي رجل أو امرأة سخافة الجنس. ولبدا الأمر في منتهى الغباء. لو نزعنا فكرة الرومانسية عن الحب وفكرنا فقط من الناحية البيولوجية والكيميائية لشعرنا بالخجل من الممارسة الجنسية. فليس هناك ما يدعو للتباهي في الممارسة الجنسية. تخيّل نفسك تمارس الحب من دون جو رومانسي، من دون شعر، من دون عُمَر الخيّام، وشيلي Shelly، أو بايرون Byron - تمارسه فقط كعملية تناسلية لأن الطبيعة تريد التناسل عبرك، لأنها تعلم أنك فانٍ، ولست أبديًا. وقبل أن تموت، تريد الطبيعة أن تستمر الحياة. ولكن الإنسان لا يرغب بممارسة الجنس من غير أن يشعر بالرومانسية حياله، ولذلك خلق دخانًا عظيمًا حوله وسماه الحب. إنه يدَّعي وحتى يعتقد أنه الحب - ولكن لنراقب ذلك عن كثب.

لديك اهتمام مُعيّن بامرأة ما. وطبيعة المرأة الغريزية تدفعها لممارسة لعبة الغمَّيضة Hide and Seek. وإنه لأمر غريب أن الأولاد الصغار في جميع الثقافات حول العالم، يمارسون لعبتين من دون استثناء. إن دياناتهم، وثقافاتهم وأعراقهم ومجتمعاتهم ولغاتهم، جميعها مختلفة - كل شيء مختلف - ولكن فيما يتعلق بهاتين اللعبتين، نجد الجميع يلعبونها، أكانوا في إفريقية، أو الصين، أو أمريكا، أو الهند، لا فرق في ذلك. إحدى هاتين اللعبتين هي الغمَّضية. ومن المفارقات الواضحة أنه لا توجد أي ثقافة في أرجاء العالم، لم يلعب أطفالها لعبة الغمّضية. وكأن الأمر له علاقة بالغريزة، كأن الأطفال يستعدون للعبة أكبر من ذلك. هذا نوع من التدريب فقط، أما اللعبة فتستمر مدى العمر.

تلعب المرأة دائمًا دور الشخص الذي يحاول الاختباء، والرجل هو الشخص القوي الذي يبحث عنها. وعملية البحث تشكّل نوعًا من التحدي له - كلّما صعب العثور على المرأة، ازداد التحدي وعظمت الإثارة.

وكما ذكرت، فإن جميع الأولاد في جميع أنحاء العالم يلعبون لعبة الغمضية. ولا أحد يعلمهم ذلك؛ إذًا كيف أصبحت هذه اللعبة عالمية؟ لا بد أنها انبعثت من طبيعتهم البيولوجية، حاجة ملحّة للبحث، وللعثور والتحدي.

إن هذه الأشياء تحصل بصورة طبيعية - لا أحد يقرر هذه الأمور، فهي جزء من طبيعتك البيولوجية. ولكن الطبيعة لديها ما يكفي من الحكمة لتهبك وهم الحب؛ لأنه لو مارسنا الجنس من أجل التناسل فقط، من أجل استمرار الحياة، لما أقدم أحد على ممارسة الأربع وثمانين وضعية جنسية التي يوصي بها فاستيايانا Vastyayana - وهذا منتهى الغرابة، والبشاعة والحماقة. إنك إذا نزعت عن الجنس صفة الحب، فإنه يصبح في الواقع سلوكًا حيوانيًا. وهذه إحدى المشاكل التي شغلت فكر الإنسان منذ القدم ولا تزال حتى الآن. وكل ما نأمل به هو أن نتمكن من فهم هذه المشكلة بطريقة أفضل في المستقبل.

يستمر الرجل في البحث، والإقناع، وكتابة الرسائل الغرامية، وإرسال الهدايا، وبذل كل الجهود؛ ولكن بعد إشباع حاجاته الجنسية، يفتر اهتمامه بالمرأة. وهذا لا يعني أنه يفعل ذلك بطريقة متعمدة. فهو لا يريد أن يتسبّب بأي أذى؛ وعلى الأخص، لا يريد أن يتسبّب بأي أذى للشخص الذي يحبه. ولكن هذه هي طريقة عمل البيولوجيا. فكل هذه الرومانسية وهذا الحب لم يكونا سوى دخان حاولت الطبيعة من خلاله أن تخبئ الجانب الجنسي، الذي يبدو بشعًا بحد ذاته، وهكذا أعطته غطاءً جميلاً.
ولكن بعد أن يتم عمل الطبيعة عبرك، يزول كل ذلك الدخان. ذلك أن الغريزة لا تعرف سوى الجنس. والحب يشبه غلافًا سُكّريًا على حبة دواء مُرّة، لمساعدتنا على ابتلاعها. فلا تترك هذه الحبة في فمك مدة طويلة، وإلّا لن تتمكن من ابتلاعها؛ فهذا الغلاف السكري سيذوب قريبًا وسوف تبصق هذه الحبة المرة.
إن العشاق يستعجلون ممارسة الحب. لِمَ العجلة؟ لماذا لا يستطيعون الانتظار؟ لأن الغلاف السكري رقيق وهم يخشون من الانتظار طويلاً لئلا يزول الغلاف السكّري ويبقى الطعم المر.
إن الغريزة لا تصنع منك إنسانًا، بل تبقيك حيوانًا - تمشي على قائمتين، ومع ذلك ما زلت حيوانًا.
والدرجة الثانية هي الفكر. يعطيك الفكر شيئًا أسمى من البيولوجيا والكيمياء، أسمى من الطبيعة الحيوانية. ولكن الفكر فطري أيضًا، كما هي الغريزة وكما هو الحدس. ولا يوجد أية إمكانية لزيادة قدراتك الفكرية؛ وكل ما يمكن القيام به، هو تحقيق جميع طاقاتك الكامنة، وعندما يحصل ذلك تعتقد أن الفكر قد نما. وفي الواقع، إن الشخص الأكثر ذكاءً يستخدم فقط 15% من طاقته الكامنة؛ والأشخاص العاديون يستخدمون 6 إلى 7% من طاقتهم الكامنة. ويبقى 85% من الذكاء غير مستخدم حتى في حالة ألبرت آينشتاين أو برتراند راسل. ويمكن جعل هذه الخمسة والثمانين في المئة متوفرة، وسيحقق ذلك نموًا هائلاً. وقد تعتقد أن ذكاءك قد تعاظم، ولكن ما حصل في الواقع هو أنك استعدت واستصلحت شيئًا كنت تملكه في السابق.
لقد وجدنا طرقًا لتنمية الفكر وزيادة قوة الذاكرة. إن جميع المدارس، والكليات والجامعات - بل نظام التربية بكامله في جميع أنحاء العالم، يقوم بعمل واحد هو: شحذ فكرك. ولكن ذلك تسبب ببروز مشكلة لم يتوقعها العاملون في مجال التربية. فعندما تزداد قوة الفكر، يبدأ بالتدخل في وظائف الغريزة. وعندئذٍ يبدأ التنافس والصراع على السلطة.
إن الفكر يحاول السيطرة، وبما أنه يحظى بالمنطق إلى جانبه - التحليل، والنقاش ومئات البراهين - يمكنه أن يقنعك على صعيد العقل الواعي، أنّ الغريزة تمثّل الشر.
ولكن الغريزة هي جزء من عقلك اللاواعي والفكر هو جزء من عقلك الواعي، والمشكلة تكمن في أن العقل الواعي لا يتعدى في حجمه عُشر العقل الباطني. والعقل يشبه جبل الجليد: يظهر 10% منه فقط فوق سطح الماء، وتسعة أضعاف ذلك مغمور تحت سطح الماء. إن عقلك الواعي يشكل العشر، ولكنه ظاهر؛ وأنت تعلم بوجوده. ولكنك لا تعلم شيئًا عن عقلك اللاواعي.
تتم تنمية العقل الواعي في المدارس، والكليات، والجامعات، - وفي كل مكان. ويُعبّأ عقلك الواعي ليكون مناهضًا للغريزة. وهذه ظاهرة بشعة؛ إنهم يجعلونك مناهضًا للطبيعة، مناهضًا لنفسك.

لكن العقل اللاواعي هو في حالة صمت دائم وظلمة عميقة ولا يعير كبير اهتمام لعقلك الواعي. يمكنه أن يرفض أي قرار نابع من عقلك الواعي لأنه يفوقه قوة بتسعة أضعاف. كما أنه لا يعير أي اهتمام للمنطق، أو العقل أو أي شيء آخر.
حتى إن رجلاً مثل أحد الحكماء لم يعارض انضمام المرأة لطائفته (كوميونه) من غير سبب. لقد أرادها أن تكون طائفة محصورة كليًا بالذكور. وأنا أعارض موقفه هذا ولكنني أتفهم أسبابه الموجبة. لقد كان مدركًا أنه إذا انضمت المرأة إلى طائفته ستخلق مشاكل في عقل تلامذته اللاواعي.
أن يمنع أحد الحكماء المرأة من الانضمام إلى طائفته يبدو وكأنه أمر غير إنساني، ولكن لو تمعّنا برؤيته المستقبلية لكنا شاركناه في وجهة نظره؛ كان لديه سبب وجيه. ولم تكن المرأة هي السبب؛ وهو لم يطلب من الرجال عدم السماح للمرأة بالانضمام. كان يقول فقط، «أنا أعلم أنه لا يمكنكم التغلب على عقلكم اللاواعي». في الواقع، لم يدن الحكيم المرأة بل أدان تلامذته (مريديه). كان يقول إنه إذا دخلت المرأة، سيتمكن عقلكم اللاواعي من السيطرة عليكم.
لقد حاول بشتى الطرق أن يمنع حصول ذلك. لقد طلب من كهنته أن لا ينظروا أبعد من أربعة أقدام أمامهم حتى لا يروا وجه أية امرأة تسير في الطريق أو أي مكان آخر؛ وفي أقصى الحالات قد يتمكنون من رؤية قدميها. قال لكهنته، «لا تلمسوا المرأة، لا تتحدثوا إلى المرأة». وقد ألح أحد تلامذته في طرح بعض الأسئلة قائلاً: «في بعض الحالات - مثلاً، إذا وقعت إحدى النساء على حافة الطريق وكانت مريضة أو تحتضر - ألا تريدنا أن نتكلم معها ونسألها أين تريد الذهاب؟ ألا تريدنا أن نلمسها ونأخذها إلى منزلها؟».
قال أحد الحكماء: «في حالات نادرة كهذه، يمكنك لمسها والتحدث إليها - ولكن كن واعيًا تمام الوعي أنها امرأة».
وأن يشدّد أحد الحكماء على أن تكون «واعيًا تمام الوعي» فهذا ليس موجهًا ضد المرأة بل ضد عقلك اللاواعي. إذا كنت على أتم الوعي، فقد لا يتمكن عقلك اللاواعي من اختراق عقلك الواعي والسيطرة عليه.
إذا منعت غريزتك كليًا من إشباع حاجاتها، يمكنها أن تصبح في منتهى القوة - كالمخدرات تقريبًا - يمكنها أن تسكرك وأن تجعلك مصابًا بالهلوسة.
يحصل ذلك مع الذين كبتوا غريزتهم الجنسية لمدة طويلة حتى أصبحت نارًا متأجّجة داخل عقلهم اللاواعي. وعندما خلدوا إلى النوم راودتهم أحلام مفعمة بالحياة، نابضة بالألوان، وتشبه الواقع. حاول أن تصوم يومين أو ثلاثة أيام وسترى وليمة رائعة في حلمك. وكلما طالت مدة الصيام وازداد بك الجوع، تصبح هذه الوليمة أكثر إثارة للشهية، وأعطر رائحة، وأكثر نبضًا بالألوان وأكثر واقعية. بعد مرور ثلاثة أسابيع على الصيام، قد تحلم بالطعام وأنت في حالة اليقظة. لم تعد بحاجة إلى النوم لتحلم؛ لقد بدأ العقل اللاواعي باختراق العقل الواعي حتى وأنت في حالة اليقظة.
أريد أن يعيش الرجال والنساء معًا، أن يتعارفوا، وأن يتعرفوا إلى نقاط الاختلاف والتناقض، لتنتفي حاجة العقل اللاواعي إلى تحقيق رغبات مكبوتة بداخله.
عندما يتحرّر عقلك اللاواعي من الكبت كليًا، تعمل غريزتك بطرق أكثر ذكاء وملاءمة للواقع. وعندما يزول الكبت كليًا، عندما يسقط جدار برلين الفاصل بين عقلك الواعي وعقلك اللاواعي،

عندها ستتمكن من الدخول إلى عقلك اللاواعي أو الخروج منه بذات السهولة التي تتنقل فيها من غرفة إلى أخرى في منزلك.
هذا هو منزلك - أحد الحكماء Gurdjieff، استخدم هذه الصورة المجازية للمنزل. إنه مؤلف من ثلاث طبقات. الطبقة الأولى هي اللاوعي، والطبقة الثانية هي الوعي، والطبقة الثالثة هي الوعي الأعلى. عندما يتوقف الصراع بين فكرك وغريزتك، تصبح إنسانًا للمرة الأولى. لم تعد جزءًا من مملكة الحيوانات. وبالنسبة لي، هذا ما يحتاج إليه بصورة ماسة أي شخص يريد أن يعرف الحقيقة، الحياة والوجود؛ الشخص الذي يريد أن يعرف نفسه.
إذا قمت بكبت 90% من عقلك، فكيف ستتمكن من معرفة نفسك؟ لقد قمت بكبت القسم الأكبر من عقلك في أماكن عميقة لا يمكنك الوصول إليها. الذين كانوا يخافون عقلهم اللاواعي وغرائزهم المكبوتة في حالة خوف ورعب. كانت غرائزهم تقرع باب عقلهم الواعي: «افتح الباب، نريد الدخول! نريد أن نحقق رغباتنا ونشبعها». كلما طالت مدة الحرمان، ازداد الخطر. إنهم محاطون بذئاب جائعة - كل غريزة تصبح ذئبًا جائعًا. وهذا هو العذاب الذي عاشه هؤلاء محاطين بذئاب جائعة.
أريدك أن تتعاطى برفق مع عقلك اللاواعي. أشبع حاجاتك البيولوجية على أكمل وجه. حاول أن تتفهم وجهة نظري: عندما تُشبع حاجاتك البيولوجية، لن يكون هناك أي صراع بين عقلك الواعي وعقلك اللاواعي. يصبح عقلك كلاً متكاملاً. وهذا سيطلق كل طاقاتك الفكرية، لأن معظم طاقاتك الفكرية منهمكة بعملية كبت حاجاتك. أنت تجلس على فوهة بركان تحاول منعه من الانفجار. ولكن البركان سينفجر - أنت لا تملك القوة الكافية لمنع انفجاره إلى الأبد؛ وعندما ينفجر، فإنك ستتشظّى إلى قطع صغيرة بحيث يصبح من المستحيل تجميعها مجددًا.
كل هؤلاء المجانين في المصحّات العقلية في العالم - من هم؟ ما هي مشكلتهم؟ لقد تناثروا قطعًا صغيرة ولا يمكن تجميع هذه القطع مجددًا. لا يمكننا تجميع هذه القطع من دون إشباع جميع الغرائز المكبوتة. ولكن هل هناك أي شخص يشاركني هذا الرأي؟ لقد عبرت عن هذا الرأي طوال خمسة وثلاثين عامًا وتعرّضت لكثير من التشهير من أجل ذلك.
منذ أيام قليلة، قرأت قصة من خمس عشرة صفحة عن طائفتي في مجلة سترن Stern الألمانية، وكانت حلقة من سلسلة من خمسة مقالات ستصدر في أعداد متتالية. كان عنوان المقالة على الغلاف «دولة الجنس». لقد أعجبني العنوان في الواقع! والأمر الغريب هو أنك لو نظرت أبعد من هذه الصفحات الخمس عشرة لأصبت بالدهشة. من يعيش في دولة الجنس؟ موظفو، ومحررو، وأعضاء مجلس إدارة مجلة سترن، أم نحن؟
هناك صور لنساء عاريات في المجلة - لسن عاريات كليًا، لأن العراء الكامل لا يسبب الإثارة. يجب أن يجعلوا عراء المرأة أكثر إثارة بأن يلبسوها ملابس مثيرة جنسيًا، تظهر بعض الجسد وتخفي قسمًا منه. وبذلك يمكنك أن تلعب لعبة الغمَّيضة مجددًا. تبدأ بتخيل أجزاء جسد هذه المرأة الذي تخفيه هذه الملابس. قد لا يكون جسدها جميلاً لو نزعت ملابسها - في الواقع أجساد جميع النساء متشابهة كما هي الحال بالنسبة للرجال عندما تطفئ الأنوار. الظلمة تحقق المساواة لدرجة تفقدك القدرة على التمييز.
المجلة ممتلئة بجميع الأشياء التي تتعلق بالجنس، ومع ذلك يقولون إننا «دولة الجنس». حتى مجلة البلاي بوي Playboy تكتب مقالات ضدي - وهذا يدعوني إلى التفكير بغرابة هذا العالم

الـذي نعـيش فيـه! ولكـن أنـا أدري لمـاذا أتعرّض للهجوم من قِبل مجلات مثل سترن، وبلاي بوي أو غيرها... هذه المجلات تباع بالملايين ويقرأ كل نسخة منها ثمانية أشخاص على الأقل.
لمـاذا يتـهجمون علـي؟ لقـد قـاموا بـذلك لسـنين طويلـة.
والسبب هو أنه لو حققتُ نجاحًا في ما أدعو إليه، لاضطرّت هذه المجلات لإقفال مكاتبها. من المنطق أن يكونوا ضدي، لأن اسـتمراريتهم متعلّقـة بـالكبت، والأشـخاص الـذين يستغلّون الجنس - بلاي بوي، سترن وآلاف من المجلات حول العالم - هم أيضًا ضدي. هناك بعض الغرابة في هذا الأمر.
هناك منطق جوهري: بقدر ما يدان الجنس، بقدر ما يُكبَت، تزداد مبيعات مجلة بلاي بوي. لكن ضمن تلاميذي فقط، لن يوجد أي شخص يولي مجلة بلاي بوي أو سترن أي اهتمام. وإذا حققـتُ النجـاح، فـإن جميع هـذه المجـلات، والأفـلام والمنشـورات الإباحيـة سـتزول. وبمـا أن أصـحابها وظّفـوا أموالاً طائلة فيها، فمن البديهي أن يعارضوني.
الواقع أن جميع هؤلاء الناس يستغلون الكبت، ولهذا من المنطقـي أن يكـونوا ضـدي. قـد لا يكـونون واعـين لسـبب غضبهم مني، وقد يكون سلوكهم هذا نابعًا من اللاوعي، ولكن اللاوعي لديه أسبابه الخاصة.
إذا قمت بكبت أي شيء يصبح ثمينًا. مارس مزيدًا من الكبت، تزدد قيمته. توقف عن ممارسة الكبت، يفقد قيمته.
يمكنني القول للعالم أجمع إن جماعتي هي المكان الوحيد حيث لا معنى أو قيمة للجنس. إنه لا يشغل بال أحد، لا أحد يحلم به أو يتصوره في مخيلته. والواقع أنّ كثيرًا من الناس يراسلونني باستمرار ويسألونني: «ماذا باستطاعتي أن أفعل يا أوشو؟ إن حياتي الجنسية تكاد تزول».
وأنا أقول: «ما العمل؟ دعها تزول. لست بحاجة إلى القيام بأي عمل. هذا هو الهدف بعينه. يجب أن تزول! ولكن لا تقم بأي جهد لتجعلها تزول، عندما تبدأ بالزوال، لا تقم بأي جهد لمنع حصول ذلك. قل وداعًا. إنه لأمر جيد أنها تزول» ولكن المشكلة هي أن الناس يعتقدون أنه عندما تزول الحياة الجنسية لا يتبقّى لهم أي شيء لأن الجنس وحده كان مصدر إثارتهم، نشوتهم وفرحهم.
هذا غير صحيح، هناك أشياء كثيرة بانتظارك. دع حياتك الجنسية تزول لتصبح طاقتك متوفرة لتحقيق نوع أسمى من الإثارة والنشوة.
عندما يتلاقى عقلك اللاواعي مع عقلك الواعي لعدم وجود أشـياء مكبوتـة فـي اللاوعـي - وهـذه هـي اللحظـة التـي يتلاقيان فيها ويتحدان - في هذه اللحظة تنفتح أمامك فرص عظيمة. وبما أنك لست منشغلاً في المستوى الأدنى، فإن طاقتك بأكملها متوفرة للمستوى الأعلى.
أنت في الوسط، في مستوى العقل الواعي. ولكن العقل اللاواعي موجود، وأنت منهمك على الدوام بكبته - إذا كبتّه مرة واحدة، فإن ذلك لا يعني أنك انتهيت من أمره. عليك أن تسـتمر فـي عمليـة الكبـت، لأنـه لـن يتـوقف عـن العـودة مجددًا.
هذه العملية تشبه ارتداد الكرة. أنت تقذف بها وهي ترتد إليك ثانيةً. كلما ازدادت قوة القذف، ازدادت قوة الارتداد. والحالـة مماثلـة بالنسـبة للغرائز. أنـت تقـوم بكبتـها، وكلمـا ازدادت الطاقة التي توظفها في عملية الكبت، ازدادت قوة ارتدادها إليك. من أين تأتيها هذه الطاقة؟ إنها طاقتك. ولكـن عنـدما تتحـرر مـن اللاوعـي، تصـبح الطاقـة بأكملـها متوفرة لك.

هناك مبدأ جوهري بالنسبة للطاقة: لا يمكنها البقاء ساكنة، يجب أن تتحرك. الحركة هي من طبيعتها. وهي ليست بشيء تضعه في مكان ويبقى حيث وضعته. يجب أن تتحرك، إنها سُنّة الحياة. وهكذا عندما لا يوجد أي سبب للتحرك باتجاه الأدنى، ستتوفر وجهة واحدة للحركة - باتجاه الأعلى. ولا يمكنها أن تذهب بأي اتجاه آخر. إنها تبدأ بقرع أبواب الوعي الأعلى وهذا يسبّب سعادة وفرحًا يجعلان النشوة الجنسية أمرًا باهتًا عند المقارنة. ولا يمكنك تخيل ذلك، لأن الفرق ليس كميًا بمعنى أن يكون باستطاعتي أن أقول لك «إنها أعظم عشرة آلاف مرة من الناحية الكمية». ولكنه فرق نوعي، لا يمكنك أن تتخيله. وكيف يمكنك أن تقارن ذلك مع نشوتك الجنسية؟

عندما تبدأ الطاقة بدخول عالمك الأعلى الذي لم تكن تشعر بوجوده حتى الآن، ستشعر بفرح دائم. أما النشوة الجنسية فهي شعور مؤقت لدرجة أنك في اللحظة التي تشعر بها تكون قد زالت. أنت تشعر بها من خلال ذاكرتك؛ إنك لا تدري بها عندما تتحقق. وبسبب هذه الميزة المؤقتة، تزداد إدمانًا عليها. تتذكر أن شيئًا رائعًا قد حصل فتقول لنفسك «لأحاول مرة ثانية، لأحاول مرة ثانية». ولكن هذا مستحيل....

قبل أن تأتي النشوة الجنسية - تعرف أنها آتية لأن الجرس يبدأ بالرنين في رأسك. إنه فعلاً الجرس الذي يرنّ في رأسك: «إنها آتية!» تعرف أنها آتية.... وتعرف أنها زالت. لقد توقف الجرس، لقد انقطع الرنين. وبين رنين الجرس وتوقف الرنين، تبدو بمظهر الأحمق. ربما كان الرجل أكثر شعورًا بالخجل، ولذلك عندما ينتهي من ممارسة الحب، يدير ظهره ويخلد إلى النوم. أما المرأة فلا تشعر بخجل مماثل لأنها ببساطة شريكة غير ناشطة. ويشعر الرجل بالحماقة لأنه شريك ناشط.

يكفي أن تلامس الطاقة المستوى الأعلى من شعورك، الوعي الأعلى، حتى تشعر بشلال لا ينقطع من الفرح. تبدأ الطاقة بالدخول بصورة بطيئة إلى وسط الوعي الأعلى. وليس عليك القيام بأي عمل: لقد أتممت عملك عندما توقفت عن ممارسة الكبت وقمت بتنظيف اللاوعي. بعد ذلك، كل ما يجب عمله يُعمل بواسطة الطاقة المخزونة لديك. وعندما تصل إلى وسط الوعي الأعلى، تمتلك قدرة جديدة تباشر العمل داخل كيانك، وهي الحدس.

في وسط اللاوعي، توجد الغريزة.

في وسط الوعي، يوجد الفكر.

في وسط الوعي الأعلى، يوجد الحدس.

إن الغريزة تجبرك على القيام بأعمالٍ معيّنة، حتى وإن كانت ضد إرادتك. والفكر يساعدك بإيجاد طرق للقيام أو عدم القيام بعمل ما. وظيفته هي إيجاد طريقة. فإذا أردت أن تتماشى مع غريزتك، سيجد لك الفكر طريقة. وإذا كنت متدينًا أو متظاهرًا بالتديّن، وأردت أن تتصرف ضد غريزتك، فإن الفكر سيجد لك طريقة. قد يجد لك طُرقًا غريبة، ولكن الفكر هو في خدمتك: يفعل ما تريده. إنه لا يقوّم طلباتك، بل يُنفذّها.

إن الإنسان الحكيم يستخدم فكره لمساعدة اللاوعي في تحقيق حاجاته. والأفضل أن يتم ذلك بأسرع وقت ممكن. لأنه كلما أسرعت في تحقيق حاجاته، أسرعت بالتحرر منه.

إذا كنت أحد غريبي الأطوار، وهناك أنواع عديدة مختلفة ومتوفرة من غريبي الأطوار - ويمكنك أن تختار لأي فئة من غريبي الأطوار تريد الانتماء، ولا يمكنك أن تقول «الفئة التي أريد

الانتماء إليها غير متوفرة». ليس بإمكانك أن تقول ذلك؛ لأنه لآلاف السنين، خلق الإنسان جميع الأنواع التي يمكن تصوّرها من غريبي الأطوار. يمكنك الاختيار؛ ولكن جميع الخيارات ستكون مماثلة.

لم يخبرك أحد كيف تستخدم فكرك لتحقيق حاجاتك اللاواعية والطبيعية والبيولوجية والكيميائية. ما الفرق إذا كانت هذه الحاجات كيميائية، أو بيولوجية أو فيزيولوجية؟ إنها جزء منك، والطبيعة لا تقوم بأي عمل من دون سبب. فَلَبّ حاجاتك الطبيعية، لأن تلبيتها ستشكل معبرًا لمستويات أعلى.

عندما تلبي حاجاتك وتحقق رغباتك، يستقر القسم البيولوجي والكيميائي في كيانك ويُحوّل إليك كل الطاقة التي كانت منهمكة في المستويات الأخرى. وتنطلق الطاقة صعودًا بذاتها ولا تتوقف حتى تصل إلى وعيك الأعلى. وهناك يبدأ الحدس بالعمل.

ما هو الحدس؟ الحدس يشبه الغريزة في جوانب مُعيّنة ولا يُشبهها كلّيًا في جوانب أخرى. وهو يشبه الفكر في بعض الجوانب ويتعارض معه كليًا في جوانب أخرى. لذلك يجب علينا أن نفهم جميع هذه الجوانب، فالحدس هو أدقّ ما نملك.

الحدس هو كالغريزة لأنك لا تستطيع أن تؤثر في أي منهما. هو جزء من شعورك كما هي الغريزة جزء من جسدك. ولكن كما أنه بإمكانك أن تسمح للغريزة بتلبية حاجاتها، كذلك يمكنك أن تعطي حدسَك الحرية التامة ليحقق غاياته. بعدها ستفاجأ بأنواع القوى التي تحملها في داخلك.

يمكن للحدس أن يعطيك أجوبة لأسئلة جوهرية - ليس بطريقة لفظية ولكن بطريقة وجودية.

لست بحاجة لأن تسأل: «ما هي الحقيقة؟» - الغريزة لا يمكنها سماعك، إنها صماء. سيسمعك الفكر، ولكن كل ما يمكنه القيام به هو فلسفة الأمور؛ فهو أعمى. والحدس هو الذي يرى. يرى الحقيقة، لا يفكر بها.

لا سيطرة لك على الغريزة أو الحدس. فالغريزة هي تحت سيطرة الطبيعة، الطبيعة اللاواعية، والحدس هو تحت سيطرة الوعي الكوني (الوجودي). وذلك الوعي يحيط بالكون بأكمله، وهو محيط ضخم نُشكّل جزرًا صغيرة في داخله - أو بتعبير أفضل جبال جليد، لأن بإمكاننا أن نذوب فيه ونتحد معه.

إن الحدس، في بعض جوانبه، هو عكس الغريزة تمامًا. ذلك أن الغريزة تقودك دائمًا إلى شيء آخر، فتلبية حاجاتها تتعلق بأشياء خارجة عنك. أما الحدس فإنه يقودك فقط إلى نفسك. هو مستقل ولا يحتاج إلى أشياء أخرى؛ ومن هنا ينبع جماله، وحريته واستقلاليته. والحدس هو حالة عالية الشأن لا تحتاج إلى أي شيء. إنه مليء بذاته بحيث لا يترك فسحة لأي شيء آخر.

إن الحدس يشبه الفكر في بعض جوانبه لأنه نوع من الذكاء. ولكن الفكر والذكاء يتشابهان ظاهريًا فقط. فالشخص المفكّر ليس ذكيًا بالضرورة، والشخص الذكي ليس مفكّرًا بالضرورة. ويمكنك أن تصادف مزارعًا على قسط كبير من الذكاء، بإمكانه أن يجعل أستاذًا أو مفكرًا عظيمًا يبدو كالقزم أمامه.

لقد حصل ذلك في روسيا بعد الثورة التي غيّرت اسم مدينة بتروغراد واستبدلته باسم لينينغراد تيمّنًا بلينين. أمام قصر قديم، جميل وضخم في بتروغراد، انتصبت صخرة ضخمة لم يفكر القياصرة بإزاحتها على الإطلاق - لم يكن هناك حاجة إلى ذلك. أما الآن بعد البدء باستخدام السيارات، فقد توجّب إزاحة الصخرة لأنها تقطع الطريق.

ولكن الصخرة كانت جميلة للغاية، فأرادوا أن يزيحوها من الطريق وأن يحافظوا عليها كنصب تذكاري، ولم يريدوا تحطيمها أو نسفها بالديناميت. ولكن كل ما استطاع المهندسون العظماء التفكير به هو نسف الصخرة بالديناميت أو تقطيعها قطعًا صغيرة ومن ثم جمع هذه القطع لاحقًا. ولكن لينين قال: «هذا لن يفي بالغرض». الصخرة لن تكون هي ذاتها. الصخرة في غاية الجمال لذلك أبقاها القياصرة أمام قصورهم».

في تلك الأثناء حضر رجل فقير يمتطي حماره. وقف هناك يستمع إلى كل هذا الجدال؛ وبعد انتهاء الجدال أخذ يضحك وهَمَّ بالمضي في طريقه. استوقفه لينين قائلاً: «انتظر، لماذا ضحكت؟».

قال الرجل: «إنه أمر في غاية البساطة، لا حاجة إلى عمل ضخم: كل ما عليكم عمله هو الحفر حول الصخرة. لا تلمسوا الصخرة على الإطلاق؛ احفروا حول الصخرة فقط وهي ستستقر في عمق الحفرة. لن تزعجوا الصخرة - ستبقى الصخرة في مكانها - ولكنها لن تقطع الطريق. لا حاجة إلى تحطيمها أو نسفها بالديناميت».

قال لينين لمهندسيه: «أنتم مهندسون معماريون ومدنيون عظماء، ولكن ما يقوله هذا الرجل المسكين هو أكثر ذكاءً». وهذا ما حصل. أُنقذت الصخرة وأُنقذت الطريق، ولكن الفكرة أتت من رجل فقير مسكين.

لقد شاهدت هذه الظاهرة أثناء مقابلتي لآلاف الناس. وجدت بأن معظم الأشخاص المفكرين لا يتحلون بقسط وافر من الذكاء، فهم ليسوا بحاجة لأن يكونوا أذكياء لأن فكرهم ومعرفتهم تغنيهم عن ذلك. ولكن الرجل الذي لا يملك أي قسط من الفكر، من المعرفة أو الثقافة، يجب أن يجد الذكاء في داخله. إذ لا يمكنه البحث عنه في الخارج. وبما أنه سيعتمد على ذكائه، يبدأ الذكاء بالنمو.

وهكذا نرى أن الذكاء هو القاسم المشترك بين الحدس والفكر.

إن الفكر والذكاء يعملان بطرق مختلفة. الفكر يعمل بطريقة الخطوات المتتابعة والمتصلة منطقيًا بعضها ببعض.

في الهند امرأة تدعى شاكونتالا Shakuntala، زارت معظم جامعات العالم حيث قدّمت محاضرات عن الحدس. وهي ليست بعالمة رياضيات، وليست مثقفة، وقد أنهت دراستها الثانوية فقط. وعندما كان آينشتاين على قيد الحياة، كانت تقوم بالتدليل على الحدس في حضوره، وكانت طريقتها في التدليل غريبة. كانت تقف أمام لوح أسود وفي يدها قطعة طبشور؛ تطلب منك أن تطرح عليها أي سؤال حسابي أو رياضي، وقبل أن تنتهي من طرح السؤال تكون قد باشرت بكتابة الجواب.

لقد أعطاها ألبرت آينشتاين شهادة رسمية - أرتني هذه الشهادة في مدينة مدراس حيث تسكن. وفي الواقع أرتني شهادات عديدة ومنها شهادة آينشتاين التي تقول: «لقد طرحت على هذه المرأة سؤالاً يتطلب مني ثلاث ساعات للإجابة عليه لأن علي اتّباع طريقة منهجية متكاملة للحصول على الجواب؛ لا يمكنني أن أقفز فورًا من السؤال إلى الجواب. أنا أعلم أنه ليس باستطاعة أحد أن يحلّ هذا السؤال بأقل من ثلاثة ساعات. ومعظم الناس يحتاجون إلى ست ساعات على الأقل، ولكن بإمكاني التوصل إلى الحلّ خلال ثلاث ساعات لأنني قمت بحلّ أعمال مشابهة في السابق. وللتوصل إلى الحل، علي اتّباع طريقة معيّنة بحذافيرها، إذا سهوت عن أية خطوة، يستحيل

التوصّل إلى الحلّ....». ولقد كانت الأرقام في غاية الضخامة لدرجة أنـــها اســـتخدمت مســـاحة اللـوح الأسـود بكاملـه لكتابـة الجواب. وقبل أن ينتهي آينشتاين من طرح السؤال، كانت تباشر بكتابة الجواب.
أصـــيب آينشـــتاين بالدهشـــة، لأن الأمـــر يبـــدو مســـتحيلاً. وسألها: «كيف تفعلين ذلك؟».
أجابت: «لا أدري كيف أفعل ذلك - شيء ما يحدث. عندما تطرح علي السؤال تبدأ الأرقام بالظهور أمام عيني، في مكان ما في الداخل. وعندما أرى الأرقام أباشر بالكتابة».
لقـد ولـدت هـذه المـرأة وحدسـها يعمـل علـى أكمـل وجـه. ولكنني شعرت حقًا بالحزن عليها لأنها استُخدمت كسلعة في معرض فقط. لم يهتم أحد بكونها امرأة مولودة مع حدس يعمل على أكمل وجه، ويمكنها أن تصبح متنورة بسهولة. إنها تقف على الحد الفاصل؛ خطوة واحدة وتصبح في عالم الوعي الأعلى. ولكنها غير مدركة لذلك، لأن حالتها هي عمل شاذ تسبّبت به الطبيعة.
هناك شخص آخر، فتى يدعى شانكاران Shankaran كان يجرّ عربة نقل في المدينة. وكان أستاذ رياضيات بريطاني يطلـب مـن شـانكاران أن ينقلـه إلـى الجامعـة فـي بعـض الأحيان. مرة أو مرتين، عندما كان الأستاذ يفكر ببعض المسائل الرياضية، كان الفتى ينظر إليه ببساطة ويقول: «هذا هو الجواب». ولم يكن الأستاذ قد نطق بأي شيء حتى الآن - كان يفكر فقط - والفتى كان يجر العربة، ولكنه قال: «هذا هو الجواب».
ذهب الأستاذ إلى الجامعة وعمد إلى حل المسألة بالطريقة المنـهجية المتبعـة، وبعـد أن انتـهى مـن ذلـك، فوجـئ أن الجواب الذي أعطاه الفتى كان الجواب الصحيح. وبعد أن حصل ذلك مرتين أو ثلاث مرات، سأل الفتى: «كيف تفعل ذلك؟».
أجـاب الفتـى: «لا أفعل أي شـيء». أشـعر بـوجودك خلفـي وأنت في حالة قلق، وبعدها تبدأ الأرقام تتراءى لي. إن ثقافتي بسيطة ولكن باستطاعتي فهم الأرقام بسهولة. وأنا أرى أرقامًا كثيرة في ذهنك وأنت خلفي وبعد ذلك تظهر بعض الأرقام في ذهني، فأقول لك هذا هو الجواب. لا أدري كيف يحصل ذلك».
لقد أرسل الأستاذ شانكاران إلى أكسفورد لأنه كان متقدمًا فـي حدســه علـى تلـك المـرأة. كـان عليـك أن تطـرح عليـها السؤال فتبدأ هي بكتابة الجواب؛ ومع شانكاران، كل ما عليك فعله هو تصوّر السؤال في ذهنك ويقوم هو بعد ذلك بكتابة الجواب. كان حدسه يعمل على أكمل وجه، وكان يرى الاثنين، الجواب والسؤال - كان باستطاعته أن يقرأ أفكارك. كان غير مثقف وشديد الفقر لدرجة أنه كان يجر عربة نقل لتأمين معيشته. ولقد أصبح ظاهرة في تاريخ الرياضـــيات لأنـــه حـلّ مسـائل كثـيرة لـم يتمكـن علمـاء الرياضيات من حلّها لعدة قرون - ولم يكن بإمكانه أن يقول كيف توصّل إلى حلّها. كان يعطي الجواب فقط. ولكن كيف يمكننا أن نعرف ما إذا كان الجواب صحيحًا أو خاطئًا؟ لقد تطلب ذلك عدة سنوات جرى خلالها تطوير طرائق رياضية حديثة. في ذاك الوقت كان شانكاران قد فارق الحياة ولكن أجوبته كانت صحيحة.
إن الحـدس يعمـل بطريقـة نوعيـة مفاجئـة ولا يتبـع أيـة طريقة منهجية، إنه بكل بساطة يرى الأمور.
الحدس يرى أشياء لم نفكر أبدًا أنها أشياء - الحب على سبيل المثال، لم نفكر بالحب أبدًا كشيء. ولكن أي شخص يتحلّى بالحدس، يمكنه أن يرى الحب، الثقة والشك في داخلك. يمكنه أن يراها كأشياء.

وفي اعتقادي، يحتل الحدس المرتبة الأعلى، وأنا أحاول أن أدفعك إلى هذا المستوى.
عندما يكون عقلك اللاواعي مليئًا بالترسُّبات يعيق تقدمك. أَزِلْ هذه الترسُّبات؛ والطريقة التي يمكنك بواسطتها أن تزيل هذه الترسّبات هي إشباع جميع حاجات العقل بأكبر قدر ممكن. عندها سيمتلئ فكرك بدفق جديد من الطاقة التي تتحول إلى ذكاء. وكلما تعاظمت هذه الطاقة، اقتربت من أبواب الحدس. وعند ذلك ستتمكن من رؤية أشياء لا يمكنك أن تراها بالعين المجردة.
الحب، والحقيقة، والثقة ليست أشياء ولكنها حقائق واقعية - أكثر واقعية من الأشياء التي تعرفها. ولكنها حقائق واقعية فقط بالنسبة للحدس، إنها حقائق وجودية. وعندما يباشر حدسك بالعمل، تصبح إنسانًا حقيقيًا.
مع اللاوعي، أنت حيوان. ومع الوعي، لم تعد حيوانًا. مع الوعي الأعلى، أصبحت إنسانًا. وأود هنا أن أستشهد بأحد الصوفيين، لأن هذا الرجل لخّص فلسفتي بعبارة واحدة: «فوق كل شيء هناك حقيقة الإنسان، وفوق ذلك لا وجود لأي شيء».
هذا الرجل هو متديّن حقيقي.
عندما تستخدم إمكانياتك الإنسانية بكامل طاقاتها، تكون قد وصلت إلى مسكنك.

عوائق المعرفة

أن تتحلّى بالعرفان هو أن تكون صامتًا، في منتهى الصمت، كي تتمكّن من سماع الصوت الهادئ في داخلك.
أن تتحلّى بالعرفان هو أن تتخلّى عن الفكر.
عندما تكون في حالة هدوء مطلق، حالة سكينة تامة، تنفتح الأبواب.
أنت جزء من هذا الوجود الغامض.
تتعرف إليه بأن تصبح جزءًا منه، بأن تصبح مشاركًا فيه.
هذا هو العرفان.

المعرفة

ما هو الفرق بين المعرفة والعِرْفان؟ لا يوجد أي فرق في المعجم، ولكن هناك فرق شاسع على صعيد الوجود. المعرفة هي نظرية، والعرفان هو تجربة ذاتية. العرفان يعني أن تفتح عينيك فترى؛ أما المعرفة فتعني أن شخصًا آخر فتح عينيه فرأى وتكلّم عمّا رآه وقُمْتَ أنت بجمع هذه المعلومات. والمعرفة ممكنة حتى ولو كنت فاقد البصر. أما العرفان فهو غير ممكن إذا كنت فاقد البصر. والعرفان ممكن فقط عندما تشفى عيناك، عندما تتمكن من الرؤية. العرفان هو تجربتك الحقيقية؛ أما المعرفة فهي مزيفة. إنها لعنة، مصيبة وسرطان.
من خلال المعرفة، يتم فصل الإنسان عن الكل - المعرفة تخلق المسافة. تمر بزهرة برية في الجبل وأنت لا تعرف ما هي؛ لا يمكن لفكرك أن يخبرك بأي شيءٍ عنها، إنه صامت. تنظر إلى الزهرة، ترى الزهرة، ولكن لا تتحقق أية معرفة في داخلك - هناك سحر، هناك سر. الزهرة هناك وأنت هناك وتتحدان عبر هذا السحر. ولكنك إذا عرفت أنها زهرة أو أي شيء آخر، فهذه المعرفة ستفصل بينكما. المعرفة لا توحّد، إنها تخلق المسافات.
كلما ازدادت المعرفة، كبرت المسافة؛ والعكس صحيح. عندما لا توجد المعرفة، تزول المسافة ويتحقق الاتصال.
في اللحظة التي تقع فيها بالغرام لا يوجد أية مسافة فاصلة. هناك فقط سحر، فرحة عارمة، إثارة ونشوة - ولكن لا وجود للمعرفة. لا تعرف من هو هذا الشخص. ومن غير معرفة، لا يوجد شيء ليفصل بينكما؛ ومن هنا روعة أولى لحظات الحب. بعد أن تمضي وقتًا مع هذا الشخص - لمدة أربع وعشرين ساعة فقط - تنبثق المعرفة. والآن لديك بعض الأفكار عن هذا الشخص، لقد كوّنت صورة عنه. أربعة وعشرون ساعة خلقت ماضيًا. وهذه الساعات تركت أثرها في ذهنك. تنظر إلى الشخص نفسه ولكن لا ترى السحر الغامض نفسه. لقد وصلت إلى القمة وبدأت بالانحدار.
أن نفهم أن المعرفة تفرّق وتخلق المسافات، يعني أننا فهمنا سرّ التأمل.

والتأمّل حالة بعيدة عن المعرفة، هو فضاء شاسع لا تلامسه المعرفة. نعم، إن النص التوراتي صحيح - أن سقوط الإنسان كان من خلال المعرفة، لأنه أكل ثمرة من شجرة المعرفة. ويبدو أنه من غير المنطقي أن يكون الأنسان قد سقط من خلال المعرفة. يبدو غير منطقي لأن المنطق هو جزء من المعرفة! المنطق يساند المعرفة بشكل مطلق.

إن الشخص الذي يعتمد المنطق بصورة مطلقة - والذي هو دائمًا سليم العقل، لا يسمح لأي شيء غير منطقي في سلوكه - هو شخص مجنون. ذلك أن سلامة العقل يجب أن توازن بالجنون؛ والمنطق يجب أن يوازن باللامنطق. والأضداد تتلاقى ويوازن بعضها بعضًا. والشخص الذي لا يعتمد إلا على المنطق هو غير عاقل - سيفوته الكثير. وفي الواقع، سيفوته كل ما هو جميل وكل ما هو حقيقي. وسيتلهّى بجمع الأشياء التافهة وسيحيا حياة دنيوية.

إن هذا النص التوراتي فيه مقدار كبير من التبصر. لماذا سقط الإنسان من خلال المعرفة؟ لأن المعرفة تخلق المسافة، تخلق «أنا» و«أنت»، تخلق الفاعل والمفعول به، العارف والمعروف، والمراقِب والمراقَب. والمعرفة هي أساسًا فصامية؛ تخلق انفصامًا يجعل عملية العبور والالتحام مستحيلة.

يقول عيسى عليه السلام ما معناه إن «من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله»... فما هي الصفة التي يملكها الطفل والتي أضاعها الراشد؟ الطفل يملك صفة اللامعرفة والبراءة. ينظر مندهشًا، عيناه في منتهى النقاوة. ينظر بعمق ولكن من غير أفكار أو أحكام مسبقة. إنه لا يسقط معرفته على ما يراه؛ وبذلك يتمكن من معرفة حقيقة ما يراه. إن الطفل يعرف الحقيقة، والراشد يعرف فقط الواقع الدنيوي. والواقع الذي خلقه حوله بواسطة الإسقاط، والرغبة والتفكير، هذا الواقع هو تفسيره للحقيقة.

إن الحقيقة هي الحقيقة؛ والواقع هو ما توصّلت إلى فهمه - هو تصوّرك للحقيقة. والواقع يتألف من أشياء متفرقة، أما الحقيقة فهي طاقة كونية واحدة. الواقع هو تجمُّع، والحقيقة هي تكامل.

لقد قال كريشنامورتي J. Krishnamurti إن «الإنكار هو الصمت». أن تنكر ماذا؟ أن تنكر المعرفة، أن تنكر العقل، أن تنكر هذا الانشغال الدائم في داخلك... أن تخلق فسحة غير مشغولة. وعندما لا تكون منشغلاً، تصبح في حالة تناغم مع الكل؛ وعندما تكون منشغلاً يزول التناغم. وهكذا عندما تحين الفرصة وتتمكن من التوصل إلى لحظة الصمت، ستشعر بفرح غامر. تلك اللحظة، يصبح للحياة معنىً وتمتلك الحياة عظمة تفوق الوصف؛ في تلك اللحظة تصبح الحياة رقصة. في تلك اللحظة، حتى لو وافتك المنية، ستكون رقصة واحتفالاً لأن تلك اللحظة لا تعرف سوى الفرح. تلك هي لحظة فرِحة وسعيدة.

يجب إنكار المعرفة - ولكن ليس لأنني أقول ذلك، أو لأن أحد الحكماء قال ذلك. إذا أنكرتَ المعرفة لأنني قلت ذلك، عندها ستنكر معرفتك وتستبدلها بمعرفتي ويصبح ما أقوله جزءًا من معرفتك. تبقى الأفكار والآراء تتغير.

إذًا كيف يمكننا إنكار المعرفة؟ بالطبع، ليس باستبدالها بمعرفة أخرى. يكفي أن نرى وبقوة أن المعرفة تخلق مسافة.

هذه القوة هي النار التي ستحوّل معرفتك إلى رماد. هذه القوة هي ما ندعوه التبصُّر (الاستبصار). وهذا التبصّر سيحرق معرفتك ولا يستبدلها بمعرفة أخرى. بعد ذلك سيحلّ

الفراغ وبعده سيحلّ العدم. لأن المحتوى سيزول وتحلّ محلّه الحقيقة المطلقة.
يجب أن ترى وليس أن تتعلم ما أقول. هنا، وأنت تستمع إلي، لا تبدأ بجمع المعرفة. إن الإصغاء إلي، يجب أن يكون تجربة في التبصُّر. ويجب أن تصغي بقوة، بكل طاقتك، بكل الوعي المتوفر لديك. وعبر ذلك الوعي سترى «نقطة»، وهذه الرؤيا ستكون التحوّل بحد ذاته. ولست بحاجة لكي تقوم بأي عمل لاحقًا؛ إن الرؤية بحد ذاتها ستسبّب التحوّل.
إذا احتجت لأي جهد، فهذا يعني أنك أخطأت. وإذا أتيت غدًا وقلت لي: «لقد فهمت أن المعرفة هي لعنة وأنها تخلق مسافة. ولكن كيف يمكنني التخلص منها؟» - فإن هذا دليل على أنك أخطأت. وعندما تسأل عن الكيفية، فذلك يعني أنك أخطأت. ويجب أن لا تستخدم كلمة «كيف» لأنها تدل على أنك تريد مزيدًا من المعرفة، من الطرق والتقنيات.
إن التبصر كافٍ؛ لا يحتاج إلى جهود إضافية. نيرانه تكفي بسهولة لحرق كل المعرفة التي تجمعت في داخلك. تَأمَّلِ «النقطة».
عندما تصغي إلي، رافقني، أمسك بيدي وتحرّك في الفسحات التي أحاول أن أنقلك إليها، وتأمّلْ ما أقوله. لا تجادلْ - لا توافق، لا تعارض. كن فقط معي في هذه اللحظة - وفجأة سيأتي التبصّر. إذا كنت تصغي بانتباه... وعندما أقول بانتباه، لا أقصد التركيز؛ ما أقصده ببساطة، هو أن تصغي بكامل وعيك، أن تصغي بذكاء، بحيوية وبانفتاح. أنت هنا الآن برفقتي، وليس في أي مكان آخر - وهذا ما أقصد بالانتباه. أنت لا تقارن في ذهنك ما أقوله مع أفكارك القديمة. أنت لا تقارن على الإطلاق، أنت لا تصدر أية أحكام.
في أحد الأيام كنت أتكلم مع أحد الباحثين عن الحقيقة. كان يملك مزايا الباحثين عن الحقيقة، ولكنه كان يعاني أعباء المعرفة. وفي الوقت الذي كنت أتحدث إليه، كانت عيناه مليئتين بالدموع. كان على وشك أن يفتح لي قلبه، وفي هذه اللحظة بالذات تدخّل فكره وأفسد جمالها. وتلك الدموع التي كانت على وشك الانهمار، اختفت من عينيه. ماذا حصل؟ لقد قلت شيئًا لم يستطع الموافقة عليه.
لولا المقارنة، لما كان قد نظر إلى الموضوع من هذه الزاوية. ما علاقتي بالكابالا Cabala، باليوغا Yoga، بالتانترا Tantra، بهذه أو تلك؟ عندما تكون معي، كن معي. وأنا لا أقول هنا وافقني الرأي، تذكَّر - لا علاقة للموافقة أو المعارضة بذلك.
عندما ترى وردة، هل توافقها أو تعارضها؟ عندما ترى بزوغ الشمس، أتوافق أو تعارض؟ عندما ترى القمر في الليل، ما تفعله ببساطة هو رؤية القمر! إما أنك تراه، أو لا تراه. لا دخل هنا للموافقة أو المعارضة. أنا لا أحاول أن أقنعك بأي شيء. أنا لا أحاول إقناعك باعتناق أي نظرية، أو فلسفة، أو عقيدة أو مذهب ديني، أنا لا أسعى لذلك. أنا فقط أشاركك تجاربي، وإذا شاركتني هذه التجارب، قد تعيشها أنت أيضًا. فالمشاركة معدية.
التبصُّر هو تحوُّل.
عندما أقول إن المعرفة لعنة، يمكنك أن توافقني أو تعارضني الرأي - وبهذا تكون قد أخطأت. يجب أن تصغي إلى المعرفة، يجب أن ترى من خلالها، يجب أن تختبر عملية المعرفة بأكملها. عندها ترى كيف أن المعرفة تخلق المسافة، تخلق العوائق، وكيف أنه كلما ازدادت المعرفة كبرت المسافة. كيف تضيع البراءة من خلال المعرفة، كيف يُدمَّر السحر ويُقضى عليه من خلال المعرفة وكيف تصبح الحياة باهتة ومملّة من خلال المعرفة. فعندما تعتقد أنك

ملكت المعرفة، تختفي وتضيع الأسرار الغامضة. وكيف يمكن أن يكون هناك أسرار غامضة عندما تعرف؟ الأسرار الغامضة ممكنة عندما لا تعرف.
وتذكّر أن الإنسان لا يعرف شيئًا! كل ما جمعناه هو نفايات. والمعرفة الحقيقية لا تزال بعيدة كل البعد عن متناولنا. وكل ما جمعناه هو وقائع فقط، ولم تتمكن جهودنا من ملامسة الحقيقة حتى الآن. وهذا الواقع لا ينطبق فقط على تجارب أحد الحكماء، كريشنا، وكريشنامورتي ورامانا؛ بل ينطبق على تجارب أديسون، ونيوتن وآينشتاين. كما ينطبق على تجارب الشعراء، والرسامين والراقصين. إن كل أدمغة العالم - قد يكونوا صوفيين، أو شعراء أو علماء - تتوافق فيما بينها على أمرٍ واحد: كلّما زادت معرفتنا، فهمنا أن الحياة سرّ في منتهى الغموض. ومعرفتنا لا تدمّر هذا الغموض.
وحدهم الحمقى الذين يعرفون القليل، يظنون أن هذه المعرفة القليلة كافية لكشف سرّ الحياة. والعقول المتوسطة الذكاء فقط تصبح شديدة التعلّق بالمعرفة؛ أما العقل الذكي فيبقى دومًا سيّد المعرفة. يستخدمها بكل تأكيد - وهي مفيدة - ولكنه يعرف حق المعرفة أن كل ما هو حقيقي مخبأ، وسيبقى مخبأ. وأن بأمكاننا أن نستمر في ولوج طرق المعرفة، ولكننا لن نتمكن من كشف أسرار الحياة.
أصغِ بتبصّر، بانتباه، بكامل وعيك. ومن خلال هذا التبصّر سترى شيئًا. وهذه الرؤية ستغيّر نظرتك للأمور - يجب أن لا تسأل كيف. وهذا ما يعنيه كريشنامورتي عندما يقول: «الإنكار هو الصمت». والتبصر يؤدّي إلى الإنكار. وعندما تنكر شيئًا، فذلك يعني أنك دمّرت شيئًا ولم تستبدله بشيء آخر. عند ذلك سيسود الصمت لوجود فسحة شاسعة. سيسود الصمت لأنك تخلّصت من القديم ولم تستبدله بأي جديد. ويسمّي أحد الحكماء هذا الصمت شانياتا Shunyata. وهذا يعني أن الصمت هو الفراغ، العدم. والعدم فقط يمكنه أن يعمل في عالم الحقيقة.
إن الفكر لا يمكنه أن يعمل في عالم الحقيقة. الفكر يمكنه العمل فقط في عالم الأشياء، لأن الفكرة هي شيء أيضًا - شيء دقيق، ولكنه مادي أيضًا. وبسبب ذلك يمكننا تسجيل الفكرة، وإبلاغها ونقلها. وبإمكاني أن أطرح عليك فكرة؛ يمكنك أن تتبنّاها، يمكنك أن تمتلكها. يمكنك أخذها وإعطاؤها، يمكنك تحويلها لأنها شيء. إنها ظاهرة مادية.
ولا يمكن إعطاء العدم، لا يمكن لأي كائن أن يقدّمه لك. يمكنك أن تشارك فيه، يمكنك أن تنتقل إليه، ولكن ليس باستطاعة أحد أن يهديك إياه. إنه غير قابل للتحويل. وحده العدم يعمل في عالم الحقيقة.
ويمكن معرفة الحقيقة فقط في غياب الفكر. ولنتمكن من معرفة الحقيقة، يجب على الفكر أن يتوقف عن العمل، أن يلجأ إلى الصمت والسكينة.
ولا يمكن للفكر أن يعمل في عالم الحقيقة، ولكن بإمكان الحقيقة أن تعمل من خلال الفكر. ولا يمكنك أن تصل إلى الحقيقة بواسطة الفكر، ولكن عندما تصل إلى الحقيقة، يمكنك أن تستخدم الفكر لخدمتها. هذا ما أفعله، وهذا ما فعله أحد الحكماء وباقي المعلمين. ما أقوله هو فكرة، ولكن هناك فراغ خلف هذه الفكرة. هذا الفراغ لم تنتجه الفكرة، لأنه يتعدّى الفكر. ولا يمكن للفكر أن يلامسه أو ينظر إليه.

هل لاحظت هذه الظاهرة؟ - أنه ليس باستطاعتك أن تفكر بالفراغ، ولا يمكنك أن تجعل الفراغ فكرة. ولا يمكن للفراغ أن يكون موضوع تفكير. وإذا كان بإمكانك أن تفكر به، فهو ليس فراغًا على الطلاق. ويجب للفكر أن يغيب ليأتي الفراغ؛ فهما لا يلتقيان أبدًا. وعندما يحل الفراغ، يمكنه أن يعبّر عن نفسه بطرق مختلفة.

إن التبصّر هو حالة لافكر. وعندما ترى شيئًا، تراه دائمًا في غياب الفكر. هنا أيضًا، وأنت تصغي إلي، وأنت موجود معي، قد ترى في بعض الأحيان - ولكن ما تراه في هذه اللحظات هو فجوات وفواصل. لقد ذهبت فكرة، ولم تصل فكرة أخرى، فوُجِدَت الفجوة؛ وفي هذه الفجوة ينطلق شيء ما ويبدأ بالارتجاج، وكأن شخصًا يقرع الطبل - الطبل فارغ من الداخل؛ وهذا الفراغ يسبب انبعاث الصوت، لأن الفراغ يتذبذب. عندما تكون خاليًا من الأفكار، هناك إمكانية لحصول شيء ما، وبصورة فورية. عند ذلك يمكنك أن ترى ما أقول. وما أعنيه أن تجربتك لن تقتصر على سماع الكلمة، بل ستكون تجربة في عالم الحدس والتبصّر، ستكون رؤية. رؤية تأملت بها، وشاركتني إياها.

إن التبصر هو حالة لا فكر. إنه فجوة في تكوّن الفكر، وفي هذه الفجوة توجد الرؤية الخاطفة، توجد الحقيقة.

إن جذر كلمة فراغ باللغة الإنكليزية هو كلمة تعني غير مشغول. وعندما تكون غير مشغول، تكون فارغًا. والمثل الشعبي الذي يقول إن الفكر غير المشغول مرتع للشيطان، هو هراء. والعكس هو الصحيح: الفكر المشغول هو مرتع الشيطان. والفكر غير المشغول هو مرتع لله وليس للشيطان. ولكن يجب أولاً أن تفهم ما أعني بكلمة فراغ: غير مشغول، مسترخ، غير متوتر، مستقر، لا يشعر بأية رغبة، موجود هنا فقط، موجود بكامله إن فكرًا غير مشغول هو حضور تام. وفي هذا الحضور التام، كل شيء ممكن، لأن الوجود بكامله يأتي من هذا الحضور التام.

عندما لا يكون الذهن منشغلاً بالواقع ـ بالأشياء، بالأفكار ـ توجد الحقيقة. وفي الفراغ فقط يمكنك أن تلتقي الحقيقة وتتحد بها. في الفراغ فقط يمكنك أن تنفتح للحقيقة، ويمكن للحقيقة أن تدخل إليك. هذه هي حالات العقل الثلاث. الحالة الأولى هي المحتوى والوعي. هناك دائمًا محتوى في العقل - فكرة تتكوّن، رغبة تنبعث، غضب، جشع، طموح. والعقل يحتوي على شيء ما دائمًا. ولا يمكن العقل أن يكون غير مشغول أبدًا. فهناك حركة دائمة خلال الصحو وخلال النوم. ندعو المحتوى خلال الصحو، التفكير؛ وندعو المحتوى خلال النوم، الأحلام - إنها العملية ذاتها. ولكن الأحلام أكثر بدائية لأنها تفكر بواسطة الصور كما يفكّر الأطفال الصغار. إنها لا تستخدم المفاهيم، بل الصور. وهكذا في كتب الأطفال الصغار تُستخدم صور كبيرة وملوّنة في بادئ الأمر، لأنهم يفكرون ويتعلمون الكلمات بواسطة الصور. ومع مرور الزمن تصبح هذه الصور أصغر وأصغر ثم تختفي.

إن الرجل البدائي يفكر أيضًا بواسطة الصور. واللغات الأكثر قدمًا هي لغات صورية. اللغة الصينية هي لغة صورية: لا تملك أحرفًا أبجدية. وهي اللغة الأكثر قدمًا. وخلال الليل، تصبح بدائيًا مجددًا، تنسى لغة النهار الراقية المصقولة وتبدأ بالتفكير بواسطة الصور.

إن طريقة المحلل النفسي التبصرية قيّمة في هذا الإطار - لأنه يتفحص أحلامك. وتبرز الحقيقة بمزيد من الوضوح أثناء الحلم، لأنك تكون أكثر بدائية؛ أنت لا تحاول أن تخدع أحدًا، أنت

أكثر أصالة. خلال النهار، تمتلك حولك شخصية تخبئك - طبقات متعددة من الشخصية. ومن الصعب أن تجد الإنسان الحقيقي فيك. وعليك أن تبحث في الأعماق، وهذه عملية مؤلمة، ولذلك تقاومها. ولكن خلال الليل، بعد أن تخلع ملابسك، تخلع شخصيتك أيضًا. فلن تحتاج إليها لأنك لن تتواصل مع أحد، وستكون وحيدًا في فراشك. كما أنك لن تكون في هذا العالم، ولكن في عالمك الخاص، حيث لا حاجة إلى التخفّي أو الإدعاء. ولهذا السبب يحاول المحلل النفسي أن يدخل في أحلامك، لأنها تُظهر شخصيتك على حقيقتها بمزيد من الوضوح. واللعبة ذاتها، تتكرر ولكن بلغات مختلفة. وهذه هي حالة العقل الاعتيادية: عقل ومحتوى، وعي ومحتوى.
حالة العقل الثانية هي عقل من غير محتوى؛ وهذا هو التأمل. أنت في حالة يقظة تامة، وهناك فجوة، فاصل. ولا يوجد أية فكرة أمامك. أنت لست في حالة نوم، بل في حالة يقظة، ولكن لا توجد أية أفكار. هذا هو التأمل إن الحالة الأولى تدعى الفكر، والحالة الثانية تدعى التأمل.
وهناك الحالة الثالثة. عندما يختفي المحتوى، عندما يختفي المفعول به، لن يتمكن الفاعل من البقاء طويلاً - لأنهما يتواجدان معًا. يصنعان بعضهما البعض. وعندما يكون الفاعل وحيدًا، يمكنه أن يبقى فقط لفترة وجيزة، بسبب زخم الماضي. ومن غير وجود المحتوى، لا يمكن للوعي أن يدوم؛ ولن يكون له أية حاجة، لأن الوعي هو دائمًا وعي حيال شيء معيّن. عندما تقول «واعٍ» يمكننا أن نسأل «واعٍ لماذا؟» وعندما تقول، «أنا واعٍ ...» تحتاج إلى مفعول به. إذ لا يمكن تصور فاعل من غير مفعول به. وعندما يختفي المفعول به، سيختفي الفاعل أيضًا بعد قليل. أولاً يزول المحتوى ومن ثم الوعي.
إذًا الحالة الثالثة تدعى سامادي Samadhi - لا محتوى، لاوعي. ولكن تذكّر. وحالة اللامحتوى، اللاوعي هذه، هي ليست حالة لاوعي. إنها حالة الوعي الأعلى، حالة وعي تتعدى الخبرات المادية. والوعي الآن هو بحالة وعي لذاته فقط. لقد اكتملت الدائرة الآن. لقد وصلت إلى مسكنك. وهذه هي الحالة الثالثة، سامادي؛ وهي الحالة التي يدعوها أحد الحكماء، شانياتا.
عندما يختفي المحتوى - تصبح نصف - فارغ Half empty؛ وعندما يختفي الشعور - تصبح في حالة فراغ تام. وهذا الفراغ التام هو أجمل ما يمكن أن يحصل لك، هو أعظم النعم.

الفكر

أنا لست ضد الفكر بصورة مطلقة. فالفكر له فوائد، ولكنها محدودة. ويجب أن لا ننسى ذلك. وإذا كنت تعمل في المجال العلمي، يجب أن تستعين بفكرك. فهو آلية رائعة، ولكن فقط إذا لعب دور الخادم وليس دور السيد. إذا وأصبح هو السيد وسيطر عليك، عندها يصبح خطرًا. إن العقل رائع عندما يخدم الوعي، وخطر عندما يسيطر عليه.
يتعلق الأمر بمدى الأهمية التي نعطيها للفكر. أنا لست ضد الفكر على الإطلاق - أنا أستخدم الفكر شخصيًا، وكيف يمكنني أن أكون ضد الفكر؟ الآن وأنا أتحدث إليك، أستخدم الفكر. ولكنني أنا السيد وليس الفكر. إذا أردت استخدامه، أستخدمه، وإذا لم أرد ذلك، فليس له علي

أية سلطة. ولكن فكرك، عقلك، نشاطك الذهني يستمر في العمل، أردت ذلك أم لم ترده. إنه لا يعيرك أي اهتمام - وكأنك نكرة. حتى وأنت نائم، يستمر في العمل؛ لا يصغي إليك على الإطلاق. لقد احتل مركز القوة مدة طويلة لدرجة أنه نسي كلّيًا أنه خادم فقط.
عندما تمشي، تستخدم قدميك. ولكن عندما تكون جالسًا، لست بحاجة لتحريكهما. يقول لي الناس: «أوشو، تتحدث إلينا لمدة ساعتين متتاليتين وأنت جالس في نفس الوضعية، من دون أن تحرك قدميك مرة واحدة». ولماذا أحرّك قدمي؟ أنا لا أمشي! ولكن أنا أعرفكم جيدًا - حتى عندما تكونون جالسين على الكرسي، أنتم لا تجلسون. أنتم تحركون أقدامكم، تغيرون مواقعكم ووضعيات جلوسكم، تتقلّبون وتتمايلون، تقومون بمئات الحركات، أنتم في حالة تململ متواصلة. وحالة الفكر لا تختلف عن ذلك.
أنا أتحدث معكم، أنا أستخدم فكري. في اللحظة التي أتوقف فيها عن الكلام، يتوقف فكري أيضًا على الفور! عندما لا أتحدث معكم، لا يكون فكري بحاجة لأن يعمل. إنه ينتقل إلى حالة الصمت. وهكذا يجب أن تسير الأمور، بشكل طبيعي. وعندما أخلد إلى النوم، لا أحلم لأنني لا أحتاج إلى ذلك. أما أنت فإنك تحلم لأن هناك أعمالاً كثيرة لم تتمكن من إنجازها في النهار وعلى الفكر أن ينجزها. إنه عمل إضافي.
وكيف يمكنك أن تنجز أي شيء؟ وأنت تقوم بمئات الأعمال في نفس الوقت. وهكذا لا يمكنك إنجاز أي عمل؛ وتبقى جميع الأعمال غير تامة إلى الأبد. ولسوف ترحل عن هذه الدنيا ولن تتم أي من أعمالك ولا حتى في اتجاه واحد، لأنك تعمل في كل الاتجاهات. لقد أصبحت متشظيًا، ولم تعد متكاملاً. يدفعك الفكر باتجاه معيّن، والقلب يدفعك باتجاه آخر، والجسد يريدك في مكان ثالث، وأنت في حالة ضياع دائم - لمن تصغي؟ والفكر ليس واحدًا، ولديك أفكار متعددة وهي ليست متناغمة أو متحدة. كل منها يسير باتجاه خاص به ولا يصغي إلى الآخر. إنك لا تشبه الأوركسترا، فالتناغم مفقود كليًا. وكل ما تخلقه هو ضجة وليس موسيقى.
إن الفكر جيّد عندما يعمل كخادم للكل. وعندما تكون الأشياء في موقعها الصحيح، تكون جيدة، وعندما تكون في الموقع الخاطئ تكون سيئة. إن رأسك جيد إذا كان بين كتفيك، ولكنه سيئ إذا كان في مكان آخر.
إذا كنت تعمل في المجال العلمي، في مجال الأعمال، فأنت تستخدم الكلمة للتحدث مع الناس، وأنت بحاجة للفكر. ولكن مجال استخدام الفكر محدود. وهناك مجالات أعظم حيث لا حاجة فيها على الإطلاق ولكنه مع ذلك يستمر بالعمل حيث لا حاجة له؛ وهذه هي المشكلة. ثم إن الوسيط يستخدم فكره، ولكنه يستخدم حدسه أيضًا - وهو يعلم أن وظائف الفكر والحدس مختلفة. لذلك يستخدم رأسه ويستخدم قلبه.
كنت أنزل بضيافة أحد قضاة المحكمة العليا في مدينة كلكوتا عندما قالت لي زوجته: «أنت الرجل الوحيد الذي يكنّ له زوجي الاحترام. إذا قلت شيئًا، يصغي إليك، وعدا ذلك لا يصغي لأحد. لقد بذلت كل جهدي ولكنني فشلت. وهذا ما دعاني لأخبرك بذلك».
قلت: «ما المشكلة؟».
قالت: «المشكلة تزداد سوءًا كل يوم. إنه يمارس دور القاضي ليل نهار. حتى في الفراش، يمارس دور القاضي - وكأنه يتوقع أن أناديه «يا حضرة القاضي». إنه يتصرف مع الأطفال وكأنهم مجرمون، وكذلك مع باقي الناس. لقد سئمنا من ذلك. إنه لا ينزل من قوس

المحكمة، ويمارس دور القاضي دون توقف؛ لا ينساه أبدًا. لقد سيطر دور القاضي على تفكيره». ولقد كانت محقة - كنت على أتم المعرفة بزوجها. إنه لأمر مستحسن أن تكون قاضيًا في المحكمة. ولكن عندما تغادر قاعة المحكمة وتنقلها إلى المنزل، فإنك ستتصرف وكأنك قاضٍ مع زوجتك، وأطفالك، والآخرين. لقد كانت زوجة هذا القاضي وأولاده بحالة خوف دائم منه. وفي اللحظة التي كان يدخل فيها المنزل، كان الخوف يعم جميع أرجائه. وقبل ذلك بقليل كان الأولاد يلعبون بفرح وسعادة، ولكنهم توقفوا فجأة عن اللعب الآن. فالمنزل سيتحوّل فورًا إلى محكمة.

هذه حالة ملايين من الناس: يبقون على حالهم، وينقلون أعمالهم إلى المنزل.

أنت بحاجة إلى فكرك. للرأس وظيفته الخاصة، جماله الخاص، ولكن يجب أن يبقى في موقعه. وهناك الكثير من الأشياء العظيمة التي ليست بمتناول الرأس، وعندما تتجه إلى هذه المستويات، يجب أن تضع رأسك جانبًا. ويجب أن تتمكن من القيام بذلك؛ هذه هي الليونة، هذا هو الذكاء.

وتذكّر دائمًا أن هناك فرقًا بين الفكر والذكاء. فالفكر هو جزء من الذكاء فقط. والذكاء هو ظاهرة أكبر، تحوي أكثر من الفكر، لأن الحياة ليست فكرًا فقط، وإنما هي حدس أيضًا. والذكاء يحتوي على الحدس. فكثير من الاكتشافات العظيمة تحققت، ليس بواسطة الفكر، وإنما بواسطة الحدس. والواقع أن جميع الاكتشافات العظيمة تحققت بواسطة الحدس.

في داخلك شيء أكثر عمقًا. ويجب أن لا تنسى ذلك. والفكر هو الغلاف الخارجي، هو الإطار، وليس المركز في كيانك. المركز في كيانك هو الحدس.

عندما تضع رأسك وفكرك جانبًا، يبدأ شيء آخر أكثر عمقًا، لا يمكن للغلاف الخارجي فهمه بالعمل. يبدأ هذا المركز بالعمل وهو في حالة تناغم مع الكل. إن الغلاف الخارجي هو خاصتك الذاتية، ومركزك هو في حالة تناغم مع تاو Tao. المركز ليس خاصتي وليس خاصتك؛ إنه يخص الكون. والغلاف الخارجي هو شخصي، فردي - لكل منا غلافه الخارجي. ولكن المركز في داخلي وفي داخلك ليسا شيئين منفصلين؛ في المركز نلتقي جميعًا ونصبح واحدًا.

لهذا السبب يتمكن الصوفيون من معرفة وحدة الوجود - لأن ذلك يتم بواسطة الحدس. والعلم يمضي في طريق التقسيم والتجزئة؛ ويتوصل إلى اكتشاف أصغر الذرات. وهكذا يصبح العالم متعددًا وليس كونًا واحدًا.

في الواقع، على العلماء أن يقلعوا عن استخدام كلمة «كون» Universe؛ وأن يبدؤوا باستخدام كلمة جديدة: أكوان Multiverse في كلمة كون نغم صوفي - الكون يعني واحد. والصوفي يحاول الاتصال بواحد. وهذه هي التجربة التي يعيشها المركز. ولكن المركز يتمكن من القيام بوظيفته فقط عندما تنتقل من غلافك الخارجي إلى المركز. وهذا يحتاج إلى قفزة نوعية فجائية.

المخيّلة

إن القدرة الحدسية والقدرة التي تخلق بواسطتها واقعك ليسا فقط أمرين مختلفين كليًا، وإنما هما على طرفي نقيض. والحدس هو مرآة فقط، فهو لا يخلق الأشياء، بل يعكسها فحسب. يعكس ما هو موجود. إنه نقي، صامت، مياه في منتهى النقاوة تعكس النجوم والقمر. لا يخلق أي شيء. إنه النقاء الذي يدعونه في الشرق العين الثالثة. والعين لا تخلق الأشياء، وإنما تعلمك بما هو موجود هناك.

عندما نخلق واقعنا الخاص، ندعو ذلك المخيلة - وهذه قدرة الأحلام. أثناء الليل، تخلق أشياءً كثيرة في أحلامك. والشيء المثير للدهشة هو أنك كنت تحلم كل ليلة، وكنت تعلم في الصباح أن ذلك كان حلمًا - ليس حقيقيًا. ولكن عندما يعود الليل مجددًا وتخلد إلى النوم وتبدأ مخيّلتك بفرد أجنحتها، يزول الشكّ وتتقبّل الأحلام كحقيقة.

إن ملكة المخيّلة هذه يمكن أن تقوم بوظيفتها بطرق أخرى أيضًا. إنها تخلق أحلامك - التي تعلم أنها غير واقعية. ولكن عندما تأتيك الأحلام، تبدو واقعية - تبدو أكثر واقعية من عالم الواقع. لأنه في عالم الواقع، قد يساورك الشك أو تساورك الشبهات في بعض الأحيان. وعلى سبيل المثال، بإمكانك في هذه اللحظة أن تشك في ما إذا كان ما تراه أو تسمعه هنا واقعيًا، أم أنك استسلمت إلى النوم وترى حلمًا. قد يكون ذلك حلمًا. ولن تعرف الحقيقة إلّا عندما تستيقظ.

هذا هو الفرق الوحيد: في الواقع يمكنك أن تشكّ - يمكنك أن تقول: «قد يكون ذلك حلمًا». - ولكن في الحلم لا يمكنك أن تتساءل ما إذا كان ذلك حلمًا. هذا هو الفرق الوحيد بين الحلم والواقع. إن الواقع يسمح لك بالتفكير؛ والمخيلة لا تسمح بذلك.

بإمكان هذه الملكة نفسها أن تخلق أحلام يقظة.... أنت تجلس بصمت، لا تقوم بأي عمل، ويبدأ حلم بالطواف في عينيك؛ أنت مستيقظ ولكنك بدأت بالتفكير أنك رئيس البلد. وبما أنك مستيقظ، فإن جزءًا من وعيك يعلم أن هناك أفكارًا حمقاء تراودك؛ ومع ذلك فإن هذه الأفكار تخلق فيك أحاسيس جميلة تجعلك تستمر في الحلم بأنك انتصرت على العالم، أو أنك أصبحت أغنى رجل في العالم. إنك في حالة يقظة، ولكنك تخلق حلمًا. وإذا تعاظم هذا الأمر، ستصاب بالجنون. يمكنك الذهاب إلى أي مصحّ عقلي وستفاجأ بعدد الأشخاص الذين يعيشون في عالمهم الخيالي: يتكلمون إلى أشخاص وهميين - لا يتكلمون إليهم فحسب، بل يبادرون بالإجابة عنهم أيضًا - من دون أن يساورهم أي شك.

يمكن للمخيلة أن تخلق نوعًا من الجنون إذا بدأت بتصديق أحلام اليقظة - يمكنها أن تخلق حالات هلوسة.

هناك طريقة معينة إذا أردت أن تتحقق من ذلك. والوقت الذي تحتاج إليه هو ثلاثة أسابيع على الأقل، ويجب عليك أن تقوم بعمل شيئين من أجل تهيئة الجو لخلق الهلوسة. بعد ذلك يمكنك أن ترى أحد الحكماء واقفين أمامك، وأن تحصل على محادثة ممتعة معهم. بإمكانك أن تطرح الأسئلة وسيجاب على أسئلتك - بالرغم من أنه لن يتمكن أي أشخاص آخرين من رؤية شخص ما هناك، ولكن العيب عيبهم. إنهم لا يمتلكون السموّ الروحي الذي يمكنهم من رؤية الأشياء التي لا تُرى. وأنت بحاجة إلى شيئين أساسيين: أولاً، الصيام لمدة ثلاثة أسابيع. فكلما ازداد جوعك، تراجع ذكاؤك، لأن الذكاء بحاجة دائمة إلى مقدار معيّن من الفيتامينات - إذا لم يحصل عليها، فإنه سيخفت. وخلال ثلاثة أسابيع، سيتوقف عن العمل. إذًا، إن أول عمل يطلب إليك القيام به هو أن تدع فكرك يخلد إلى النوم. فخلال ثلاثة أسابيع من الصيام،

سيخلد ذكاؤك إلى النوم. ومع ذلك يمكن للمخيّلة أن تقوم بوظيفتها على أكمل وجه - وينتفي مجال الشك.
إن الشيء الثاني الذي يجب أن تحققه هو أن تكون وحيدًا، منفردًا - انتقل إلى مكان في جبل، غابة أو كهف، حيث تكون وحيدًا. وبما أن الإنسان تربّى في المجتمع، فإنه عاش دائمًا مع الناس. وهو يتكلم طوال اليوم. خلال الليل يتكلم في أحلامه، وفي النهار لا يتوقف عن الكلام من الصباح حتى يخلد إلى النوم. وبعد انقضاء الأسبوع الأول، يبدأ بالكلام مع نفسه، ولكنه يعلم أنه يجب ألاّ يسمعه أحد، لأنه يخشى أن يظنوا أنه مجنون. ولكن مع انقضاء الأسبوع الثاني يزول هذا الخوف لأن الذكاء بدأ يخفت ويبدأ بالكلام بصوت عالٍ. وبعد انقضاء ثلاثة أسابيع، يبدأ برؤية الشخص الذي يريد مقابلته: أحد الحكماء، صديق متوفى، أو أي شخص آخر. بعد ثلاثة أسابيع، يصبح بإمكانه أن يرى هذا الشخص في غاية الوضوح.
بإمكانك خلق واقعك الخاص: يمكنك أن ترى من تريد، أن تجري محادثة ممتعة معه، يمكنك أن تطرح أسئلة وتحصل على أجوبة - بالرغم من أنك ستكون السائل والمجيب. ولكن تبيّن أنه عندما تطرح السؤال، تستخدم طبقة صوتية مختلفة عن الطبقة التي تستخدمها عند الإجابة عليه. وهذا الشيء يحصل بالطبع في جميع المصحّات العقلية - الناس تتكلم مع الحجر.
يمكن تلخيص تاريخ الإنسان بعبارة واحدة: إنه تاريخ مليء بالهستيريا. لقد اختبر أحد الحكماء الصمت فقط، اختبر الفرح العظيم، الذي رافقه اثنتين وأربعين سنة بعد تنوّره. ولم يكن تنوُّره من صنع الخيال، لأن الخيال لا يدوم هذه المدة الطويلة؛ ولا يمكن للأحلام أن تحوّل حياة الإنسان. بعد تنوّره، أصبح إنسانًا مختلفًا. رافقه الفرح في كل لحظة من حياته. على أن هذه الأشياء يجب أن تُخلق أولاً، ويجب أن تضع نفسك في حالة معينة لتتمكن من رؤية ما تريد رؤيته. وإذا كان الشخص بحالة شوق جارف لرؤية شخص ما، فإنه مستعد للقيام بأي عمل من أجل ذلك - الصيام، العزلة...
إن الطاقة الجنسية المكبوتة، تساعد أيضًا على خلق حالات الهلوسة. والكل يعرف أن الفتيان والفتيات يعيشون حالات هلوسة موضوعها الجنس الآخر. وتأخذ أحلامهم أكثر فأكثر طابعًا جنسيًا. يصبح الجنس العامل المسيطر على عقولهم. ولست بحاجة لخلق واقعك الخاص، فكل ما عليك أن تفعله هو تطهير حواسك لكي تشعر بالواقع وحيويته وجماله المتعدد الألوان.
وفي الداخل يجب أن تكتشف الواقع، لا أن تخلقه؛ لأن أي شي تخلقه لا يمكن أن يكون سوى خيال. ويجب أن تدخل إلى أعماقك بصمت وتراقب - كن فقط متيقظًا وواعيًا لتتمكن من رؤية ما هو واقعي. وأولئك الذين رأوا الواقع يقولون إنك ستحيا تجربة صمت هائلة، فرح عظيم، سعادة لا متناهية، وحياة أبدية؛ ولكنك لن ترى أية آلهة وأية ملائكة. يجب أن تخلق هذه الأشياء لتراها.
يجب أن تسمو فوق الحدس، والمخيلة والفكر. يجب أن تصل إلى نقطة تتعدى الفكر: صفاء، هدوء وسكينة تعكس طبيعتك الحقيقية. هذا ما هو أنت، هذه هي الخامة التي صُنعت منها، هذه هي الخامة التي صُنع منها الكون بأكمله. يمكن أن نسميها الوعي الكوني، أو أية تسمية تفي بالغرض. ولكن تذكّر، أن ملايين الناس خدعوا أنفسهم بواسطة مخيّلتهم. والعملية بخسة وسهلة - هناك استراتيجية معيّنة يجب اتباعها، ويمكن عبرها أن تخلق الواقع.

ذات يوم، نزلتُ ضيفًا على أحد الأصدقاء في الهند. وكان ثمة مهرجان مقدس يتعاطى الناس خلاله شيئًا مشابهًا لحشيشة الكيف، يدعى بهانغ Bhang.. كان صديقي أستاذًا جامعيًا، رجلاً بسيطًا وصالحًا. قلت له: «لا تستخدم هذه المادة». لكنه ذهب للقاء بعض الأصدقاء الذين قدموا له بعض الحلوى والمشروبات الممزوجة بحشيشة الكيف. ولما اقترب منتصف الليل، ولم يعد إلى المنزل. كان علي أن أذهب للبحث عنه، لأعرف ما حصل. رأيته يقف عاريًا كليًا من الثياب، تحيط به جمهرة من الناس تصرخ بألفاظ بذيئة وترميه بالحجارة.

لم أتمكن من معرفة ماذا يجري. أوقفت الناس وقلت: «أنا أعرف هذا الرجل، يبدو أنه تناول بعض المخدرات». وبطريقة ما، تمكنت من جعله يرتدي ملابسه - وكان يعارض ذلك بشدة. وعندما حاولت رفع سرواله تملص مني وهرب.

لم أكن على معرفة بالمدينة، بعكس صديقي الذي كان يعرفها معرفة جيدة. تبعته لدقائق قليلة عبر الشوارع الضيقة، ولكنني أضعت أثره. وعند الصباح، اتصلت بي الشرطة وأخبرتني أنها أوقفت صديقي، فذهبت إلى السجن. في ذلك الوقت، كان قد عاد قليلاً إلى صوابه، ولكنه بقي مخمورًا بعض الشيء. لقد عرفني وقال لي: «أنا آسف أنني لم أصغ إليك». كانت هناك بعض الجراح على جسده بسبب الحجارة التي رُميت عليه.

أعدته إلى المنزل. ومنذ ذاك اليوم تملّكه الخوف من الشرطة، واستحوذ على عقله، ربما لأن الشرطة أقدمت على ضربه لتجعله يرتدي ثيابه ويتوقف عن التلفظ بالكلمات البذيئة. هذا الخوف تحوّل إلى بارانويا (جنون الاضطهاد) جعلت حياته صعبة. أثناء الليل، يتخيل شرطيًا يحرس الشارع، يسمع وقع أقدامه، فيقفز من فراشه ليختبئ تحت السرير. أقول له: «بالرام» هذا اسمه - «ماذا تفعل؟».

يقول لي: «التزم الصمت. الشرطة قادمة».

اضطررت أن أطلب من رئيس القسم في الجامعة أن يمنحه إجازة لمدة أسبوعين ليستريح، لأنه لم يكن بوضع يسمح له بإعطاء المحاضرات. أصبح كل شيء يثير ريبته - يرى شخصين يقفان في زاوية الشارع ويتحادثان، فيقول: «أنظر، إنهما يتآمران علي. دعني أقول لك أنهما سيتمكنان من القبض علي، وزجّي في السجن، ومن ثم الانهيال علي بالضرب. ساعدني بأية وسيلة». تمر سيارة شرطة فيقول: «يا إلهي! لقد أتوا».

حاولت بشتى الطرق أن أُفهمه أن ما يراه ناتج عن الخوف فقط. باستطاعتي أن أفهم كيف ابتدأت المشكلة، ولكنها أصبحت الآن في غاية الصعوبة. إنه لا يصغي إلي، لا ينام ولا يدعني أنام. في نهاية الأمر اضطررت إلى الذهاب إلى مفتش الشرطة وأخبرته القصة بكاملها. قلت له: «أنا بحاجة لمساعدتك. هذا الرجل هو في غاية البساطة والبراءة، لم يرتكب أية جريمة - لقد تعاطى حشيشة الكيف فقط. ولا أدري ما إذا كانت الحلويات والمشروبات التي تناولها ممزوجة بشيء آخر. ولا بد أن الشرطة أقدمت على ضربه لإجباره على ارتداء ملابسه. حاولت مساعدته، ولكنه هرب مني».

قال مفتش الشرطة: «كيف يمكنني المساعدة؟».

قلت: «يجب أن تحضر إلى المنزل وتجلب معك ملفًا - لأنه يردد دائمًا: لديهم ملفّ ضدي، وإنهم ينتظرون الفرصة المناسبة لإلقاء القبض علي - أيَّ ملفّ، وأصفادًا، ومذكرة توقيف مزيفة. إن مجرد رؤيته لك، ستفقده كل ذكائه. واحضر في الليل، يجب أن توقفه في

الليل. بعد ذلك سأحاول إقناعك، وسأعطيك مبلغًا قدره خمسة آلاف روبية لتدع الرجل وشأنه. ويجب أن تُظهر كثيرًا من التردد قبل أن تدعه وشأنه. بعدها سأطلب منك أن تحرق الملف. إذًا، قم بحرق الملف، وأثناء مغادرتك المنزل، قل لي بصوت مرتفع يمكنه سماعه: لم يعد هناك أية مشكلة الآن، لأن الملف احترق ولم يعد في حوزة البوليس أية أدلة للاتهام - ويمكنني أن أسترجع الخمسة آلاف روبية منك لاحقًا».

كان المفتش في غاية الطيبة، ووعدني بالحضور. ولقد حضر ليلاً، وفي اللحظة التي دخل فيها المنزل، اختبأ صديقي تحت السرير. اضطر المفتش لأن يجره من تحت السرير. وبعد أن أصبح في قبضة المفتش، قال لي بالرام» «أصغ إلي، لقد قلت لك مرارًا إنهم سيأتون... لقد أتى وبيده الملف».

أعطاني المفتش مذكرة التوقيف وقال: «يجب أن أقبض عليه». ثم كبّله بالأصفاد. حاولت إقناع المفتش ولكنه أجابني: «ليس بإمكاني عمل أي شيء، عليه أن يمضي خمس سنوات على الأقل في السجن».

نظر بالرام إلي وقال: «افعل شيئًا الآن، وإلاّ انتهى أمري».

عندها أعطيت المفتش الخمسة آلاف روبية وقلت له: «إنه رجل بسيط، أسدِ لي معروفًا ودعه وشأنه. إذا ارتكب أي عمل في المستقبل، سأكون أول من يسلّمه للشرطة. ولكن هذه هي جريمته الأولى، ولقد ارتكبها تحت تأثير المخدرات». تمكنت بصعوبة أن أقنع المفتش بإحراق الملف؛ وقمنا بإحراقه. ثم انتزع المفتش الأصفاد من يدي بالرام وقال لي: «لقد تم الأمر. ولكن إذا ارتكب أي جرم في المستقبل، فلن أتمكن من مساعدته. الآن، كل ما تبلغته الشرطة ضده، تم إحراقه كليًا. لم يعد للشرطة أية أدلة للقبض عليه». ومنذ ذلك الحين عاد بالرام إلى كامل رشده.

في اليوم التالي، كان علي أن أذهب مجددًا إلى مركز الشرطة لأسترجع الخمسة آلاف روبية. كان المفتش في غاية الطيبة. كان باستطاعته أن يحتفظ بالمال، ولكنه أرجعه لي وسألني: «كيف حاله؟».

قلت: «على أحسن حال. إنه يرى الشرطي يمشي في الحي ولا يبالي. قلت له مرة أو مرتين: ألا ترى الشرطي هناك؟ فأجابني: لا أبالي، لقد تم إحراق الملف».

لقد خلق بالرام حالة من الهلوسة في داخله. تعيش في حالة مشابهة من الهلوسة. قد تفاجأ إذا علمت أن أقدم النصوص الهندوسية تتكلم عن مخدّر معيّن يدعى سومراس Somras، كان يوجد في منطقة الهمالايا، وربما لا يزال متوفرًا، ولكن لا ندري كيف نتعرف عليه. كان شرب السومراس ممارسة اعتيادية من قبل جميع رجال هذه المعتقدات.

أحد الرجال الأكثر ذكاءً في القرن العشرين، وهو ألدوس هاكسلي Aldous Huxly، كان في غاية الحماس عندما تم اكتشاف مخدر LSD - كان أوّل مروج لهذا المخدر. لقد توهّم أنه بإمكان الإنسان أن يتوصل بواسطة هذا المخدر إلى أن يحيا تجارب روحية مماثلة لتجارب حكماء أمثال، كابير Kabir، وناناك Nanak. ويقول هاكسلي في كتابه بعنوان «الجنة والجحيم» إن العلم في المستقبل، سيتمكن من خلق المخدر النهائي بواسطة التركيب الاصطناعي. وسيدعى هذا المخدر سوما Soma، تخليدًا لذكرى أول مخدر استخدمه رجال الدين - سومراس.

ومنذ القدم، منذ ظهور أقدم النصوص الهندوسية، والمتديّنون الهندوس يتناولون جميع أنواع المخدرات ليعيشوا تجارب مع آلهتهم المتخيلة.
لقد صادفت أحد أتباع الزعيم الديني كابير... الذي يتعاطى أتباعه جميع أنواع المخدرات، لدرجة أنهم يكوّنون مناعة ضدها. بعد ذلك يبدأون باقتناء أفاعي الكوبرا ويجعلونها تعضّ ألسنتهم. هذا فقط يشعرهم بالتجربة الدينية! لقد شاهدت أحد أديرة أتباع كابير حيث يوجد عدد كبير من أفاعي الكوبرا الضخمة، الخطرة ـ عضة واحدة وتفارق الحياة، لا يوجد لها أي علاج. ولكن هؤلاء الرهبان كانوا بحاجة إلى سم هذه الأفاعي، لأن باقي المخدرات التي تعاطوها بإفراط فقدت فعاليتها.
قد لا يكون من قبيل المصادفة، أن الأجيال الشابة في الغرب أصبحت تبدي اهتمامًا بشيئين اثنين معًا، بالمخدرات، وبالشرق، يأتون إلى الشرق ليجدوا طريقة ما ليعيشوا خبرات غير اعتيادية، خبرات تتعدى عالمهم الدنيوي الذي نالوا منه الكفاية. لقد فقد الجنس قدرته الجاذبة، وأصبحت الكحول غير مثيرة للاهتمام، فبدأوا يأتون إلى الشرق بحثًا عن بعض التقنيات التي قد تساعدهم على خلق واقع جديد. وفي معظم الصوامع في الشرق، سيجدون تقنيات تساعد مخيلتهم. وتلك التقنيات هي أنواع دقيقة من المخدرات.
وفي الغرب، تعاطى المخدرات أعداد كبيرة من الناس. والآن هناك آلاف الشابات والشبان الذين يعانون في السجون الأميركية والأوروبية لتعاطيهم المخدرات.
ولكنني أنظر إلى المشكلة بطريقة مختلفة. أراها كبداية لعملية بحث عن شيء يتعدى العالم الاعتيادي ـ بالرغم من أنهم يتبعون طريقة خاطئة، لأن المخدرات لن تمكنهم من خلق الواقع. يمكنك أن تخلق واقعًا بواسطة المخدرات، ولكنه لن يدوم سوى ساعات معدودة، وبعدها يجب أن تتناول كمية إضافية من المخدرات. وفي كل محاولة جديدة، يجب أن تتناول كمية أكبر وأكبر من المخدرات، لأنك تكوّن مناعة ضدها.
ولكن هناك فورة كبيرة في تعاطي المخدرات لم يسبق لها مثيل بين الشبان. إنهم على استعداد لتحمل عذاب السجن، ويخرجون منه ويعودون إلى تعاطي المخدرات. في الواقع، لو كان لديهم بعض المال، لتمكنوا من الحصول على المخدرات في السجن، من الحراس أو موظفي الإدارة في السجن.
أنا لا أنظر إلى هذه المشكلة على أنها مؤشر سلبي. ما أراه هو أن جيلاً شابًا اتبع اتجاهًا خاطئًا. إن قصدهم سليم، ولكن لا يوجد من يخبرهم أن المخدرات لن تحقق رغباتهم أو ما يتوقون إليه. إن التأمل، الصمت، والسمو فوق الفكر، هي الطرق الوحيدة لتحقيق رغباتك.
ولكن يجب أن لا ندين ونعاقب هذا الجيل الشاب. أما الأجيال السابقة هي المسؤولة لأنها لم تؤمّن له البديل.
أنا أقترح الخيار الوحيد - عندما تختار التأمل طريقًا لك، لن تحتاج إلى أي شيء آخر. لن تحتاج لخلق أي واقع، لأنك تبدأ برؤية الواقع الحقيقي. أما الواقع الذي نخلقه فليس حقيقيًا، إنه حلم - ربما كان حلمًا جميلاً، ولكن الحلم هو حلم في النهاية. والناس في حالة ضياع، وقياداتهم الدينية والسياسية، وحكوماتهم، ومؤسساتهم الثقافية، غير قادرة على دفعهم في الاتجاه الصحيح.

أنظر إلى ما يجري على أنه دليل على وجود عملية بحث جدي، يجب علينا أن نرحّب بها. وكل ما علينا القيام به، هو إعطاؤها الاتجاه الصحيح - الذي لا يمكن للمعتقدات والمجتمعات القديمة توفيره. نحن بحاجة ماسة إلى ولادة مجتمع إنساني جديد. نحن بحاجة ماسّة لأن نقضي على هذه الأمراض والبشاعات التي تدمّر عددًا كبيرًا من الناس في العالم.
يجب على كل شخص أن يعرف ذاته وواقعه. وإنه لأمر جيد أن الرغبة في ذلك قد بدأت بالظهور. وعاجلاً أم آجلاً، سنتمكن من دفع الشباب في الاتجاه الصحيح. علمًا أن الأشخاص الذين أصبحوا نساكًا زاهدين تعاطوا جميع أنواع المخدرات، وعندما أصبحوا نساكًا وابتدأو بممارسة التأمل، تمكنوا تدريجيًا من التخلص من المخدرات. وهم ليسوا بحاجة إليها الآن. لم يُعاقبوا، ولم يُسجنوا، بل وجدوا الاتجاه الصحيح فحسب - والحقيقة هي أقصى نعمة يمكن أن نطمح إليها.
إن الوجود يعطيك بسخاء، الكينونة، والحب، والسلام، لدرجة أنه لا يمكنك أن تطلب أكثر من ذلك. ولا يمكنك أن تحلم بأكثر من ذلك.

السياسة

إن عالم السياسة ينتمي أساسًا إلى المستوى الغريزي. حيث يمارس قانون الأدغال: القوة تصنع الحق. والأشخاص الذين يهتمون بالسياسة هم من النوعية دون الوسط. ذلك أن السياسة لا تحتاج إلى أية مؤهلات ما عدا واحدة ـ وهي شعور عميق بالنقص.
ويمكن اختزال السياسة إلى مثل رياضي: السياسة تعني إرادة السلطة (القوة).
لقد وضع فريديريك نيتشيه Friedrich Nietzsche كتابًا بعنوان «إرادة القوة» Will to Power. وإرادة القوة، أو السلطة تعبّر عن نفسها بطرق مختلفة. لذلك يجب أن لا نفهم بالسياسة المعنى المتعارف عليه للكلمة فحسب. إذ عندما يحاول أي شخص أن يصل إلى السلطة، فهذه سياسة. بغضّ النظر عن مستوى السلطة، أكانت سلطة الدولة أو الحكومة أو أي سلطة أخرى...
بالنسبة لي، إن كلمة سياسة هي أكثر شمولية من المعنى المتعارف عليه. لقد حاول الرجل عبر التاريخ ولا يزال يحاول اتباع استراتيجية سياسية حيال المرأة - على أنها أدنى منه. ولقد أقنع المرأة بذلك. وكان هناك أسباب جعلت المرأة عاجزة عن مقاومة هذه الفكرة التي هي في منتهى البشاعة والسخافة. فالمرأة ليست أدنى أو أرفع شأنًا من الرجل. إنهما صنفان مختلفان من البشرية ـ لا يمكن مقارنتهما. المقارنة بحد ذاتها حمقاء.
لماذا اعتُبِرت المرأة أدنى من الرجل في جميع أنحاء العالم؟ ـ لأن هذه الطريقة كانت الطريقة الوحيدة لتقييدها واستعبادها. ولو كانت المرأة مساوية للرجل، لتسبّب ذلك بمشكلة؛ يجب تطبيعها على قبول الفكرة التي تقول إنها أدنى من الرجل. والأسباب التي تبرر ذلك هي أنها أقصر من الرجل لناحية القامة، وأضعف منه لناحية القوة الجسدية، وأنها لم تنتج أية فلسفة ولم تؤسس أية ديانة. كما أنه لم يبرز عدد هام من النساء في مجال الموسيقى والرسم - وهذا دليل على أنها لا

تملك ما يكفي من الفكر والذكاء؟ وأن لـيس لـديها أي اهتمـام بالقضـايا الكبـرى فـي الحيـاة؛ اهتمامها محدود: إن تكون ربة منزل.
والآن، إذا اعتمدت هذه المقارنة، يمكنك أن تقنع المرأة بسهولة أنها أدنى. ولكن هذه طريقة مخادعة. فهناك أشياء أخرى يمكن مقارنتها. إن المرأة تلد طفلاً، والرجل لا يمكنه ذلك. إنه أدنى ولا شك؛ لا يمكنه أن يصبح أمًا. لم تعطه الطبيعـة هـذه المسـؤولية الـهامة، لأنـها تعـرف أنـه أدنـى. والمسؤولية تُعطى لمن هو أعلى مرتبةً. لم تعطه الطبيعة رحمًا. والواقع أن دوره في عملية الولادة لا يتعدى دور الحقنة - استخدام مؤقت.
على الأم أن تحمل الطفل لمدة تسعة شهور وأن تتحمل ما يرافق ذلك من آلام. وعليها أن تلد الطفل، وعملية الولادة هـذه ليسـت بـالأمر السـهل! بعـدها يجـب أن تـربي الطفـل وترعاه لسنين طويلة - وفي الماضي كانت المرأة تلد أطفالاً بشكل متواصل. كم من الوقت أتيح لها لتصبح شاعرة، أو رسامة، أو فنانة مبدعة في حقل الموسيقى؟ هل تُرك لها أي وقت لذلك؟ لقد كانت باستمرار إما حاملاً، أو تعتني بالأطفال الذين ولدتهم. وكانت تعتني بالمنزل ليتسنّى لكَ التأمل بالأشياء السامية.
ليوم واحد فقط، لمدة أربع وعشرين ساعة، بَدّلْ نوعَ عملكَ. دعها تتأمل، تخلق الشعر والموسيقى، ولمدة أربع وعشرين ساعة، خُذ على عاتقك مهمة الاعتناء بالأطفال، بالمطبخ، بالمنزل. وعندها سترى من هو أعلى مرتبةً! أربع وعشرون ساعة فقط، ستكون كافية لتثبت لك أن الاعتناء بعدد كبير من الأطفال يشابه العيش في مصح عقلي. هؤلاء ليسوا أبرياء بالقدر الذي يبدون عليه. وهم أشقياء لدرجة تفوق التصوّر ويقومون بجميع الأعمال المؤذية. ولن يفارقوك ولو لبرهـة وجـيزة؛ ويريـدون اهتمـامًا متواصـلاً - ربمـا كـان الاهتمام حاجة طبيعية. إنه غذاء.
وفـي يـوم واحـد مـن تحضـير الطعـام للعائلـة والضـيوف، ستشعر أنك أمضيت نهارًا كاملاً في الجحيم، وتتخلّى عن فكرة كون الرجل أعلى مرتبة من المرأة. لأنك ولمدة أربع وعشـرين سـاعة لـن تفكـر، ولـو لثانيـة واحـدة، بـاللاهوت، والفلسفة، والدين.
يجب أن تنظر إلى هذا الموضوع من زوايا أخرى أيضًا. فالمرأة تملك قدرة على المقاومة أكثر من الرجل، وهذا أمر مثبت علميًا. فالمرأة أقل تعرضًا للمرض، ومتوسط عمرها يزيد عن متوسط العمر عند الرجل بخمس سنوات. وإنه ضرب من الحماقة أن يقرر المجتمع أن يكبُر الزوج زوجته بأربع أو خمس سنوات - وهذا فقط للدلالة على أنه متقدم في السن، وأكثر خبرة، وللحفاظ على مرتبته الأعلى. ولكن هذا التقليد غير سليم لأن المرأة ستعمر أكثر منه بخمس سنوات. وإذا فكرنا بطريقة علمية، يجب أن تكبر الزوجة زوجـها بخمـس سـنوات لكـي توافيـهما المنيـة فـي نفس الوقت.
من ناحية، يجب أن يكبر الزوج زوجته بخمس سنوات، ومن ناحية ثانية، يُمنع على المرأة أن تتزوج ثانيةً في معظـم الثقـافات والمجتمعـات تقريبـًا. والسـماح للمـرأة بالزواج مجددًا هو تقليد حديث، ومتبع فقط في البلاد المتطـورة. وعنـدما لا نسـمح للمـرأة بـالزواج بعـد وفـات زوجها، فهذا يعني أنها ستعيش أرملةً لمدة لا تقل عن عشر سنوات. وهذا غير صحي من الناحية الطبية - والمعادلة الحسابية غير سليمة أيضًا. لماذا نفرض على المرأة عشر سنوات من الترمل؟ إن أفضل طريقة هي أن تكبر الزوجة زوجها بخمس سنوات. وعندها ستُحلّ مشكلة الترمل.

والآن، إذا كانت المرأة تعمّر خمس سنوات أكثر من الرجل، وإذا كانت أقل عرضةً للمرض، وإذا كانت مقاومتها أقوى من مقاومة الرجل، إذًا من هو الأعلى مرتبةً؟ إن نسبة الانتحار عند المرأة هي 50% أقل مما هي عند الرجل. ونسبة الجنون هي أيضًا 50% أقل عند المرأة. وهذه الوقائع لم تؤخذ أبدًا بالاعتبار - لماذا؟

لماذا يقدم الرجل على الانتحار بنسبة مضاعفة بالمقارنة مع المرأة؟ يبدو أنه لا يتحلى بالصبر لمواجهة مصاعب الحياة. إنه قليل الصبر وكثير الرغبات والتوقعات، وعندما لا تجري الأمور وفق ما يبتغيه، عندها يريد أن ينهي حياته. إنه عرضة للإحباط السريع. وهذا دليل ضعف: لا يملك الشجاعة لمواجهة مصاعب الحياة. ذلك أن الانتحار هو عمل جبان؛ هو الهروب من المشاكل وليس حلها.

إن مشاكل المرأة أكثر - مشاكلها إضافة إلى المشاكل التي يخلقها لها الرجل. مشاكلها مضاعفة ومع ذلك تتمكن من مواجهتها بشجاعة. ويستمر الرجل بالادعاء أنها أضعف. لماذا حالات الجنون عند الرجل هي ضعف حالات الجنون عند المرأة؟ هذا يظهر أن الفكر عند الرجل ليس مصنوعًا من مواد صلبة - إنه ينفجر بسرعة.

ولكن لماذا هذا الإلحاح المستديم على أن المرأة أدنى من الرجل؟ إنها السياسة. إنها لعبة السلطة. أن تكون سياسيًا هو أمر بسيط. ولست بحاجة لأن تهتم فقط بشؤون الحكومة، والدولة، أو ما شابه - فأية ممارسة للسلطة تجعل منك سياسيًا. والزوج الذي يحاول أن يكون أعلى مرتبة من زوجته - يمارس السياسة. وكذلك الزوجة التي تحاول أن تعلو مرتبة على زوجها - لأنها لا تتقبل الفكرة. وبالرغم من أنها تعرضت للتطبيع لملايين السنين، فإنها تجد طريقة لتخريب محاولات زوجها.

هذا هو السبب الذي يجعل الزوجة تضايق زوجها باستمرار، تطلق ثورات الغضب، تلجأ إلى البكاء بسبب أمور تافهة، تبدأ شجارًا حول معظم الأمور - أمور بسيطة لا يمكننا أن نتخيل أنها قد تسبّب الشجار. لماذا يحدث كل ذلك؟ هذه هي طريقتها الأنثوية لتخريب استراتيجية الرجل السياسية: «تعتقد أنك متفوّق علي؟ حافظ ما شئت على هذا الاعتقاد، سأريك من هو المتفوّق». وكل زوج يعرف من هو المتفوّق. ومع ذلك لا يتوقف عن محاولة إظهار تفوّقه، على الأقل خارج المنزل؛ يُسوّي أمره، يعقد ربطة عنقه، يبتسم ويمضي في طريقه وكأن كل شيء على ما يرام.

في مدرسة صغيرة، طرح المدرّس على التلامذة هذا السؤال:

«هل يمكنكم أن تسمّوا الحيوان الذي يغادر المنزل كالأسد ويعود إليه كالفأر؟».

رفع طفل صغير يده، فسأله المدرس: «نعم، ما هو جوابك؟».

أجاب الطفل: «والدي».

الأطفال دقيقو الملاحظة. يراقبون ما يحدث. يغادر الأب المنزل كالأسد تقريبًا، وعندما يعود إلى المنزل، يبدو كالفأر. إن جميع الرجال تسيطر عليهم نساؤهم. ولا يوجد صنف آخر من الرجال. ولكن ما السبب؟ كيف وصلنا إلى هذا الوضع؟ هناك طرق ذكورية وطرق أنثوية في السياسة - وكل فئة تحاول أن تتفوّق على الأخرى.

وهذا صحيح في جميع المجالات، في الجامعة على سبيل المثال: يريد المحاضر أن يكون مساعد أستاذ، ومساعد الأستاذ يريد أن يكون أستاذًا، والأستاذ يريد أن يكون عميد الكلية، وعميد

الكلية يريد أن يكون رئيس الجامعة - إنه صراع دائم على السلطة. لا أحد يهتم بالتعليم، والكل منخرطون في صراعٍ على السلطة.
والأمر مشابه في مجال الدين: الأسقف يريد أن يكون الكردينال، والكاردينال يريد أن يكون البابا. وكل فرد يحتل درجة في السلّم ويريد أن يتسلّق إلى درجة أعلى، والآخرون يشدّونه باتجاه الأسفل. وأولئك الذين هم في درجة أعلى يحاولون دفعه إلى أسفل حتى لا يتمكن من الارتقاء إلى مستواهم. والذين هم في درجة أدنى، يحاولون أن يجذبوا مَن هم فوقهم نحو الأسفل ليحتلوا أماكنهم. وإذا نظرت إلى السلم بكامله، سترى سيركًا. وهذا يحصل في كل مكان.
السياسة، بالنسبة لي، تعني محاولة لتُثبت تفوّقك على الآخرين. ولكن لماذا؟ - لأنك تشعر أنك أدنى شأنًا في أعماقك. ومن البديهي أن يشعر الإنسان الغريزي بأنه وضيع - أدنى شأنًا. وأن تحيا حياةً غريزية، يعني أن تحيا أدنى مستويات الحياة.
إذا فهمت هذا الصراع، هذا القتال لبلوغ التفوق، فإنك ستنسحب منه - ستقول بكل بساطة: «أنا أمثل ذاتي، لست أدنى من أحد ولا أتفوّق على أحد». وإذا وقفت جانبًا وشاهدت العرض بكامله، فهذا يعني أنك دخلت العالم الثاني - عالم الفكر والوعي.
إن المشكلة تكمن فقط في فهم الوضع الشامل السيئ الذي طاول الجميع. ويجب أن نراقب الوضع الشامل بأناة: «ما الذي يحدث؟ حتى لو بلغت أعلى درجة في السلّم، ماذا حققت؟». أنت فقط معلّق في الفضاء وتبدو كالأحمق. لا يمكنك أن تذهب إلى أي مكان آخر.
بالطبع، لا يمكنك التوجه إلى أسفل، لأن الناس ستسخر منك، سيسألونك: «إلى أين تذهب؟ ماذا حصل؟ هل هزمت؟». لا يمكنك النزول ولا يمكنك الذهاب إلى أي مكان آخر لأنه لا توجد درجة أعلى في السلّم، وهكذا فأنت معلّق في الفضاء، تدّعي أنك وصلت، أنك وجدت الهدف من الحياة. وأنت تعلم أنك لم تجد شيئًا. وكل ما فعلته هو أنك تصرّفت بحماقة وأضعت عمرك.
وهكذا فإن أي شخص يصبح رئيسًا للجمهورية أو الحكومة - سيكون دعاؤه الوحيد أن يُتوفّى وهو في منصبه. لا يمكنه النزول، لأن ذلك مُشين ومذلّ. ولا يمكنه الارتقاء. إنه عالق؛ الموت فقط يمكن أن ينقذه من ورطته.
يحاول الإنسان بشكل متواصل أن يصبح أعلى درجةً، أن يصبح شخصًا مميّزًا ومتفوّقًا - ولكن كل ذلك هو سياسة. وحسب اعتقادي، إن الأشخاص دون الوسط وحدهم يهتمون بذلك. أما الناس الأذكياء فلديهم أشياء أكثر أهمية يريدون تحقيقها. لا يمكن للأشخاص الأذكياء أن يضيّعوا أوقاتهم في صراعات سياسية قذرة من الدرجة الثالثة. فقط الأشخاص الذين هم من الدرجة الثالثة، يصبحون رؤساء حكومة أو دولة. والشخص الذكي لن يولي أي اهتمام لتلك الصحراء التي لا تؤدي إلى أي مكان، حتى إلى واحة.
إذًا، على المستوى الغريزي، السياسة هي فقط: «القوة تصنع الحق». شريعة الغاب. أدولف هتلر، جوزف ستالين، موسوليني، بونابارت، تيمورلنك - كل هؤلاء هم أشبه بالذئاب منهم بالإنسان. وإذا أردنا إنسانية حقيقية في العالم، يجب أن نلغي أسماء هؤلاء كلّيًا من الوجود. يجب أن ننكر وجودهم كليًا؛ لقد كانوا كوابيس فقط. ولكن يا للغرابة، التاريخ بكامله مليء بهؤلاء الأشخاص.

ما هو التاريخ؟ إنه قُصاصات جرائد من أوقات قديمة. إذا أقدمت على مساعدة أحد الأشخاص، لن تنشر أية جريدة هذا الخبر؛ وإذا أقدمت على قتل أحد الأشخاص، تمتلئ صفحات الجرائد بهذا الخبر. وهل تاريخك سوى تاريخ هؤلاء الأشخاص الذين لم يُسبّبوا سوى الأذى وخلّفوا جراحًا بليغة في وعي الإنسان؟ وتدعو ذلك تاريخًا؟ لا بد أن ذهنك محشوّ بالحثالة.
من الغريب أنه لم يُذكر أي شيء عن زهرات الذكاء الحقيقية. لقد وجدت صعوبة كبيرة في العثور على معلومات تتعلق بهؤلاء الأشخاص. فتشت في عدد كبير من المكتبات، محاولاً العثور على مزيد من المعلومات عن هؤلاء الأشخاص الخلّاقين! الذين أرسوا دعائم الإنسانية. ولكننا نعلم الكثير عن نوع واحد من العالم، العالم حيث القوة تصنع الحق.
الآن، على المستوى الثاني، الحق يصنع القوة. والذكاء يؤمن بإظهار الحق.
نحن لسنا بحاجة إلى الاقتتال بواسطة السيف أو القنابل لقتل بعضنا البعض، لأن القوة لا يمكنها أن تثبت الحق. هل يمكنك أن تتخيل الملاكم محمد علي في حلبة الملاكمة مع أحد الحكماء... بالطبع سيكون محمد علي الفائز في الجولة الأولى. ولن يكون هناك جولة ثانية. إن ضربة واحدة ستكون كافية لرمي الحكيم على أرض الحلبة. ولن يتحرك من مكانه ولن يقف ليبدأ جولة ثانية.
وسينظر إلى محمد علي متأملاً الوضع من أرض الحلبة ويقول: «انتهى الأمر - أنت الفائز».
ولكن القوة لا تثبت الحق - القوة قد تثبت الحق في عالم الحيوان وعالم الغريزة. والفكر يعكس المعادلة: «الحق يصنع القوة» - ويمكن أن نتوصل إلى تقرير ما هو الحق بواسطة الذكاء، والمنطق، والتحليل والنقاش.
هذا ما كان يفعله سقراط في المحكمة. كان على استعداد لأن يجيب على أي سؤال يطرحه المحلَّفون أو تطرحه المحكمة. لقد سأل: «ما هي جرائمي؟» أخبروني إياها الواحدة تلو الأخرى - أنا مستعد للإجابة». كانوا يعلمون أنه من المستحيل عليهم التغلب على هذا الرجل بواسطة النقاش - ولكنهم اعتقدوا أن سقراط ربما لن يتمكن من الإجابة عن جرائم غامضة. حتى لو تمكّن من ذلك، فإن المحلّفين لن يقتنعوا بذلك، لأن الطرق التي تدربوا بها وتتطبّعوا عليها كانت متضاربة مع فكر سقراط. وأول شيء قالوه: «الجريمة الكبرى التي ارتكبتها، هي إفساد عقول الجيل الشاب».
قال سقراط: «التهمة صحيحة ولكنها ليست جريمة. وما تدعونه إفسادًا، أدعوه خلقًا. أنتم أفسدتم عقول هؤلاء الشباب؛ والآن عليّ أن أقضي على هذا الفساد. وإذا كنتم على حق، فَلِمَ لا تؤسّسوا مدرسة، أكاديمية، كما فعلت أنا؟ وسيذهب الناس إلى من يعتبرونه مُحِقًّا».
منذ اليوم الذي افتتح فيه سقراط مدرسته، أقفلت جميع المدارس الأخرى في أثينا أبوابها. وبوجود مدرسة سقراط لم يكن هناك فرصة للمنافسة. وفي الواقع، إن جميع المدرسين الذين كانوا يديرون المدارس الأخرى، أصبحوا تلامذة سقراط. لقد كان معلمًا حقيقيًا. قال سقراط: «أحضروا أمامي أي شاب تعتقدون أنني أفسدته - وماذا تقصدون بالفساد على أي حال؟».
أجابوا: «أن تعلّمهم أنه لا وجود لإله أو آلهة».
قال: «صحيح - لأنه لا وجود لإله أو آلهة. ماذا يمكنني أن أفعل حيال ذلك؟ إنها ليست مسؤوليتي. إذا لم يكن هناك وجود للآلهة، هل أنتم مَن يُفسد عقول الشباب أم أنا؟ أنا فقط أقول الحقيقة، هل تعتقدون أن الحقيقة تفسد عقول الشباب؟». والجدال يستمر لأيام.

في النهاية اتخذ القضاة قرارًا: «فيما يتعلق بالذكاء، لقد أقفل سقراط أفواهكم جميعًا - رجل بمفرده ضد مجتمع أثينا بكامله - ولذلك يجب أن لا نتابع الجدل؛ يجب أن نضع المسألة على التصويت فحسب».
قال سقراط: «التصويت لن يثبت مَن هو مُحقّ ومَن هو مخطىء. وفي الواقع، إن الاحتمال أعظم أن يصوّت الناس مع الخطأ، لأن ذكاء أكثرية الناس هو دون الوسط».
كان سقراط يحاول أن يثبت أن الحق يجب أن يقرره الذكاء. وكان ذلك نقطة الانطلاق في تطور العلوم. وعلى ذلك يجب أن يُدعى سقراط والد جميع العلوم، لأنه في مجال العلوم، القوة لا تقر الحق. يمكن لأي شخص أن يثبت أنه محق؛ بغضّ النظر عما إذا كان قويًا أو ضعيفًا. والحق يجب أن يتقرر بواسطة المنطق والتحليل - وفي المختبر بواسطة التجارب والخبرات.
إذًا، على مستوى الوعي الثاني، إن مفهوم السياسة يختلف كليًا عن مستوى الوعي الأول.
لقد عاشت الهند تحت نير العبودية لمدة ألفي سنة - لأسباب عديدة، ولكن السبب الجوهري هو أن جميع الأشخاص الأذكياء في الهند أداروا ظهورهم للسياسة في أدنى مستوياتها، سياسة الدرجة الثالثة، سياسة المستوى الغريزي. كان جميع هؤلاء الأشخاص الأذكياء غير مبالين بالسياسة والسلطة. وكان اهتمامهم الوحيد يتركز حول اكتشاف الحقيقة ومعنى الحياة. لماذا نحن هنا؟
في زمن أحد الحكماء، وصل مستوى الوعي الثاني إلى قمته في جميع أنحاء العالم. في الصين، كان هناك كنفوشيوس، ولاو تزو Lao Tzu، ومنشيوس Mencius، وشوانغ تزو Chuang Tzu، وليه تزو Lieh Tzu - وفي الهند كان هناك أحد الحكماء، ماهافيرا Mahavira، وماككالي غوسال Makhkhali Ghosal، وآجيت كشكمبال Ajit Keshkambal، وسنجاي فيلاثيبوتا Sanjay Vilethiputta - وكانوا مسيطرين، كانوا عمالقة. في اليونان كان سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وهيراقليتس، وفيثاغورس - الذين لامسوا قمة الذكاء. فجأةً وفي جميع أنحاء العالم، بدا وكأن أمواجًا عاصفة من الذكاء ضربت عقول الناس. والحمقى فقط تابعوا الصراع؛ أما الناس الأذكياء فكانوا منهمكين بالعثور على طرق لتقرير ما هو الصواب وما هو الخطأ.
في الهند، كان هناك تقليد بأن يسافر كل فيلسوف في أرجاء البلاد ويتحدى الآخرين. والتحدي لم يكن عدائيًا - يجب أن تفهم ذلك. إذ لا يوجد عداوة على المستوى الثاني؛ فكلا الفريقين يبحثان عن الحقيقة. إنها ظاهرة ودية، وليست قتالاً. كلاهما يريد أن يجد الحقيقة ليفوز. ولا يحاول أحد منهم التغلب على الآخر؛ المسألة تختلف كليًا عن ذلك.
عندما بدأ شانكارا نقاشه مع ماندان ميشرا Mandan Mishra، لمس قدميه وطلب مباركته، ولتفز الحقيقة. الآن، أن تلمس قدمي خصمك - على ماذا يدل ذلك؟ على أنه لا يبغي التغلب عليه. إنه متقدم في السن ومحترم في جميع أنحاء البلاد؛ كان شانكارا لا يزال شابًا، يبلغ الثلاثين من العمر. وماندان ميشرا هو بعمر جدّه - وشانكارا يلمس قدميه، لأن غايته ليس التغلب عليه. وهو أيضًا يطلب مباركته - لا ليكون الفائز بل لتفوز الحقيقة. والحقيقة ليست ملكًا لأحد.
كان ذلك يحصل في جميع أنحاء البلاد. وأولئك المفكرون العظماء الذين ولدوا في ذاك الزمن، من الصعب أن نجد في يومنا هذا من يضاهيهم في النوعية وحدة الذكاء - وذلك لسبب بسيط وهو أن

جميع المفكرين تحولوا إلى العلوم وهجروا الفلسفة. وفي تلك الأيام كان جميع المفكرين يعملون في مجال الفلسفة.
ولكن يجب أن نتذكر، أنه صراع ولكنه ليس صراعًا شخصيًا - ليس هناك أية رغبة بالتفوق على الآخر وإنما بحث حثيث للعثور على الحقيقة. ولقد تغيّر جوهر الموضوع كليًا: إنه يتعلق الآن بانتصار الحقيقة. والقول المأثور في تاريخ الفلسفة الهندية هو: ساتيا ميفه جاياته Satyameva Jayate - «الحقيقة ستنتصر، أيًا كان المهزوم». وهذا القول غير نابع عن عقدة نقص، وإنما عن ذكاء خارق.
هذا التقليد انتشر في الصين، واليابان، وانتقل إلى حقول أخرى مختلفة. ولهذا عندما ترى ملاكمَين يابانيين، أو اثنين من مصارعي الأيكيدو Aikido، أو الجوتجيتسو Jujitsu، أو الجودو، ستصاب بالدهشة - أولاً، ينحني المتصارعان أحدهما للآخر باحترام فائق. فلا عداوة بين المتصارعين. وهذه هي إحدى تعاليم الجودو وجميع الفنون القتالية في اليابان، والتي تقول إنك عندما تصارع أحد الأشخاص، يجب أن لا يأخذ الصراع طابع العداوة الشخصية.
في فن الجودو، مَن يُظهر تفوّق فن الجودو هو الفائز. والشخص لا يفوز، ولكن يفوز الفن فقط. وكما هي الحال في الفلسفة حيث الحقيقة تفوز، هنا الفن يفوز. ويجب أن لا تفكر ولو للحظة واحدة بنفسك أو بانتصارك، لأن هذه اللحظة ستكون لحظة هزيمتك.
ولقد حصل ذلك مرارًا - وهذا أمر لا يتمكن من فهمه إلا من يفهم الطريقة الشرقية التقليدية بمجملها. في بعض الأحيان يكون كلا المتصارعين غير أنانيين؛ وفي هذه الحالة لا يفوز أحد وقد يستمر القتال لأيام. يعودان إلى الحلبة يومًا بعد يوم وينحنيان أحدهما للآخر - بكل احترام وفرح. وفي الواقع، إنهما يعتبران القتال مع الشخص الآخر شرفًا لهما لأن هذا الشخص الآخر ليس بالشخص الاعتيادي. ويستمر القتال. وفي النهاية يعلن الحكام: «لا يمكن لأحد أن يفوز لأن كلا المتصارعين يتحليان بنفس المستوى من نكران الذات - لا يمكن لأي منهما أن يجد طريقة للتغلب على الآخر.
إن الوعي الذاتي هو الثغرة التي من خلالها يمكن أن تهزم. وجميع هذه الفنون القتالية متشابهة من ناحية المبدأ الجوهري مع فوارق شكلية بسيطة. والمبدأ الجوهري يتطلب منك أن تكون في حالة غياب كلّي عندما تكون في وضعية قتال؛ وفي هذه الحالة، لن يتمكن أي سيف من شطرك.
كان لي صديق يدعى شانشال سنغ Chanchal Sing، تدرّب على الفنون القتالية في اليابان. ولقد أسّس مدرسة لتعليم الفنون القتالية، وكان من وقت لآخر يقدم لنا عرضًا قصيرًا بقصد الترفيه. قال لي: «في اليابان، يقومون بعمليات تدريب للصوت. إذا هاجمك أحدهم بسيف ولم تكن تحمل أي سلاح، يمكنك أن تطلق صرخة تجعل السيف يسقط من يده».
قلت: «إنه أمر مثير للاهتمام. لي صديق ليس لديه أية معرفة باستخدام السيف، ولكن بإمكانه أن يقطع رأسك بضربة من عصاه». وهكذا أحضرت هذا الصديق وأخبرته بما قاله لي صديقي شانشال فأجابني: «ليس هناك من مشكلة. سوف أشطر رأس هذا الرجل إلى قسمين؛ ضربة واحدة ستكون كافية».
لقد كان اعتقاد صديقي المصارع خاطئًا، ففي اللحظة التي رفع فيها يده ليضرب شانشال بعصاه، أطلق شانشال صرخة جعلت العصا تسقط من يد المصارع وكأن قلبه توقف عن

النبض! ومهما حصل، فقد أفقده الصوت قوة يده.
قلت لشانشال: «كيف تصنع هذا الصوت؟».
أجابني شانشال: «يمكنك أن تتعلّم الصوت بسهولة؛ الشيء الأساسي يقضي بأن تكون بحالة غيبوبة. وهذا أصعب ما في الأمر. لقد أمضيت سنين عديدة في اليابان: كل الأشياء سهلة ما عدا ذلك - أن تكون في حالة غيبوبة. وفي وقت يحاول شخص أن يشطرك إلى قسمين، تعتقد أنك بحاجة ماسة لأن تكون على أتم الوعي! ولكن حتى في هذا الوقت يجب أن تكون بحالة غيبوبة - أنت بحاجة إلى الصوت فقط، من دون أي وعي ذاتي. والصوت سيجعل خصمك في حالة ضياع تام، لدرجة الفقدان المؤقت للذاكرة. إنه لا يعي ماذا حصل وماذا يحصل. ولكن يجب أن يكون وعيك الذاتي غائبًا. وهذا الغياب سيحدث تغيّرًا في ذهن خصمك، سيحدث توقفًا وقتيًا مفاجئًا».
عندما يكون كلا المتصارعان في حالة ابتعاد عن الذات الواعية، تتغير الوضعية. عند ذلك يحصل شيء غريب، وهو يحصل يوميًا في اليابان: قبل أن يشهر أحد المصارعين سيفه ليضرب المصارع الآخر به، يكون سيف هذا الأخير مشهورًا ومستعدًا للدفاع. وهذا لم يشهر سيفه بعدَ أن شهر المصارع الأول سيفه، بل حتى قبل أن يفكر المصارع الأول بشهر سيفه. يبدو الأمر وكأنه خلال جزء بسيط من الثانية عندما كان المصارع الأول يفكر بشهر سيفه، وقبل أن تقوم يده بالحركة، بلغت الفكرة المصارع الآخر فاستعد للدفاع.
وهذا الأمر يحصل فقط عندما تكون الذات غائبة. عندها يصبح السيف جزءًا منك. فأنت لا تفعل أي شيء؛ أنت هناك فحسب، في حالة غيبوبة، تدع الأمور تحصل. وإذا كان المتصارعان في نفس الحالة، فقد يستمر القتال أيامًا ولن يتمكن أي من المتصارعين من ضرب أو حتى خدش خصمه.
هذا المستوى الذي وصفته الآن، ليس المستوى الاعتيادي، الغريزي. لقد انتقلنا إلى مستوى أعلى - حتى أعلى من المستوى الثاني. انتقلنا إلى المستوى الثالث، المستوى الحدسي. كما أنه يمكن لهذا الأمر أن يحصل في قتال السيف، أو الملاكمة، أو المصارعة على الطريقة الشرقية، ويمكنه أن يحصل في الذكاء على المستوى الثالث.
لقد أحببت كثيرًا من أساتذتي خلال سنين دراستي وعملي الطويلة. أحد هؤلاء، الأستاذ س. س. روي S.S.Roy، كتب رسالته للدكتوراه عن شنكارا وبرادلي Bradley - دراسة مقارنة. وقد أهداني النسخة الأولى. قلت له: «هذا غير اعتيادي: أنا تلميذك، وتهديني النسخة الأولى من رسالتك فور طبعها».
قال لي: «برأيي، أنت تستحق ذلك».
قلت: «ولكن برأيي، رسالتك مليئة بالخطأ - حتى إن العنوان خاطئ، لأنك تقارن بين رجلين في مستويين مختلفين».
برادلي مفكر، وهو مفكر عظيم. لقد طغى على عالم الفلسفة بأكمله في بداية القرن العشرين. ولكن شنكارا ليس بالمفكر على الإطلاق».
قلت للأستاذ روي: «بالطبع لقد توصل كلاهما إلى خلاصات متشابهة، ولهذا أجريت المقارنة؛ أنت ترى أن الخلاصات متشابهة، ولكنك لا ترى أنهما توصّلا إليها بطرق مختلفة. وهذا سبب اعتراضي على المقارنة - لأن برادلي توصّل إلى تلك الخلاصات بواسطة المنطق، بينما توصّل شنكارا إليها من خلال تجربته.

«شنكارا لا يناقش هذه الخلاصات كفيلسوف، إنه يستخدم الفلسفة في نقاشه، ولكن كوسيلة فقط. لقد عاش تجربة الحقيقة. والآن، لكي يعبّر عن هذه الحقيقة، يستخدم المنطق، والتحليل، والفكر. لم يعش برادلي التجربة - وهو يعترف بذلك، ولكن على الصعيد الفكري، يجد أن هذه الخلاصات هي الأكثر منطقية وواقعية».

وهكذا أخبرت الأستاذ روي: «إذا سألتني وجهة نظري، أقول إنك قارنت بين شخصين مختلفين لا يمكن مقارنتهما».

كانت هناك نقاط أخرى، ولكن النقطة الجوهرية كانت تعود إلى الصدارة باستمرار. يمكنك التوصل إلى خلاصة عن طريق المنطق، قد تكون صحيحة، وقد تكون غير صحيحة؛ ولكن لا يمكنك التأكد من صحتها. بالنسبة لشنكارا، لا يتعلق السؤال بصحة أو عدم صحة الخلاصة: الخلاصة صحيحة. حتى لو أثبت عن طريق المنطق أنه كان مخطئًا، فإنه لن يبدّل موقفه. أما بالنسبة لبرادلي - إذا أثبتّ له أنه كان مخطئًا، فإنه سيبدل موقفه.

قلت: «شنكارا وبرادلي، كلاهما يقول إن الحقيقة مطلقة. ولكن الفرق هو أن برادلي سيبدّل موقفه إذا تمكنت بواسطة المنطق أن تثبت عدم صحة خلاصته. أما شنكارا فإنه سيضحك ويقول: «أنت محق، طريقتي بالتعبير عن الحقيقة كانت خاطئة، ولقد كنت أعلم أن شخصًا يعرف الحقيقة سيكتشف أن تعبيري عنها كان خاطئًا. أنت على حق، لقد كان تعبيري خاطئًا»... ولكن شنكارا لن يعترف أنه على خطأ. إن قناعته نابعة من تجربته، إنها حدسية».

لا يوجد أي صراع على المستوى الحدسي.

على المستوى الغريزي، السياسي هو مجرد حيوان متوحش. لا يؤمن بأي شيء عدا أن يكون منتصرًا. وهو سيستخدم أية وسيلة ضرورية لتحقيق النصر. والغاية تبرّر له جميع وسائله مهما كانت بشعة. يقول أدولف هتلر في سيرته الذاتية: «لا أهمية للوسيلة، المهم هو الغاية. إذا نجحت بالتوصل إلى غايتك، فكل ما فعلته صحيح؛ أما إذا فشلت، فكل ما فعلته خاطئ. قد تكذب، ولكن إذا نجحت، سيصبح الكذب حقيقة. افعل أي شيء ولكن تذكر دائمًا أنك يجب أن تحقق النجاح في النهاية. عندها سيجعل النجاح كل ما فعلت صحيحًا. أما بالنسبة للفشل... فيمكنك أن تفعل كل الأشياء بطريقة صحيحة، ولكن الفشل سيثبت خطأ كل ما فعلته».

إن الصراع موجود على المستوى الثاني، ولكن طابعه إنساني؛ إنه صراع فكري.

نعم، إنك لا تزال تعيش حالة صراع لتثبت أن ما تؤمن به هو حقيقي، ولكن الحقيقة هي أكثر أهمية منك. إذا هُزمت لصالح الحقيقة العظمى، الحقيقة المطلقة، سوف تشعر بالسعادة وليس بالحزن. عندما هزم شنكارا ماندان ميشرا، وقف ماندان فورًا، لمس قدمي شنكارا وطلب منه أن يتبنّاه كأحد تلامذته. إنه عالم الإنسان، عالم الذكاء المتفوّق.

ولكن لا يزال هناك بعض الممارسة السياسية حتى أثناء بحثنا عن الحقيقة. وإلا، أين الحاجة لتحدي هذا الرجل؟ إذا توصّلت لمعرفة الحقيقة، تمتع بها! ما هو الهدف من التجوّل في أرجاء البلاد موقعًا الهزائم بالناس؟ إذا توصلت لمعرفة الحقيقة، ستأتي إليك الناس. إذًا لا يزال هناك بعض الممارسة السياسية المصقولة. يمكن أن تسميها سياسة فلسفية، سياسة دينية، ولكنها ما زالت سياسة، سياسة راقية.

على المستوى الثالث فقط، عندما يبدأ الحدس بالقيام بعمله، لن يكون هناك أي صراع على الإطلاق. أحد الحكماء، ماهافيرا، لاو تزو، لم يذهبوا إلى شخص ليوقعوا به الهزيمة.

الناس أتت إليهم؛ أتى إليهم من كان متعطشًا للحقيقة. حتى إنهم لم يولوا أي اهتمام للذين أتوا ليتحدوهم في نقاش فكري.
أتى الكثير إلى أحد الحكماء - ساريبوتا Saripputa، موغالايان Moggalayan، ماهاكاشياب Mahakashyap - كانوا جميعهم فلاسفة عظماء ولديهم آلاف التلامذة، وأتوا ليتحدّوا أحد الحكماء. كان نهجه البسيط طوال حياته هو: «إذا توصلت إلى معرفة الحقيقة، فأنا سعيد بذلك. وبإمكانك أن تعتبر نفسك منتصرًا. ولكن هل توصلت إلى معرفتها؟ أنا توصلت إلى معرفة الحقيقة، ولا أعتقد أنني بحاجة لأن أتحدى أي شخص، لأن هناك نوعين من الناس فقط ـ الذين يعرفون الحقيقة والذين لا يعرفون الحقيقة. كيف يمكنني أن أتحدى الذين لا يعرفون الحقيقة؟ كيف يمكنني أن أتحدى هؤلاء الفقراء؟ هذا أمر مستحيل. وكيف يمكنني أن أتحدى الذين يعرفون الحقيقة؟ كيف يمكنني أن أتحدى هؤلاء الأغنياء؟ هذا أمر مستحيل.
سأل أحد الحكماء ساريبوتا: «إذا كنت تعرف الحقيقة، فأنا سعيد بذلك - ولكن هل تعرفها؟ أنا لست في معرض التحدي، أنا فقط أستعلم. من أنت؟ إذا كنت لا تعرف، تخلّ إذًا عن فكرة تحدّيك لي. ثم كُن هنا معي فحسب. في أحد الأيام، في اللحظة المناسبة، قد يحصل ذلك - ليس من خلال التحدي أو النقاش، ولا حتى من خلال التعبير».
وكان الناس حقيقةً صادقين. انحنى ساريبوتا أمام أحد الحكماء وقال: «أرجو أن تعذرني لإقدامي على تحديك. أنا لا أعرف الحقيقة. أنا شخص ماهر في الجدال ولقد هزمت العديد من الفلاسفة، ولكن أرى أنك لست فيلسوفًا. ولقد حان لي الأوان لأستسلم الآن وأنظر إلى الأمور من هذه الزاوية الجديدة. ماذا علي أن أفعل؟».
قال له أحد الحكماء: «يجب أن تبقى صامتًا لمدة سنتين». كانت تلك عملية بسيطة لكل الذين أتوا للتحدي - وقد أتى الكثيرون: «صمت مطبق لمدة سنتين، ثم يمكنك أن تسأل أي سؤال». وسنتان من الصمت المطبق تفيان بالغرض. بعد سنتين، يكونون قد نسوا أسماءهم حتى، نسوا التحدي وفكرة الانتصار. لقد تعرّفوا إلى الإنسان. لقد تعرّفوا إلى حقيقته.
إذًا على المستوى الحدسي لا وجود للسياسة.
في عالم أفضل، يمكن للناس الذين يتمتعون بالحدس أن يكونوا الأنوار التي تضيء الطريق لأولئك الذين يتمكنون من فهمهم على المستوى الفكري على الأقل. والسياسيون المفكرون - أساتذة علم السياسة، نخبة المفكرين، الباحثون - بإمكانهم أن يرشدوا السياسيين الذين يعملون على مستوى الغريزة. هذه هي الطريقة الوحيدة التي تمكّن العالم من أن يعيش براحة.
يجب أن يأتي الضوء من أعلى المستويات. ويجب أن يمر عبر المستوى الثاني، لأنه عند ذلك فقط ستتمكن الفئة التي هي في المستوى الثالث من أن تحصل على بعضٍ من هذا الضوء؛ ستعمل الفئة الثانية إذًا كجسر. هكذا كانت الحال في الهند القديمة.
لقد حصل ذلك مرة...
الناس الذين كانوا يتمتعون بالحدس، كانوا يقطنون الغابات أو الجبال. وكان الناس المفكرون - الأساتذة، العلماء، المثقفون، رؤساء الوزارات - يأتون إليهم لحل مشاكلهم لأنهم كانوا يدّعون: «نحن مصابون بالعمى وأنتم تبصرون». لقد حصل ذلك مع أحد الحكماء. كان في مخيّمه بقرب النهر، وكان هناك جيش في كل جهة من جانبي النهر. كان هناك مملكتان وكان النهر يفصل بينهما. كانوا قد تقاتلوا لعقود طويلة حول ملكية النهر،

لأن المياه كانت قيّمة جدًا. ولكنهم لم يتمكنوا من الاتفاق على صاحب الملكية - لقد صبغوا النهر مرارًا عديدة بدمائهم ولم يتوقف القتال.
أتى قائدا الجيشين المتحاربين إلى أحد الحكماء. وصادف أن دخلا إلى المخيم في نفس الوقت ورأى أحدهما الآخر. لقد صُدما بهذه المصادفة الغريبة، ولكن لم يكن بإمكانهما التراجع. قال لهما أحد الحكماء: «لا داعي للقلق؛ إنه لأمر جيد أنكما أتيتما في نفس الوقت. كلاكما أعمى، وأسلافكما كانوا عميان أيضًا. تستمر مياه النهر بالتدفق، وأنتما تستمران بقتل الناس. ألا يمكنكما أن تريا واقعًا بسيطًا؟ كلاكما بحاجة للمياه، والنهر كبير بما فيه الكفاية.
«لا حاجة لأي طرف منكما بتملّك النهر - ومن يمكنه أن يملك النهر؟ المياه بكاملها تتدفق إلى المحيط. لماذا لا تتمكنان من استخدام مياه النهر معًا؟ تمتلك كل مملكة جانبًا من النهر - لن يكون هناك أية مشكلة. ولستم بحاجة لأن ترسموا حدًا فاصلاً في وسط النهر، لأنه من غير الممكن رسم حد في الماء. استخدموا المياه بدلاً من أن تتقاتلوا».
كان الأمر في غاية البساطة. فقد أدرك القائدان أن حقولهم ومواسمهم كانت تيبس لعدم العناية بها. كان القتال همهم الأول: لمن تعود ملكية النهر؟ كان يجب امتلاك المياه أولاً، ومن ثم يصبح بالإمكان ري الحقول.
ولكن العقل الأحمق لا يفكّر إلا بالتملك، بينما العقل المتبصر يفكّر بالجدوى.
قال أحد الحكماء ببساطة: «استخدموا المياه! ثم عودوا إليّ بعد أن تكونوا قد استخدمتم كل المياه. حينها ستقع مشكلة، وسنرى ما هو الحل. ولكن لا تعودوا قبل أن تستخدموا كل المياه».
والمياه لا تزال تتدفق بعد مرور خمسة وعشرين قرنًا. كيف يمكننا أن نستنفد كل المياه؟ وهو نهر كبير ويبلغ طوله آلاف الأميال. يجلب المياه من ثلوج الهمالايا الخالدة ويأخذها إلى خليج البنغال. كيف يمكن لمملكتين صغيرتين أن تستهلكا كل تلك المياه؟ هذا أمر مستحيل.
يجب أن يصدر التبصّر عن الشخص الذي يتمتع بالحدس. ولا يمكن فهم التبصّر إلا من قبل الأذكياء، وبإمكان الأذكياء أن يساعدوا رجال السياسة الذين يعملون على مستوى الغريزة، والذين لا رغبة لهم سوى بالسلطة.
هذا ما أدعوه نظام الأهلية أو الكفاءة حيث يسيطر أصحاب الكفاءة العالية على الطبقات الدنيا ويساعدونها على الارتقاء إلى مستوى أعلى. وهذه الطبقة العليا ليس لديها أية مصالح شخصية، لهذا فإنها متحررة وتبصُّرُها واضح. وسوف يكون من الصعب على الشخص الذي يتمتع بالحدس أن يشرح أي شيء للشخص الذي يعمل على مستوى الغريزة لأنهما متباعدان كل البعد وينتميان إلى مستويين مختلفين لا تصل بينهما أية جسور. في الوسط، يمكن للفكر أن يقدم مساعدة قيّمة.
يجب أن لا تدرّس الجامعات، والكليات والمدارس، العلوم السياسية فقط - فتدريس العلوم السياسية فقط، هو فكرة حمقاء! ليدرسوا علم السياسة ولكن ليدرسوا أيضًا فن السياسة؛ لأنه لا فائدة من علم السياسة. ويجب أن يدرسوا السياسة من الناحية التطبيقية. وأولئك الأساتذة في الجامعات يجب أن يهيّئوا رجال السياسة ويكسبوهم بعض المزايا الجيدة. عندها سينقرض صنف الحكام الذين يحكمون العالم الآن، وسترى حكامًا جيدي التدريب، مثقفين، مُلِمّين بعلم وفن السياسة، وعلى استعداد لاستشارة الأساتذة وأصحاب الثقافة العالية.

وتدريجيًا قد يتمكن صنف الحكام هذا من الاقتراب من أعلى مستويات الأهلية: الأشخاص الذين يتمتعون بالحدس.
وإذا كان ذلك ممكن الحصول، سيكون لدينا وللمرة الأولى، طبقة حاكمة على قدرٍ عالٍ من الإنسانية - تؤمّن الكرامة لجنس البشر والتكامل للأفراد.
وللمرة الأولى سيكون لدينا نظام ديموقراطي حقيقي في العالم. فما يُدعى بالحكم الديموقراطي الآن ليس إلا حكم العصابات.

الإستراتيجيات

تخلَّ عن العقل الذي يفكّر بالطريقة النثرية؛
وقُم بإحياء نوع آخر من العقل يفكّر بالطريقة الشعرية.
ضع جانبًا جميع خبرات القياس المنطقي؛
دَعِ الأغاني تكون طريقتك في الحياة.
انتقل من الفكر إلى الحدس،
من الرأس إلى القلب،
لأن القلب هو الأقرب إلى الأسرار.

جرّد البصلة من طبقاتها

الكائن البشري بسيط، ولكن شخصيته معقدة. الشخصية تشبه البصلة - هناك الكثير من طبقات التطبّع والفساد، والكائن البشري البسيط يختبئ خلف تلك الطبقات. وهذه الطبقات تعمل كالمصافي بحيث إنه لا يمكنك رؤية الإنسان أو العالم على حقيقته. لأن ما يصل إليك، يصل فاسدًا وملوّثًا عبر هذه المصافي.
لا يصلك أي شيء كما هو على حقيقته. هناك عدد كبير من المترجمين يتوسط بينكما. ترى شيئًا - تُحرّفه عيناك أولاً، ثم حواسك. ومن ثم عقيدتك ومجتمعك - جميعها تحرّفه. بعدها أحاسيسك، وهكذا دواليك... وبعد أن يصلك هذا الشيء، يكون قد فقد جميع أو معظم صفاته الأصيلة. وما تراه هو ما تسمح لك المصافي برؤيته، وهي لا تسمح برؤية الكثير.
العلماء متوافقون؛ يقولون إننا نرى 2% من الحقيقة - والباقي يضيع. عندما تصغي إلي، ستسمع فقط 2% مما قلته؛ وسيضيع 98% منه. وعندما يضيع 98% من الحديث، تصبح نسبة 2% خارجة عن السياق. والأمر يشبه انتزاع صفحتين من قصة بطريقة عشوائية، واحدة من هنا وواحدة من هناك، ثم محاولة إعادة بناء القصة بكاملها من هاتين الصفحتين. هناك 98% من صفحات القصة ضائعة؛ لا تعرف محتواها. ولديك صفحتان فقط، لتعيد بناء القصة بكاملها استنادًا إليهما. وعملية إعادة البناء هذه هي من اختراعك. وهي ليست اكتشاف الحقيقة، بل عمل مخيلتك.
وهناك ضرورة داخلية لملء الفجوات. عندما لا ترى وجود صلة بين شيئين، يعمل العقل على إيجاد أية صلة، وإلا فإنه سيشعر بالارتباك. وهكذا تقوم باختراع صلة معينة. تربط بين تلك الأشياء المتفرقة بحلقات ربط، تمدّ جسورًا بينها، وتمضي قُدمًا باختراع عالم لا وجود له.
كان جورج جوردجياف يدعو تلك المصافي «واقي الصدمات». إنها تحميك من الواقع. تحمي أكاذيبك، وأحلامك وإسقاطاتك. لا تسمح لك بمواجهة الواقع، لأن تلك المواجهة قد تصيبك بصدمة كبيرة وتؤدي إلى تحطّمك. فالإنسان يعيش من خلال الأكاذيب.

نُقِل عن فريدريك نيتشه قوله: «رجاءً، لا تحرموا الإنسان من الكذب، لأنه لن يتمكن من العيش. الإنسان يعيش من خلال الأكاذيب. لا تحرموه من تخيّلاته، لا تدمّروا خرافاته. لا تخبروه الحقيقة لأنه لن يتمكن من العيش من خلال الحقيقة». ولقد كان محقًا. ولكن أي نوع من الحياة يمكننا أن نعيش من خلال الكذب؟ لن تكون سوى كذبة كبيرة. وأي نوع من السعادة يمكننا أن نختبر من خلال الأكاذيب؟ السعادة ستكون مستحيلة؛ ولذلك فإن البشرية تعيش في شقاء. مع الحقيقة تأتي السعادة؛ ومع الكذب لا يصيبنا سوى الشقاء. وبالرغم من ذلك نستمر في حماية تلك الأكاذيب.

قد تجد بعض الراحة في تلك الأكاذيب، ولكنها تفصل بينك وبين السعادة، والحقيقة والوجود.

والإنسان هو تمامًا كالبصلة. والفن يكمن في كيفية تجريد البصلة من طبقاتها الخارجية والوصول إلى جوهرها العميق.

1 - الحواس المادية: الطبقة الأولى مؤلفة من الحواس المادية المعطلة. لا تظن ولو للحظة واحدة أن حواسك المادية هي كما يجب أن تكون - إنها ليست كذلك. لقد تم تدريبها لتحس بما تحس به. ترى الأشياء التي يسمح لك مجتمعك برؤيتها، وتسمع الأشياء التي يسمح لك مجتمعك بسماعها، وتلمس الأشياء التي يسمح لك مجتمعك بلمسها.

لقد فقد الإنسان معظم قدرات حواسه - على سبيل المثال، حاسة الشم. لقد فقد الإنسان حاسة الشم تقريبًا. أنظر إلى الكلب وقدرته على الشم - أنفه في منتهى الحساسية! ماذا حصل لأنف الإنسان؟ لماذا لا يتمكن من الشم كالكلب أو الحصان؟ يستطيع الحصان أن يشتم الروائح على بعد أميال. ولدى الكلب ذاكرة فائقة للروائح؛ والإنسان لا يملك هذه الذاكرة. شيء ما يسدّ أنفه.

أولئك الذين تفحصوا تلك الطبقات بعمق يقولون إن الإنسان فقد حاسة الشم بسبب كبت المشاعر الجنسية. من الناحية الجسدية، الإنسان يوازي بحساسيته أي حيوان - ولكن أنفه تعطل لأسباب نفسية. وحاسة الشم هي أحد أهم المداخل الجنسية إلى جسدك. ومن خلال حاسة الشم، يتمكن الحيوان، من ذكر وأنثى، من الشعور بما إذا كان الجنس الآخر يشاركه نفس المستوى من الإثارة الجنسية. والرائحة هي تلميح دقيق. فعندما تكون الأنثى مهيأة للتزاوج مع الذكر، تطلق رائحة معيّنة. ومن خلال هذه الرائحة فقط، يعلم الذكر أن الأنثى ستقبل التزاوج معه. وإذا لم تطلق الأنثى هذه الرائحة، يمضي الذكر في طريقه؛ فقد علم أن الأنثى لن تقبله.

لقد دمّر الإنسان حاسة الشم لديه لأنه يعلم أنه من الصعب خلق ما يدعى بالمجتمع الراقي إذا بقيت حاسة الشم عنده طبيعية. أنت تمشي في الشارع وتبدأ إحدى النساء بإطلاق رائحتها وتعطيك إشارة بالقبول. إنها متزوجة وزوجها يرافقها - والإشارة تقول إنها ستقبلك. ماذا ستفعل؟ سيكون الأمر مربكًا ومحرجًا! أنت تمشي برفقة زوجتك ولا أثر لأية رائحة تنبعث من جسدها، وفجأة يمر رجل بقربكما فتبعث له زوجتك الإشارة - وتلك إشارات لاواعية لا يمكنك السيطرة عليها. عندها ستدرك أنها مهتمة بالرجل الآخر وأنها ترحّب به. وهذا سيسبّب مشكلة. لهذا السبب وعبر القرون المتتالية، دمّر الإنسان حاسة الشم لديه كليًا.

وليس من قبيل المصادفة أن يُضيّع الناس في بعض البلدان المتحضرة قسمًا كبيرًا من وقتهم في إزالة جميع الروائح عن أجسادهم. إن روائح الجسد يجب أن تزال كليًا بواسطة المنتجات المزيلة للروائح. بعدها يُطلى الجسد بالعطور، عطور شديدة الرائحة. وكل ذلك

لإخفاء رائحة الجسد؛ لتحاشي الحقيقة. إن حاسة الشم تسبب الإثارة الجنسية، ولذلك حطمنا الأنف كليًا.
الوضع لا يختلف في باقي الحواس. أنت لا تنظر إلى أعين الناس مباشرة - إذا فعلت ذلك فلبرهة وجيزة فقط. أنت فعلاً لا تنظر إلى الناس؛ أنت تتحاشى النظر إليهم. لأن النظر إلى الناس أمر غير مُستحَب. فكّر بالأمر: هل تنظر إلى أعين الناس مباشرة أم أنك تتحاشى أعينهم؟ - لأنك إذا لم تتحاشَ أعينهم، قد تتمكن من رؤية أشياء لا يريد هؤلاء الأشخاص أن تراها. وليس من العادات الحميدة أن ترى شيئًا لا يريد الآخر أن تراه، لذلك من الأفضل تحاشي النظر إلى الأعين.
نحن نستمع إلى الكلمات ولا نرى الوجه - لأن الوجه والكلمات يعطيان إشارات متناقضة في كثير من الأوقات. يقول الشخص شيئًا ووجهه يُظهر شيئًا آخر. لقد فقدنا تدريجيًا القدرة على رؤية الوجه، الأعين والإيماءات. أصبحنا نستمع إلى الكلمات فقط. وإذا أمضيت بعض الوقت في مراقبة الناس، ستفاجأ بأنهم يقولون شيئًا ويظهرون شيئًا آخر. ومع ذلك لا أحد يلاحظ هذا الأمر لأننا دُرّبنا أن لا ننظر مباشرة إلى الوجه. حتى عندما تنظر إلى الوجه، فإنك تنظر من دون أن تركّز انتباهك وحواسك. وتكون نظرتك فارغة؛ وكأنك لا تنظر تقريبًا.
نحن نسمع الأصوات بصورة انتقائية. لكننا لا نسمع جميع الأصوات. بل نختار ما هو مفيد وقيّم. وعامل الإفادة أو القيمة يختلف من مجتمع إلى آخر ومن بلد إلى آخر. والشخص الذي يعيش في عالم بدائي، في غابة، يتحلى بقدرة مختلفة على التقاط الأصوات. إذ يجب أن يكون متيقظًا ومتنبهًا لوجود الحيوانات؛ وإلا سيعرض حياته للخطر. ولا حاجة لنا اليوم أن نكون متيقظين؛ فنحن نعيش في عالم متحضّر حيث لا وجود للحيوانات. وبقاؤنا على قيد الحياة غير مرتبط باليقظة أو الانتباه. لقد توقفت أُذُننا عن القيام بوظائفها على أكمل وجه لانتفاء الحاجة لذلك.
هل سبق أن شاهدت غزالاً أو أرنبًا بريًا؟ كم هما شديدا الانتباه والحساسية. يكفي صوت بسيط، لا يمكنك ملاحظته على الإطلاق - ورقة شجرة يابسة تحرّكها الرياح - لترى الغزال في حالة يقظة وحذر. هناك موسيقى رائعة ومرهفة تحيط بنا ولكننا لا نشعر بوجودها. وهناك إيقاع رائع - ولكي نشعر به نحتاج إلى آذان وأعين وحاسة لمس أكثر حساسية ويقظة.
إذًا الطبقة الأولى هي الحواس المادية المعطلة. نرى فقط ما نريد رؤيته. وآلية جسدنا بكامله فاسدة. لقد أصبح جسدنا متصلّبًا. ونحن نعيش في حالة من التجمد؛ نحن منغلقون، متبلدون عاطفيًا، ولا نسمح للآخر أن يقترب منا. نحن في حالة خوف من الحياة لدرجة أننا قضينا على كل وسيلة ممكنة للتواصل معها.
نحن لا نلمس بعضنا البعض، لا يمسك أحدنا بيد الآخر، ولا يعانق أحدنا الآخر. وعندما تمسك بيد أحد الأشخاص، يشعر كلاكما بالإحراج. حتى إذا عانقت أحد الأشخاص، تشعر بأنك تقوم بعمل غير مستحب، وتستعجل الابتعاد عن جسم هذا الشخص الآخر. لأن دفء جسد هذا الآخر قد يكشف ما في داخلك. حتى الأطفال لا يُسمح لهم بمعانقة أهاليهم؛ الكل يتخوف من العناق. والخوف في معظم أشكاله ينبع من الخوف من الجنس. هناك نظرة تحريمية Taboo فيما يتعلق بالجنس. لا يمكن للأم أن تعانق ولدها، لأنها قد تثيره جنسيًا؛ ولا يمكن للأب أن يعانق ابنته، لأنه يخشى أن يُثار جنسيًا. وأن نشعر بالإثارة الجسدية والجنسية ليس بالأمر المعيب؛ فهذا

دليل على أننا أحياء وننبض بالحياة. ولكن خوفنا من الجنس، واعتباره أمرًا محرّمًا، يقول لنا: «لا تقترب، حافظ على مسافة فاصلة».
جميع حواسنا معطلة. لم يُسمح لنا بأن نكون طبيعيين - ولذلك فقد الإنسان وقاره، وبراءته، وجماله وأناقته. هذه هي الطبقة الأولى.
وبسبب ممارسات الكبت هذه، أصبح الجسد غير قادر على اختبار مشاعر النشوة. لم نعد نشعر بالفرح - وقد حصل ذلك للرجل والمرأة على السواء. ولكن الفساد أصاب الرجل أكثر من المرأة، لأن الرجل يسعى وبشكل عُصابي نحو الكمال. فعندما تخطر له فكرة، سيسعى إلى تحقيقها بأية وسيلة وعلى أكمل وجه. والمرأة هي على عكس ذلك، عملية وأقل سعيًا إلى الكمال من الرجل؛ هي أقل عُصابية وأقل اعتمادًا على الفكر؛ وهي أكثر تواضعًا وتوازنًا، وأكثر اعتمادًا على الحدس. ومن حُسن الاتفاق أن المرأة لم تصبح عُصابية مثل الرجل - ولهذا فهي لا تزال تحافظ على بعض الوقار، والرقة، والليونة، والشاعرية. ولكن المجتمع أفسد المرأة والرجل على السواء وإنْ بنسب مختلفة.
وبسبب هذه الطبقة، فإن كل ما يدخلك يجب أن يمر عبر هذه المصفاة. وهذه المصفاة تدمر، تفسّر، تتلاعب بالأشياء وتعطيها ألوانًا مختلفة، وتخترع - وهكذا تصبح الحقيقة مزيّفة. وعندما تزول هذه الطبقة... وهذا ما تسعى إليه اليوغا: أن تجعل جسدك حيًا، حساسًا، فتيًا، وتجعل حواسك تعمل على أكمل وجه. مما يمكنك من العمل بعيدًا عن هاجس المحرّمات، بصفاء وجمال وليونة.. عندئذ ينبعث فيك الدفء مجددًا ويُسهّل عملية النمو والانفتاح. وتشعر بالتجدد والنضارة وحب المغامرة. وعند ذلك يصبح بإمكانك اختبار مشاعر النشوة ويحيط بك الفرح من كل الجوانب.
من خلال الفرح يزول أول وجه من أوجه الفساد. ومن أجل ذلك، أصرّ على أن يكون الإنسان فرحًا، يحتفل ويتمتع بالحياة، ويتقبل جسده - ليس فقط أن يتقبله، بل أن يكون ممتنًا بأن الوجود أنعم عليه بجسدٍ جميل؛ جسد في منتهى الحساسية، يملك أبوابًا متعددة للاتصال بالواقع: حواس النظر، والسمع، والشم واللمس - افتح جميع هذه الأبواب ودع نسيم الحياة يتدفق إلى داخلك ودع شمس الحياة تشعّ في داخلك. تعلّم كيف تقوّي مشاعرك لتتمكن من إزالة المصفاة الأولى.
إذا جلست على العشب الأخضر، لا تعمد إلى اقتلاعه وتدميره. لقد توقفت عن الجلوس على العشب الأخضر - كنت أجلس بعض الأحيان مع الزوار في الحديقة - لأن الناس كانت تقتلع العشب وتدمّره. والناس هم في غاية العنف، يتصرفون بعنف بطريقة لاواعية، لا يدرون ماذا يفعلون. ولقد طلبت إليهم عدة مرات التوقف عن اقتلاع الأعشاب، ولكنهم كانوا ينسون الأمر بعد دقائق معدودة. كانوا بحالة اضطراب شديد، ولم يكونوا على علم بما يفعلون. كان اقتلاع العشب يهدئ بعض الشيء من اضطرابهم.
عندما تجلس على العشب، أغمض عينيك، وأصبح جزءًا من العشب. تخيّل أنك العشب، تحسّس خضرة العشب ونداوته. تحسّس تلك الرائحة اللطيفة التي تنبعث من العشب. تحسّس قطرات الندى التي تغطي العشب وتخيّل أنها تغطي جسدك. تحسّس أشعة الشمس تتراقص على العشب. وللحظة قصيرة، اسمح لنفسك أن تضيع في كل ذلك وسيتملّكك إحساس جديد بجسدك. جرّب هذه العملية في وضعيات مختلفة: في النهر، في حوض السباحة، مستلقيًا على شاطئ البحر تحت أشعة الشمس، وأنت تشاهد القمر في الليل، مستلقيًا على الرمل،

تتحسّسه وأنت مغمض العينين. يمكنك أن تقوم بذلك في وضعيات لا تُحصى لكي تعيد إلى جسدك حيويته. وأنت فقط من يمكنه القيام بذلك. لقد قام المجتمع بعمله المفسد، وعليك أنت أن تقوم بتصحيح ذلك.
وعندما يصبح بإمكانك أن تسمع، وترى، وتلمس وتشم، عندها يمكنك أن تشم الحقيقة.
2 - التطبيع: الطبقة الثانية هي التطبيع - الاجتماعي، السياسي، الأيديولوجي - للعقائد الفكرية. إن العقائد الفكرية تجعلك غير قادر على التواصل. إذا كنت هندوسيًا وكنت أنا مسيحيًا، يتوقف التواصل فورًا. وإذا كنت رجلاً وكنت أنا أيضًا رجلاً، أمكن التواصل؛ ولكن إذا كنت اشتراكيًا وكنت أنا فاشيًا، توقف التواصل. إن جميع العقائد الفكرية تدمر التواصل. والحياة ليست سوى التواصل - التواصل مع الأشجار، مع الأنهر، مع الشمس والقمر، مع الإنسان والحيوان. الحياة هي التواصل.
إن الحوار يتوقف عندما تكون مثقلاً بالعقائد. وكيف يمكنك الحوار؟ أنت مليء بأفكارك التي تعتقد أنها الحقيقة المطلقة. وعندما تصغي إلى الآخر، تقوم بذلك بداعي التهذيب، ولا تصغي فعليًا. أنت تعرف ما هو الصحيح، وتنتظر أن يفرغ هذا الشخص من الحديث حتى تنقضّ عليه. نعم، هناك إمكانية للمناظرة، والنقاش والجدل، ولكن الحوار غير ممكن. لا إمكانية للحوار بين عقيدتين. العقائد تدمّر الصداقة، تدمّر الإنسانية وتدمر تبادل الأفكار.
الناس يتجوّلون وكأنهم بيوت من دون نوافذ. نعم الناس يقتربون من بعضهم البعض، وقد يتصادمون بعض الأحيان - ولكنهم لا يلتقون. أحيانًا يلمسون بعضهم البعض، ولكنهم لا يلتقون. يتكلم بعضهم إلى الآخر، ولكنهم لا يتواصلون. كل شخص مسجون داخل عقيدته؛ ويحمل سجنه معه حيثما ذهب. يجب أن نتوقف عن هذه الممارسة.
العقائد تخلق نوعًا من الضبابية، وتجعل الإنسان متخوفًا من استكشاف آفاق جديدة. فقد تصادف أشياء تتعارض مع عقيدتك - ماذا ستفعل حيال ذلك؟ هذه الأشياء ستسبب إزعاجًا لنظامك العقائدي بكامله. إذًا الأفضل أن لا تحاول الاستكشاف - يمكنك أن تبقى مسجونًا في عالمٍ باهتٍ، كسولٍ، ومحدود؛ لا تغادره.
هذا العالم يقدم لك نوعًا مزيّفًا من المعرفة، يجعلك تتصوّر أنك تعرف. أنت لا تعرف أي شيء عن الحقيقة، ولكن لديك نظرية عن الحقيقة. وهذه المعرفة المزيفة خطرة. إنها حالة فكرية افتراضية.
لقد جرى تطبيع الرجل والمرأة ولكن بطرق مختلفة. جرى تطبيع الرجل ليكون عدوانيًا وتنافسيًا ومناورًا وأنانيًا. وجرت تهيئة الرجل ليقوم بنوع مختلف من الأعمال: الاستغلال، والطغيان والتحكم. أما المرأة فقد جرى تطبيعها لتكون الجارية. جرى تدريبها على الخضوع؛ وأعطيت عالمًا صغيرًا، المنزل. لقد انتُزِعَت الحياة بأكملها من المرأة. ولكن عندما تترسخ العقيدة، تتقبلها المرأة وتبقى مسجونة فيها، وكذلك الأمر بالنسبة للرجل.
لقد دُرّب الرجل على أن لا يبكي؛ فالدموع تتنافى مع الرجولة، وهكذا فإن الرجل لا يبكي. بأي نوع من الحماقة يمكننا أن نصف ذلك؟ للبكاء والنحيب بعض المفاعيل العلاجية بعض الأحيان - نحن بحاجة للبكاء، إنه ضروري، ويزيح عنا الهموم. ويستمر الرجل بإثقال نفسه بالهموم، لأنه لا يستطيع البكاء والنحيب، فهذا مظهر يتنافى مع الرجولة. أما المرأة فقد دُرّبت على

البكاء والنحيب، وهذا يتوافق مع الأنوثة. وهكذا فإن المرأة تبكي وتنتحب حتى عندما لا يكون هناك حاجة لذلك. ذاك هو النظام العقائدي - الذي يستخدمونه كطريقة للمناورة. وتعلم المرأة أنها غير قادرة أن تقنع زوجها عن طريق الجدال، ولكنها قادرة على البكاء - وهذا يحقق الغاية المرجوة، وهكذا يصبح البكاء طريقتها في الجدال. ولقد أُفسد الرجل بطريق معيّنة، فهو لا يستطيع البكاء، وأُفسدت المرأة بطريقة أخرى، فهي تستخدم البكاء للتحكم بالرجل. وبذلك يصبح البكاء ممارسة سياسية. وعندما تصبح دموعك مصبوغة بالسياسة، تفقد جمالها وتصبح قبيحة.

هذا النوع الثاني من التطبيع، هو أحد الأشياء التي نواجه صعوبة فائقة في التخلّص منها. إنه في غاية التعقيد. لديك عدد من العقائد السياسية والدينية وآلاف الأشياء الأخرى مختلطة في ذهنك. لقد أصبحت جزءًا لا يتجزأ منك.

يجب أن نتخلى عن هذه الأنظمة العقائدية لنفسح المجال للتفاهم؛ ومن ثم نصبح جاهزين للاستكشاف، وتتملكنا العفوية. بعد ذلك نشعر بالروعة، والغموض والسحر تحيط بنا من كل الجوانب. بعد ذلك لن تبقى الحياة كما عرفناها من قبل، ستصبح مغامرة. وستصبح بغاية الغموض لدرجة أن بإمكانك أن تستمر بالاستكشاف إلى ما لا نهاية. ولن تخلق أية عقيدة، ستبقى في حالة لامعرفة. وحالة اللامعرفة هذه يصرّ عليها الصوفيون والحكماء.

حاول أن تبقى باستمرار في حالة لامعرفة. إذا تمكنت من معرفة شيء ما، لا تتبناه كعقيدة، تخلَ عنه، ولا تسمح له أن يحاصرك، وإلا فعاجلاً أو آجلاً سيصبح قشرة صلبة تغلّفك وتعزلك عن الحياة.

حاول أن تبقى في حالة طفولية - لأنها تسهّل لك عملية التواصل والحوار. عندما يتحادث شخصان وهما في حالة لامعرفة، يحدث التناغم ويحصل التواصل. وتزول العوائق. وستتمكن من فهمي فقط إذا كنت في حالة لا معرفة، لأنني في هذه الحالة بصورة مستمرة. والتواصل معي يصبح ممكنًا فقط إذا تخليت عن عقائدك. لأن العقائد تعيق التواصل.

3 - التبرير: المصفاة الثالثة، الطبقة الثالثة، تشمل التحليل المنطقي المزيف، والتبرير، والتفسير والأعذار. وجميعها طرق مستعارة؛ بعيدة كل البعد عن تجاربك الأصيلة، ولكنها تمنحك بعض الشعور بالرضى: تشعر أنك إنسان بمنتهى العقلانية.

لا يمكنك أن تصبح عقلانيًا بتجميع حجج وبراهين مستعارة. فالعقلانية هي صفة يتحلى بها فقط الناس الأذكياء - وتذكّر أن هناك فرقًا كبيرًا بين الرجل المفكر والرجل الذكي. وأن الرجل المفكر يختبئ خلف التحليل المنطقي المزيف. وتحليله قد يكون منطقيًا ولكنه لن يكون عقلانيًا أبدًا. لأن عقلانيته مزيّفة.

أصغِ لهذه الحادثة التي سمعت بها:

كان رجل يغرق ويصرخ: «النجدة، لا أستطيع السباحة، لا أستطيع السباحة».

«أنا لا أستطيع السباحة أيضًا»، قال رجل مُسنّ يجلس على حافة النهر وهو يمضغ التبغ «ولكنني لا أصرخ بسبب ذلك».

ما قصده الرجل المسن في غاية المنطق «لماذا تصرخ بسبب ذلك؟ أنت لا تستطيع السباحة، وأنا أيضًا، فالتزم الهدوء».

ولكن الرجل المسن كان يجلس على حافة النهر، والرجل الآخر كان يغرق في وسط النهر. الوضعية مختلفة والإطار مختلف.
عندما يقول أحد الحكماء شيئًا ما، يمكنك أن تردد القول ذاته ولكن الإطار سيكون مختلفًا. وعندما يقول حكيم آخر شيئًا آخر، يمكنك أن تردد القول ذاته تمامًا ولكنه لن يحمل المعنى نفسه لأن الإطار مختلف. والإطار أكثر أهمية من القول، والأهم من القول هو صاحب القول.
لقد سمعت هذه الحكاية:
جلس داناغان في كرسي الاعتراف وباشر الاعتراف بصوت حزين فقال: «أيها الأب، لقد ارتكبت خطيئة في منتهى السوء، سوف ترمي بي خارج الكنيسة».
«ماذا فعلت يا بني؟» سأله الكاهن.
قال داناغان: «نهار أمس، رأيت زوجتي تتبختر أمامي فشعرت بإثارة عارمة، الأمر الذي دفعني لأن أمسك بها، وأمزّق ثيابها، وأطرحها أرضًا، وأمارس الجنس معها على التو وفي نفس المكان».
«هذا أمر غير اعتيادي». قال الكاهن، «ولكنه لا يبرر إبعادك عن الكنيسة».
«هل أنت متأكد أنك لن ترمي بي خارج الكنيسة؟» قال داناغان.
«كلا، بالطبع». أجاب الكاهن.
«حسنًا» قال داناغان «لقد رموا بنا خارج المتجر!».
المعنى له علاقة وثيقة بالإطار - من المتكلم، أين يتكلم، ما هي وجهة نظره ونوع خبراته. أنا أستخدم نفس الكلمات التي تستخدمها أنت، ولكن هل تحمل نفس المعنى؟ - ذلك غير ممكن. الكلمات هي نفسها ولكن بما أنها تصدر من أماكن مختلفة، فهي تحمل معاني مختلفة، ودلالات مختلفة، ونكهات مختلفة ونغمة مختلفة.
التفكير المنطقي المزيف هو ظاهريًا تفكير منطقي، ولكنه ليس بالعرفان. وهو يستخدم فقط لإيجاد الأعذار؛ وللجدال. إنه نوع من الخداع يبرع فيه عقل الرجل. وهو مصفاة تعمل بقوة داخل عقله.
التفكير المنطقي الحقيقي يبرز إلى الوجود فقط عندما يختفي التفكير المنطقي المزيف.
ما هو التفكير المنطقي الحقيقي؟ لقد قام كارل جاسبرز Carl Jaspers بتعريفه بوضوح. يقول: التفكير المنطقي هو الإنفتاح، والوضوح وإرادة الوحدة. وهو يستخدم المنطق وطرقه في الاستنتاج ليتجاوزها ويسمو فوقها. إنه التفتح النهائي لبراعم الحكمة.
ولكن هذا ليس التفكير المنطقي المزيَّف - إحذر المزيَّف. إن التفكير المنطقي المزيَّف يخلق المصافي والتفكير المنطقي الحقيقي يفتح الأبواب. الحقيقي هو جسر دائم والمزيف هو عائق مستديم.
هذه الطبقة الثالثة من التفكير المنطقي المزيف هي الأكثر إزعاجًا في وجودك.
4 - العاطفة: الطبقة الرابعة هي العاطفة. إنها مشاعر مزيفة. هياج وصخب من غير طائل. وعقل المرأة خبير في هذا المجال. هذه المشاعر فارغة وسطحية؛ وهي تعاطف غير مجدٍ، لا يقدّم ولا يؤخّر. إذا كان أحدهم مريضًا، أنت تجلس بجانبه وتبكي. بكاؤك لن يساعد في الشفاء. إن منزلك يحترق فتبدأ بالبكاء، وهذا لن يطفئ الحريق. يجب أن تتمكن من اكتشاف هذه المشاعر المزيفة، وإلا فلن تتمكن من معرفة المشاعر الحقيقية.

المشاعر الحقيقية تعني التورط والالتزام. إنها تعني تفهّم وتحسّس مشاعر الآخر وليس التعاطف معه فقط؛ إنها أفعال. عندما تشعر بشيء حقيقي في قلبك، يحوّلك هذا الشعور فجأة ويصبح فعلاً. هذا هو المقياس - مشاعرك تصبح أفعالاً. وإذا بقي شعورك شعورًا ولم يصبح فعلاً، يجب أن تدرك أنه شعور مزيف. وهكذا فأنت تخدع نفسك أو تخادع الآخرين.
من الصعب على الإنسان أن يتصرف بطريقة معاكسة لمشاعره. وإذا كنت لا تزال تتصرف بطريقة معاكسة لمشاعرك، فإن مشاعرك مزيفة - إنها ادعاءات. وكما أن الطبقة الثالثة هي حقل اختصاص الرجل، فإن الطبقة الرابعة هي حقل اختصاص المرأة.
5 - الكبت: الطبقة الخامسة هي غرائز مسمّمة ومعطّلة - الكبت.
كان غورداييف يقول إن جميع مراكزك متشابكة، موجودة في غير مواضعها، يتدخل أحدها بأعمال الآخر ويتعدى حدوده، وإنك لا تدري ماذا يحصل. عندما يقوم كل مركز بوظيفته، تكون النتيجة ممتازة، ولكن عندما يتدخل أحد المراكز بوظائف المراكز الأخرى، عندها تبدأ المصاعب ويصبح النظام بأكمله عُصابيًا.
على سبيل المثال، إذا كان المركز المسؤول عن السلوك الجنسي يعمل ضمن نطاقه، فالنتيجة ستكون مرضية. ولكن معظم الناس يكبتون هذا المركز لدرجة أنه انتقل عند معظمهم من أعضائهم التناسلية إلى رأسهم. وهذا ما قصدت بالتشابك. وهم الآن يمارسون الجنس من خلال رأسهم - من هنا أهمية الأعمال والفنون الإباحية والتخيّل. حتى عندما تمارس الحب مع زوجتك، قد تتخيل أنك تمارس الحب مع ممثلة جميلة. وفي هذه اللحظة فقط يبرز اهتمامك بممارسة الحب مع زوجتك. وفي الواقع، إن زوجتك غير موجودة، وأنت تمارس الاستمناء (العادة السرية). أنت في الواقع لا تمارس الحب مع زوجتك، وإنما تمارس الحب مع شخص لا وجود له. تتخيله في رأسك.
لقد سبّب الكبت أضرارًا في جميع مراكزك. ولم يعد ثمة مراكز منفصلة تعمل باستقلالية في مجالها. لقد أصبحت جميعها متشابكة ومتداخلة وتسبّبت بكثير من المشاكل والارتباك.
يمكن نقل أو تحويل المشاعر الجنسية عندما تصدر عن مركزها المختص؛ ولا يمكن نقلها أو تحويلها من الرأس. ولكن هذه المشاعر خلقت مركزًا مزيفًا في الرأس.
كان غورداييف صوفيًا. جاءت تعاليمه بأكملها من معلّمين صوفيين. وقدم للغرب طرقًا لرسم حدود كل مركز والسماح له بالقيام بوظائفه في المجال الذي يختص به.
إن الرأس يجب أن يعمل في مجال التفكير المنطقي فقط. هل لاحظت في بعض الأحيان الناس تقول: «أعتقد أنني أحبك». أعتقد أنني أحبك؟ ليس للحب أية علاقة بالاعتقاد. كيف يمكنك أن تعتقد أنك تحبني؟ ولكن ليس بإمكان هؤلاء الأشخاص أن يحبوا بواسطة القلب مباشرةً. حتى القلب يجب أن يمر عبر الرأس. لا يمكنهم القول ببساطة: «أنا أحبك».
عندما تتكلم عبر القلب، لا حاجة لأية لغة. وعندما تتكلم من رأسك، يمكن اللغة فقط أن تعبّر عما تقول؛ ولا توجد طريقة أخرى.
دع الرأس يعمل كمركز للتفكير المنطقي، ودع القلب يعمل كمركز للمشاعر، ودع مركز الجنس يعمل في مجال الجنس. دع كل مركز يعمل في مجاله. ولا تدع هذه الآليات تختلط وتتشابك فيما بينها، وإلا تعطلت غرائزك.

عنـــدما تكـــون الغـــريزة طبيعيـــة، غـــير محرّمـــة وعفويـــة، ستتمكن المراكز المختلفة في جسدك من العمل بوضوح وتناغم.
إن الطبقة الخامسة تدخل أيضًا في مجال خبرة الرجل.
6 - الحدس المعطل: الطبقة السادسة هي الحدس المعطل.
لقد أصبحنا غير مدركين لوجود الحدس. وبما أن الحدس هو الطبقة السادسة، وأنه مغلّف بالطبقات الخمس الأولى، أصبح من الصعب تحسّس وجوده.
الحـدس هـو ظـاهرة مختلفـة كليًا عـن التفكـير المنطقـي. التفكير المنطقي يجادل؛ يستخدم عملية منهجية ليصل إلى خلاصة. والحدس يقفز - إنه قفزة نوعية مفاجئة. يصل إلى الخلاصة من غير أية عملية منهجية.
لقد تمكن الكثير من علماء الرياضيات أن يحلّوا مسائل حسـابية مـن دون اسـتخدام أيـة عمليـة منـهجية. كـانت طريقتهم في العمل حدسية. يطرح أحدهم المسألة، وقبل الانتهاء من طرحها، يتمكن العالم الرياضي من حلّها. ولا يوجد أي فاصل زمني بين السؤال والجواب. لقد أدهشت هذه الظاهرة الغريبة علماء الرياضيات. كيف يتمكن هؤلاء الأشخاص من حل المسألة بهذه الطريقة؟ إذا اتبعنا طريقة منهجية في حل هذه المسائل، قد نحتاج إلى مدة زمنية لا تقل عن ساعتين للوصول إلى الحل. حتى الكومبيوتر، لا يمكنه حل المسألة بأقل من بضع دقائق، بينما يتمكن هؤلاء الذين يتمتعون بالحدس من حلّها على الفور. لقد أصبح الحدس أمرًا معترفًا به في عالم الرياضيات.
عندما يفشل التفكير المنطقي، يتمكن الحدس وحده من إيجاد الحل. وجميع العلماء العظماء يدركون ذلك، يدركون أن جميع اكتشافاتهم العظيمة تحققت بواسطة الحدس وليس بواسطة التفكير المنطقي. لقد عملت مدام كوري لمـــدة ثـــلاث ســـنوات علـــى مســـألة معيّنـــة وحـــاولت حلّهـــا بمختلف الطرق. ولكن جميع الطرق باءت بالفشل. وفي إحدى الليالي، وكانت متعبة ومرهقة، قررت التوقف عن متابعة أبحاثها في هذه المسألة. ورأت أنها أضاعت ثلاث سنوات من غير طائل، وأن الاستمرار في البحث غير مجدٍ. فـي تلـك الليلـة تـوقفت عـن متابعـة الأبحـاث وخلـدت إلـى النـوم. خـلال الليـل، اسـتيقظت مـن نومـها، وذهبـت إلـى طاولتـها وكتبـت الحـل ثـم عـادت إلـى متابعـة نومـها. فـي الصباح استيقظت ولم تتذكر ما حصل ولكنها وجدت الحل على الطاولة. لم يدخل غرفتها أي شخص آخر. حتى لو حصل ذلك، فلم يكن بالإمكان التوصل إلى الحل. لقد عملت طوال ثلاث سنوات ولم تتمكن من إيجاد الحل. ولكن الحل كان على الطاولة، علمًا أن الغرفة لم يدخلها أحد. ألقت نظـرة متمعّنـة إلـى الحـل فتبـيّن لـها أنـه كُتـب بخـط يـدها! وفجأة برز الحلم إلى عالم الوعي. لقد تذكرت أنها جلست إلى طاولتها في الليل وكتبت شيئًا ما، وتدريجيًا تذكرت كل شيء. لقد توصّلت إلى الحل بطريقة مختلفة، ليس عن طريق التفكير المنطقي، بل عن طريق الحدس.
جاهـد أحـد الحكمـاء لمـدة ست سـنوات ليصـل إلـى حالـة التنـوّر، ولكنـه لـم يتمكـن مـن ذلـك. وفـي أحـد الأيـام، قـرر التخلي عن هذا الجهد كليًا. جلس بقصد الاستراحة تحت أحد الأشجار، وعندما استيقظ في الصباح، تحقق مبتغاه. عندما فتح عينيه، كان في حالة السامادي Samadhi. ولكن قبل أن يحصل ذلك، يجب أن يكون العقل قد بلغ مرحلة الإرهاق. فالحدس يبدأ بالعمل فقط عندما يصبح العقل في حالة إرهاق.

الحدس لا يتبع أية عملية منهجية، إنه يقفز من المسألة إلى الحل فحسب. إنه طريق مختصر، وومضة خاطفة.
لقد تعطل الحدس عند الإنسان. ومعظم الحدس تقريبًا معطل عند الرجل؛ أما حدس المرأة فأفضل بقليل - لذلك يقال أن المرأة تملك حسًّا باطنيًا. والحس الباطني هو جزء من الحدس. لا يمكن التثبت منه. تريد أن تستقل الطائرة في رحلة معيّنة، وتقول زوجتك ببساطة إنها لا تريد الذهاب ولن تسمح لك بالذهاب أيضًا. لديها حس أن شيئًا ما سيحصل. بالنسبة لك هذا غير منطقي - لديك كثير من الأعمال تحتاج لإنجازها، لقد خططت لكل شيء، ويتحتم عليك الذهاب ولكن زوجتك لا تسمح بذلك. في اليوم التالي تقرأ في الصحف أن الطائرة التي كان من المفروض أن تستقلها خُطفت أو تحطمت وتوفي جميع ركابها. لم يكن بإمكان الزوجة أن تقول إنها عرفت أن ذلك سيحصل. هذا مستحيل. لقد كان الأمر حسًا باطنيًا فحسب. وهذا ليس بالحدس المكتمل، بل ومضة حدسية منفردة.
عندما تختفي الطبقات الخمس الأولى وتتخلى عن كل أفكارك المتصلبة - لأنك تعلمت أن التفكير المنطقي هو الوسيلة الوحيدة للتوصل إلى أية خلاصة - عندها سيبدأ الحدس بالتفتح. بعد ذلك لن يتوقف الأمر على ومضة حدسية منفردة، بل يصبح الحدس مصدر وميض متوفر بصورة مستديمة. يمكنك أن تغلق عينيك، وتدخل إليه وتحصل دائمًا على الوجهة الصحيحة منه. وعندما تزول هذه الطبقات الخمس، ينبعث شيء بداخلك يمكننا أن نسمّيه الدليل الداخلي (الباطني). ويمكنك أن تتوجه دائمًا إلى طاقتك الحدسية وستجد دائمًا النصيحة المناسبة. وهذا ما يدعونه في الشرق: المعلّم الداخلي. وعندما يبدأ حدسك بالعمل، لن تحتاج للنصيحة من معلم خارجي.
الحدس يجب أن يكون على أتم انسجام مع الذات. ومن خلال هذا الانسجام، تبرز الحلول من كل مكان.

الجانب الأنثوي لوظائف الدماغ

كان أحد الحكماء يقول:
«عندما يسألني الناس عن أوصاف زن Zen، أخبرهم هذه الحكاية:
بعد أن لاحظ الإبن أن والده الذي يحترف السرقة بدأ يشيخ، طلب منه أن يعلمه فن السرقة ليتمكن من الاستمرار باحتراف مهنة العائلة بعد تقاعده.
وافق الأب وفي الليلة ذاتها أقدما على سرقة أحد المنازل سويةً.
بعد أن فتح الوالد خزانة ضخمة، طلب إلى الابن أن يدخلها ويجمع الثياب الموجودة بداخلها. وبعدما أصبح الصبي داخل الخزانة، أقفلها الوالد وأصدر كثيرًا من الضجيج ليوقظ جميع أهل المنزل، ثم غادر المنزل بهدوء.
تملّك الصبي الغضب والرعب وهو محبوس داخل الخزانة، وانتابته الحيرة حيال كيفية الخروج من الخزانة. ثم ومضت بداخله بباله فكرة - أصدر صوتًا يشبه مواء الهرة.

طلب أحد أفراد العائلة من الخادمة أن تشعل شمعة وتفحص الخزانة.
عندما فُتح باب الخزانة، قفز منها الصبي، فأطفأ الشمعة، ودفع الخادمة جانبًا ولاذ بالفرار. ثم انطلق أهل البيت في أثره.
بعد أن لاحظ وجود بئر بجانب الطريق، التقط الصبي حجرًا كبيرًا ورماه بداخله ثم توارى في الظلام. تجمّع أهل البيت حول البئر لكي يشاهدوا الصبي يغرق.
عندما عاد الصبي إلى المنزل، كان غاضبًا من والده وحاول أن يخبره بما حصل؛ ولكن الوالد أجابه قائلاً: «لا تشغل نفسك بإخباري التفاصيل. أنت هنا - لقد تعلمت فن السرقة».
الكينونة واحدة ولكن العالم متعدد.... وبين الاثنين العقل المنقسم، العقل المزدوج. وهذا يشبه شجرة كبيرة، شجرة سنديان معمّرة: الجذع واحد، بعدها تنقسم الشجرة إلى فرعين رئيسيين، وهذا هو التفرّع الأولي الذي ينتج عنه مئات التفرّعات. الكينونة هي كجذع الشجرة، واحدة، غير مزدوجة - والعقل هو التفرع الأول حيث تنقسم الشجرة إلى قسمين، تصبح مزدوجة، متناقضة: الفكرة والفكرة المناقضة، الرجل والمرأة، ين ويانج Yin and Yang، النهار والليل، الله والشيطان، اليوغا والزنYoga and Zen. جميع ازدواجيات العالم متواجدة في ازدواجية العقل - وتحت مستوى الازدواجية هناك وحدة الكينونة. يمكنك أن تسميها الله، النيرفانا، أو ما يحلو لك.
إذا اتجهت إلى أعلى، فوق مستوى الازدواجية، تصل إلى العالم المتشعب إلى ملايين الأقسام.
يجب أن نفهم هذه الفكرة الجوهرية - أن العقل ليس واحدًا. ولذلك مهما ترى من خلال العقل يصبح اثنين. والأمر يشبه الشعاع الأبيض الذي يدخل المنشور؛ إنه ينقسم فورًا إلى سبعة ألوان ويبرز قوس قزح إلى الوجود. وقبل أن يدخل هذا الشعاع إلى المنشور كان واحدًا؛ ولكن عبر المنشور انقسم إلى ألوان قوس قزح السبعة.
العالم هو قوس قزح، والعقل هو المنشور، والكينونة هي الشعاع الأبيض.
توصلت الأبحاث الحديثة إلى واقع هام، يمكن اعتباره من أهم ما توصلت إليه الأبحاث في القرن العشرين، وهو أنك لا تملك عقلاً واحدًا بل عقلين. إن دماغك مقسوم إلى قسمين نصف كرويين Two Hemispheres، النصف الأيمن والنصف الأيسر. النصف الأيمن يتصل باليد اليسرى والنصف الأيسر يتصل باليد اليمنى. النصف الأيمن هو حدسي، غير منطقي، غير عقلاني، شاعري، خيالي، رومنطيقي، خرافي، متدين؛ والنصف الأيسر هو منطقي، عقلاني، رياضي (من رياضيات)، علمي، حسابي. وهذان القسمان هما في حالة صراع دائم - جميع أنواع الممارسات السياسية موجودة في داخلك.
اليد اليسرى تتأثر بالقسم الأيمن من الدماغ - الحدس، المخيلة، الخرافة، الشعر، الدين - واليد اليسرى غير مقبولة في المجتمع. ذلك أن المجتمع يفضل مَن يستخدم اليد اليمنى المرتبطة بالقسم الأيسر من الدماغ. إن 10% من الأطفال يستخدمون اليد اليسرى عند ولادتهم ولكنهم يُجبرون على استخدام اليد اليمنى. هؤلاء الأطفال هم أساسًا حدسيين، غير عقلانيين، وغير رياضيين (من رياضيات) - إنهم يشكلون خطرًا على المجتمع، ولذلك يجبرهم على استخدام اليد اليمنى. والموضوع لا يتعلق باليد اليمنى أو اليسرى، ولكنه يتعلق بالسياسة: الطفل الأعسر يتأثر سلوكه بالقسم الأيمن - وهذا غير مسموح به من قِبل المجتمع، إنه خطر، ويجب أن يضع له حدًا قبل فوات الأوان.

من المعتقد أنه في بدء الخلق، كانت نسبة الأعسر والأيمن متساوية. ولكن من المحتمل أن حزب مستخدمي اليد اليمنى حكم لمدة طويلة من الزمن، وتدريجيًا تغيرت النسبة وأصبحت 10% أيسر و90% أيمن. قد يكون الكثير منكم أيسر من دون أن يعي ذلك. وقد تستخدم اليد اليمنى في الكتابة وفي العمل، ولكن قد تكون أجبرت في أيام الطفولة على استخدام اليد اليمنى. وهذه حيلة، لأنه عندما تستخدم يدك اليمنى، يبدأ القسم الأيسر من دماغك بالعمل. والدماغ الأيسر عقلاني بينما الدماغ الأيمن حدسي وغير عقلاني.

إذا فهمنا هذا التقسيم، يمكننا أن نفهم كثيرًا من التقسيمات. وإذا أخذنا البورجوازية والبروليتاريا مثلاً، نرى أن الطبقة البروليتاريا تعمل من خلال النصف الأيمن من الدماغ. والناس الفقراء هم حدسيون بغالبيتهم. وكذلك البدائيون. والقدرات الفكرية عند الفقراء أقل مما هي عند الأغنياء نسبيًا - وقد يكون ذلك هو السبب لكونهم فقراء. بما أن قدراتهم الفكرية أقل، فهم لا يستطيعون المنافسة في عالم العقل. لأن المنافسة تتطلب مقدرة لغوية وفكرية وحسابية - إنهم حمقى تقريبًا. وقد يكون ذلك سبب فقرهم.

إن الرجل الغني يعمل من خلال النصف الأيسر من الدماغ؛ وهو أقدر في المسائل الحسابية والرياضية، ذكي، وشديد المكر والدهاء - كما أنه يخطط. وقد يكون ذلك سبب غناه.

والتقسيم البورجوازي - البروليتاري لن يزول بسبب الثورة الاشتراكية، لأن قادة الثورة هم من البورجوازيين. وقد حكم القيصر روسيا من خلال النصف الأيسر من الدماغ. وبعد الثورة حلّ لينين محلّه وهو من ذات الفئة - الفئة التي تحكم من خلال الدماغ الأيسر. ثم استبدل لينين بستالين الذي كان من نفس الفئة أيضًا. كانت الثورة خدعة، والبروليتاريا لم تحكم، لأن الذين قادوا الثورة كانوا من نفس الفئة البورجوازية. كان الحكام من فئة النصف الأيسر من الدماغ والمحكومون من فئة النصف الأيمن من الدماغ.

والتقسيم نفسه يصحّ بين الرجل والمرأة. تستخدم المرأة النصف الأيمن والرجل يستخدم النصف الأيسر. ولقد حكم الرجل المرأة لقرون عديدة. والآن هناك بعض النساء اللواتي يثرن ضد هذا الواقع، ولكن الغريب في الأمر أن هؤلاء النساء هن من نفس فئة الرجال. وفي الواقع إنهم يشبهون الرجال تمامًا - إنهم عقلانيون، منطقيون وجدليون. ومن الممكن في أحد الأيام، وكما نجحت الثورة الاشتراكية في الصين وروسيا، أن تنجح المرأة، ربما في أمريكا، في انتزاع السلطة من الرجل. ولكن في الوقت الذي تنجح فيه المرأة بذلك، لن تكون امرأة لأنها أصبحت مسيّرة بالنصف الأيسر من الدماغ. والمرأة لكي تقاتل يجب أن تخطط، ولكي تقاتل الرجل يجب أن تكون عدوانية مثل الرجل. وهذه العدوانية تتجلى في جميع أنحاء العالم من خلال حركات التحرّر النسائية. والنساء اللواتي أصبحن جزءًا من حركات التحرّر هذه هن في منتهى العدوانية، وقد فقدن جمالهن وقدراتهن الحدسية. ولكي تقاتل الرجل، على المرأة استخدام ذات الخدع والتقنيات.

عندما تقاتل أي عدو، هناك خطر بأن تصبح شبيهًا بعدوك. وهذا من أعظم مشاكل الإنسان. عندما تقاتل عدوًا ما، تجد نفسك تستخدم تدريجيًا نفس التقنيات والأساليب. قد تتغلب على عدوك، ولكن في الوقت الذي تتغلب فيه على عدوك، تكون قد أصبحت عدوًا لنفسك. لقد كان ستالين قيصريًا أكثر من القيصر، وأكثر عنفًا من أي قيصر. كان هذا أمرًا متوقعًا: لكي تتغلب على القيصر تحتاج لأشخاص في منتهى العنف، أشد عنفًا من القيصر بذاته. والفرق أنهم

يصبحون ثوارًا ويتمكنون من السيطرة على السلطة. وعندما يتسلمون زمام السلطة يصبحون هم القياصرة، ويبقى المجتمع على حاله. تتغير الأشياء السطحية فقط، ولكن في الجوهر يبقى الصراع نفسه.
الصراع هو في داخل الإنسان. وإذا لم يُحلّ في داخله، فليس بالإمكان أن يُحل في أي مكان آخر. إن الصراع السياسي هو في داخل الإنسان؛ إنه صراع بين قسمي الدماغ.
هناك جسر صغير يصل بين هذين القسمين، لو دُمّر الجسر بسبب حادث ما أو أي خللٍ فيزيولوجي، لانقسمت شخصية الإنسان، ولأصبح له شخصيتان منفصلتان، وغدا ذهانيًا. في الصباح أنت محب ولطيف؛ وفي المساء أنت غاضب ومختلف كليًا. أنت لا تتذكر ما كنت عليه في الصباح - وكيف لك أن تتذكر؟ كان هناك عقل آخر يُسيّر سلوكك. إذا قوّينا هذا الجسر إلى أقصى حدٍ ممكن، بحيث يصبح العقلان عقلاً واحدًا، عندها يتحقق التكامل والتبلور. وما كان جورج غوردادييف يسميه «تبلور الكائن»، ما هو سوى توحّد العقلين، التقاء الأنثوي والذكري في الداخل، التقاء ين ويانغ، التقاء اليسار واليمين، التقاء المنطق واللامنطق.
إذا تمكنت من تفهّم هذا التشعب في شجرة العقل، عندها تتمكن من فهم الصراع حولك وفي داخلك.
دعوني أخبركم هذه السالفة:
بالنسبة للألمان، تُعتبر مدينة برلين Berlin قمة الصلابة والفعالية البروسية، بينما تمثل مدينة فيينا منتهى الجمال واللامبالاة. وتروى قصة عن أحد البرلينيين (من برلين) الذي ذهب بزيارة إلى فيينا وضلّ طريقه وأصبح بحاجة لمن يعطيه إرشادات ليتمكن من الوصول إلى مقصده. كيف يمكن لهذا البرليني أن يتصرف؟ لقد أمسك بسترة أحد المارة الفيينيين (من فيينا) وصاح به: «مكتب البريد - أين أجده؟».
أزاح الفييني المندهش قبضة البرليني، ملَّس سترته، ثم قال بلهجة لطيفة، «سيدي، ألم يكن بإمكانك أن تكون أكثر لياقة وتتقدم مني بتهذيب وتقول: سيدي، لو كان لديك بعض الوقت وكنت تعلم مكان وجود مكتب البريد، هل بإمكانك أن ترشدني إليه؟».
نظر إليه البرليني بدهشة لبرهة قصيرة ثم صاح مدمدمًا: «أفضل أن أبقى ضائعًا!» ثم مضى بعيدًا.
هذا الفييني بذاته كان يزور برلين في السنة نفسها وكان عليه أن يجد مكتب البريد. تقدم من أحد البرلينيين وقال بتهذيب: «سيدي، لو كان لديك بعض الوقت وكنت تعلم مكان وجود مكتب البريد، هل بإمكانك أن ترشدني إليه؟».
أجاب البرليني بسرعة آلية: «تابع في نفس الاتجاه، تخطّ شارعين ثم استدر إلى اليمين، تابع السير وبعد أن تتخطى أول شارع استدر إلى اليمين مجددًا وتابع السير ثم استدر فورًا إلى اليسار وامشِ فوق سكة الحديد، بعد أن تتخطى زاوية بيع الصحف، تدخل بهو مكتب البريد».
والفييني، الذي بدا أكثر ارتباكًا منه فرحًا، تمتم قائلاً: «ألف شكر يا سيدي الكريم»، بينما أمسك البرليني بشدة بسترته وصاح: «دعك من الشكر - ردد التعليمات!».
العقل الذكوري - البرليني؛ والعقل الأنثوي - الفييني. عقل الأنثى يتمتع بالرقة، بينما يتمتع عقل الذكر بالفعالية. وفي المدى البعيد، إذا كان هناك قتال متواصل، لا بد للعقل الرقيق أن ينهزم وللعقل الفعّال أن ينتصر، لأن العالم يفهم اللغة الحسابية الرياضية وليس لغة الحب. ولكن

عندما تنتصر الفعالية على الرقة، تكون قد أضعت شيئًا ثمينًا: تكون قد فقدت الاتصال بنفسك. قد تصبح في منتهى الفعالية، ولكن لن تصبح إنسانًا حقيقيًا. ستصبح شبيهًا بالآلة.
بسبب هذا التمايز، هناك صراع متواصل بين الرجل والمرأة. لا يمكنهما البقاء منفصلين - يجب أن يرتبطا بعلاقات متكررة - ولا يمكنهما البقاء سوية أيضًا. إن الصراع في داخلك وليس في الخارج.
في رأيي، إذا لم تتمكن من حسم الصراع الداخلي بين النصف الأيسر والنصف الأيمن من دماغك، فلن تتمكن أبدًا من معرفة الحب الهادئ، لأن الصراع الداخلي سينعكس على علاقاتك الخارجية. وإذا كنت تعيش حالة صراع داخلي وكنت تتماهى مع النصف الأيسر من الدماغ، النصف العقلاني، وتحاول باستمرار إخضاع النصف الأيمن للنصف الأيسر، فإنك ستفعل الشيء نفسه مع المرأة التي تحبها. وإذا كانت المرأة تصارع عقلانيتها في الداخل، فإنها ستصارع باستمرار الرجل الذي تحب.
إن العلاقات بشعة - ما عدا قلة قليلة - هي في البداية جميلة - في البداية لا تظهر على حقيقتك. وبعدما تتوثق العلاقة وتشعر بالارتياح، يبدأ صراعك الداخلي بالغليان وينعكس على علاقتك. بعد ذلك يحين وقت القتال، وإيذاء الآخر، وتحطيمه.
يأتي إلي الناس ويسألونني كيف يمكنهم أن يتعمقوا في علاقاتهم. أقول لهم: «أولاً، تعمّقوا بالتأمل». إذا لم تتمكن من حسم صراعاتك الداخلية، ستخلق أكثر مما لديك من المشاكل. وإذا أقمت علاقة وثيقة ستتضاعف مشاكلك. يقال إن الحب هو أروع وأجمل ما في الوجود، ولكن هل بإمكانك أن تعثر على أي شيء يوازيه في البشاعة والتعاسة؟
قال لي أحد الحكماء في أحد الأيام: «لقد أجّلت هذا اليوم البغيض لمدة شهور، ولكن عليّ أن أقوم بذلك الآن».
«زيارة طبيب الصحة أم طبيب الأسنان؟» سألته.
«لا شيء من ذلك» قال، «سأتزوج».
يُقدم الناس على تحاشي الزواج أو تأجيل موعده. وعندما يتبيّن لهم أنه لا مفر من ذلك، عندها فقط يشعرون بالارتياح. عندما تكون غير متزوج، يبدو لك الزواج جميلاً، وكأنه واحة في الصحراء - ولكن عندما تقترب منه، تبدأ الواحة بالجفاف والاختفاء. عندما تصبح متزوجًا، تصبح مسجونًا - ولكن تذكر أن وجودك في السجن لم تتسبّب به عوامل خارجية بل عوامل داخلية.
إذا سيطر عليك النصف الأيسر من الدماغ، ستحيا حياةً ناجحة - ناجحة لدرجة أنه حين تبلغ الأربعين من العمر ستكون مصابًا بالقرحة؛ وعندما تبلغ الخامسة والأربعين ستكون قد أصبت بنوبتين قلبيتين. وعندما تبلغ سن الخمسين، ستكون في عداد الأموات، ولكن ستكون من الأموات الناجحين! قد تصبح عالمًا عظيمًا، ولكنك لن تصبح إنسانًا عظيمًا. قد تجمع ثروة طائلة، ولكنك ستخسر كل ما له قيمة. قد تنتصر على العالم بأكمله كالإسكندر، ولكنك لن تنتصر على نفسك.
هناك عدة أمور جاذبة لاتّباع النصف الأيسر من الدماغ، الذي هو الدماغ الدنيوي؛ إنه يهتم بالأشياء المادية - سيارات، أموال، منازل، سلطة، مكانة. وهذا هو توجّه الرجل الذي ندعوه في الهند جروستا Grustha، صاحب منزل.

والنصف الأيمن هو التوجّه الذي يتبعه المتنسّك، الشخص الذي يهتم بعمقه الداخلي، بصفائه الداخلي، بسعادته، ولا يـهتم بالأشـياء الماديـة. إذا حصـل عليـها بسـهولة لا بـأس بذلك؛ وإذا لم يحصل عليها لا بأس بذلك أيضًا. إنه أكثر اهتمـامًا باللحظـة الآنيـة وأقـل اهتمـامًا بالمستقبل؛ أكثـر اهتمامًا بشاعرية الحياة، وأقل اهتمامًا بحساباتها.

لقد سمعت النادرة التالية:

حقق فينكلستين ثروة كبيرة في سباق الخيل الأمر الذي أثار غيرة صديقه موسكوفيتس فسأله: «كيف حققت ذلك يا فينكلستين؟» «بسهولة»، قال فينكلستين، «لقد كان حلمًا».

«حلمًا؟» قال موسكوفيتس مندهشًا.

«نعـم. قـررت المراهنـة علـى مجموعـة مـن ثلاثـة أحصـنة؛ ولكنني لم أكن واثقًا من اختياري للحصان الثالث. في الليلة التي سبقت موعد السباق، حلمت أن ملاكًا كان يقف فوق سريري ويكرر القول: لتحلّ البركة عليك يا فينكلستين، لتحلّ عليك سبع بركات، سبع مرات... عندما استيقظت، تبيّن لي أن حاصل سبعة مضروبة بسبعة يساوي ثمانية وأربعـين وأن الـرقم ثمانيـة وأربعين يعـود للحصـان الـذي يُدعى حلم الجنة. فقررت أن يكون الحصان حلم الجنة هو الحصان الثالث في مراهنتي الثلاثية.وهكذا حصل وجنيت ثروةً طائلة.

قـال موسـكوفيتس: «ولكـن يـا فينكلسـتين، ولكـن حاصـل سبعة ضرب سبعة يساوي تسعة وأربعين!» قال فينكلستين: «إذًا لتكن أنت عالم الرياضيات».

هنـاك طـريق لاتّبـاع الحيـاة مـن خـلال الأعمـال الحسـابية، وهناك طريق آخر لاتباع الحياة من خلال الأحلام والرؤى. ولكنهما طريقان مختلفان كليًا.

منذ أيام قليلة سألني أحد الأشخاص: «هل هناك أشباح، جنيـات، وأشـياء مشـابهة؟» نعم، إنـها مـوجودة - إذا كـان النصف الأيمن هو الذي يحرك سلوكك، فهي موجودة. أما إذا كان النصف الأيسر هو الذي يحرك سلوكك، فهي غير موجودة. إن جميع الأطفال يحركهم النصف الأيمن؛ وهم يـرون الأشباح والجنيـات فـي كـل مكـان. ولكـن الراشـدين يتكلمون معهم ويقنعونهم أنه لا وجود لمثل هذه الأشياء، وأنـها صـور فـي خيالـهم، وينعتونـهم بالسـخافة والحماقـة. وتدريجيًا يُقنع الراشدُ الطفلَ بالتوجه من خلال النصف الأيسر بدلاً من النصف الأيمن. وعليه أن ينفّذ ذلك - عليه أن يعـيش فـي عـالم الراشـدين. عليـه أن ينسـى أحلامـه، خيالاتـه، أشـعاره، وعليـه أن يتعلـم الحسـابات الرياضـية. بـالطبع، سـيصبح متمكنًا مـن الحسـابات الرياضـية، ولكنـه سـيصبح عـاجزًا ومشـلولاً فـي الحيـاة. يبتعـد عـن الـوجود تدريجيًا ويصبح سلعة في السوق، تصبح حياته بأكملها تافهة... ومع ذلك فهي قيّمة جدًا في أعين الناس.

إن المتنسك هو الشخص الذي يعيش من خلال مخيلته وأحلامه، من خلال الشعر والرؤى - وهذا ما يجعل الأشجار أكثر اخضرارًا والأطيار أكثر جمالاً، ويضفي نورًا مشعًا على كل الأشياء. الأحجار العادية تصبح ماسًا؛ والصخور العادية تصبح غير عادية - لا وجود لأي شيء عادي! عندما تنظر من خلال نصف الدماغ الأيمن، تصبح جميع الأشياء إلهية ومقدسة.

كـان أحـد الرجـال يجلـس مـع صـديق لـه فـي مطعـم وكـانا يشربان الشاي. فجأة نظر إلى كوب الشاي وقال متنهدًا: «يا صديقي، إن الحياة تشبه كوب الشاي».

فكّر الصـديق بـهذا التصـريح ثـم قـال: «ولكـن لمـاذا؟ لمـاذا تشبه الحياة كوب الشاي؟».

أجاب الرجل: «وكيف لي أن أعرف ذلك؟ هل أنا فيلسوف».

الدماغ الأيمن يعبّر عن الواقع ولكنه لا يعطي أسبابًا. إذ سألت: «لماذا؟» يبقى صامتًا ولن يصدر عنه أي جواب. وإذا كنت تتنزه ورأيت زهرة اللوتس وقلت: «رائعة الجمال!» وسألك أحدهم: «لماذا؟» - ماذا ستفعل؟ سوف تقول: «كيف لي أن أعرف ذلك؟ هل أنا فيلسوف؟».
إنها عبارة بسيطة جدًا وكاملة. لا يوجد أي سبب خلفها، ولا نتوقع منها أية نتيجة. وهي تعبّر ببساطة عن الواقع فحسب. اقرأ الأوبانيشادات - إنها تعبير بسيط عن الواقع فحسب. إنها تقول: «الله هو - لا تسأل لماذا». إذا سألت سوف تجيب: «هل نحن فلاسفة؟ كيف لنا أن نعرف؟ الله هو». إنها تقول إن الله جميل، إن الله قريب، أقرب من قلبك، ولكن لا تسأل لماذا - ستحصل على نفس الجواب.
انظر إلى الإنجيل وعبارات عيسى عليه السلام - إنها بسيطة. «إلهي في لا تسأل لماذا». لن يستطيع أن يثبت ذلك في المحكمة. سوف يقول ببساطة: «أنا أعرف».
هناك مشكلة عندما ينتقل رجل مثل عيسى عليه السلام إلى العالم. العقل المنطقي لا يمكنه فهم ذلك. لم يصلب عيسى عليه السلام لأي سبب آخر. لقد صلب بواسطة النصف الأيسر من الدماغ لأنه كان يتبع النصف الأيمن من الدماغ. لقد صلب بسبب الصراع الداخلي.
يقول أحد الحكماء: «يبدو أن العالم بأكمله ذكي، أنا فقط مشوّش الذهن؛ يبدو أن العالم بأكمله على يقين، أنا فقط المرتبك والمتردد». لقد كان من أتباع النصف الأيمن.
الدماغ الأيمن هو دماغ الشعر والحب. وهناك حاجة لنقلة عظيمة؛ هذه النقلة هي التحوّل الداخلي (الباطني). إن اليوغا هي محاولة للتوصل إلى وحدة الكينونة عبر النصف الأيسر من الدماغ باستخدام المنطق، والرياضيات، والعلوم، ومحاولة تخطي ذلك. والبوذية الزنّية هي عكس ذلك: الغاية هي ذاتها، ولكن زن Zen يستخدم الدماغ الأيمن ليتخطى التفكير المنطقي. يمكن استخدام أية طريقة، ولكن إذا اتبعنا طريقة اليوغا، فإن المسيرة ستكون طويلة؛ ستكون كفاحًا غير ضروري لأنك تحاول أن تصل إلى العقل الأعلى عن طريق العقل، وهذا أمر في منتهى الصعوبة. وطريقة الزن أسهل لأنها تحاول التوصل إلى العقل الأعلى عن طريق اللامعقول. واللامعقول مشابه للعقل الأعلى تقريبًا - لا وجود للعوائق. وتشابه اليوغا عملية اختراق الحائط، والزن يشابه عملية الدخول من الباب. والباب قد لا يكون موصدًا كليًا، ينفتح بدفعة بسيطة.
الآن، حان وقت سرد القصة. وهي من أجمل قصص الزن. علمًا أن أتباع مذهب الزن يتكلمون بواسطة القصص - يتكلمون بواسطة القصص لأن ليس بإمكانهم خلق نظريات ومبادئ، بإمكانهم أن يرووا القصص فقط. وهم من أفضل الرواة. عيسى عليه السلام، وأحد الحكماء، والصوفيون، جميعهم يتكلمون بواسطة الأمثال والحكايات - وهذه ليست مصادفة. القصة، المثل، النادرة، هي ما يستخدمه الدماغ الأيمن؛ والمنطق، الجدال، البرهان هي ما يستخدمه الدماغ الأيسر.
أصغ إلى القصة:
اعتاد أحد العلماء أن يقول: «عندما يسألني الناس عن صفات مذهب الزن، أخبرهم هذه القصة».
والقصة تخبر فعلاً عن صفات الزن - من دون أي تحديد، إنها تشير إلى صفاته فقط. والتحديد غير ممكن لأنه لا يمكن تحديد صفات الزن الجوهرية. يمكنك أن تختبرها ولكن لا يمكنك أن

تحددها؛ يمكنك أن تعيشها، ولكن اللغة غير كافية لتعبّر عنها؛ يمكنك أن تريها للآخرين، ولكن لا يمكنك أن تقولها. ولكن عبر قصة، يمكننا أن ننقل بعض المعرفة. وهذه القصة تشير فعلاً وبدقة إلى صفات الزن.

إنها إشارة فقط، فلا تستخدمها كتحديد، ولا تفلسفها، ودعها تكون كالبرق، ومضة من التفهم. إنها لن تزيد معرفتك، ولكنها تؤمن لك نقلة، هزّة، تغير في الصورة الكلية. وقد يسبّب ذلك انتقالك من زاوية إلى زاوية أخرى في الدماغ.... وهذا ما تبتغيه القصة.

بعد أن لاحظ الابن أن والده الذي يحترف السرقة بدأ يشيخ، طلب منه أن يعلمه فن السرقة ليتمكن من الاستمرار باحتراف مهنة العائلة بعد تقاعده.

مهنة السرقة لا تتطلب معرفة علمية عالية، فهي أقرب إلى الفن. والسارقون يولدون سارقين كما يولد الشعراء شعراء؛ ولا يمكنك تعلّم فن السرقة، فالعلم لن يفيد. والشرطة تفوق السارقين بأشواط في مجال العلم والمعرفة في هذا المجال.

السرقة موهبة. والسارق يولد سارقًا؛ وهو يعمل من خلال حدسه وحسه الباطني. وهو ليس برجل أعمال، بل مقامر؛ إنه يخاطر بكل شيء مقابل لا شيء تقريبًا. إنهم يهدمون الحائط في مكان ما، ويدخلون من الباب الخلفي. ولأن هذا غير جائز في وضح النهار، يدخلون في الظلمة. ولا يمكنهم أن يلحقوا بالجماهير على الطرقات العامة السريعة، فيتسللون عبر الغابة. نعم هناك وجه شبهٍ أكيد، إذا كنت فنانًا يعرف كيف يسرق الشعلة، كيف يسرق الكنز.

كان الأب على وشك اعتزال عمل السرقة فطلب منه ابنه «قبل أن تعتزل، علمني فن السرقة».

وافق الأب. وفي الليلة ذاتها أقدما على سرقة أحد المنازل سوية.

بعد أن فتح خزانة ضخمة، طلب الوالد إلى الابن أن يدخلها ويجمع ما بداخلها من الثياب. وبعدما أصبح الصبي داخل الخزانة، أقفلها الوالد وأصدر كثيرًا من الضجيج ليوقظ جميع أهل المنزل، ثم غادر المنزل بهدوء.

لا بد أن الأب كان معلّمًا بارعًا، وليس بسارق عادي.

تملك الصبي الغضب والرعب والحيرة وهو محبوس داخل الخزانة.

بالطبع، هذا متوقع! ما هي طريقة التعليم هذه؟ لقد رماه والده في وضعٍ خطر. ولكن تلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يتعلم بها شيئًا عن المجهول. الطريقة الوحيدة التي سيتعلم منها شيئًا من الدماغ الأيمن.

الدماغ الأيسر يمكن تدريبه في المدارس: التعليم ممكن، والانضباط ممكن، والتدرج في المعرفة ممكن. وهكذا بعد مواصلة الترقي من صفٍ إلى آخر، تصبح حاملاً لماجستير في العلوم أو غيرها من الاختصاصات. ولكن لا يمكن إيجاد مدارس لتدريب الدماغ الأيمن: لأنه حدسي ويعمل بطريقة مفاجئة غير متدرجة. إذا تجلت المعرفة، تكون قد تجلت، وإذا لم تتجلَّ، لا يمكنك أن تفعل أي شيء حيال ذلك. كل ما يمكنك أن تفعله، هو أن تترك نفسك في وضعية تمكنها من التجلي.

لذلك قلت إن الأب لا بد أنه كان معلمًا بارعًا.

تملك الصبي الغضب والرعب والحيرة وهو محبوس داخل الخزانة.

لم يكن هناك أية طريقة منطقية للخروج من تلك الخزانة: لقد كانت مقفلة من الخارج، كما أن الأب أصدر ضجيجًا وأيقظ أهل المنزل الذين بدأوا بالتجوّل والتفتيش في كل أرجاء المنزل، ثم غادر المنزل. والآن، هل هناك أية طريقة منطقية للخروج من هذه الخزانة؟ لقد فشل المنطق، لا فائدة

من استخدام العقل. بماذا يمكنك أن تفكر؟ لقد توقف الفكر بصورة مفاجئة - وهذا ما فعله الأب، هذا ما كان يقصده. كان يحاول أن يجبر ابنه على الدخول إلى وضعية يتوقف فيها العقل المنطقي عن التفكير، لأن السارق لا يحتاج إلى عقل منطقي. لأنه لو تبع عقله المنطقي، فلن يطول الزمن حتى يُقبض عليه من قبل الشرطة، لأنها تستخدم التفكير المنطقي نفسه.
لقد حصل شيء مماثل خلال الحرب العالمية الثانية. تواصلت انتصارات هتلر لمدة ثلاث سنوات، والسبب في ذلك، أنه كان غير منطقي. وكانت جميع الدول التي تحاربه، تقاتل بطريقة منطقية. بالطبع، كانت تلك الدول بارعة في علم الحرب والتدريبات العسكرية، وكان لديها خبراء يعطونها توقعات عن زمان ومكان هجمات هتلر. ولو كان هتلر عاقلاً لصحّت أغلب توقعاتهم، لأنهم كانوا دائمًا يتوقعون أن تتم الهجمات في أضعف نقاط الدفاع. بالطبع، يجب مهاجمة العدو في أضعف نقاط دفاعه - هذا منطقي. وهكذا كانوا يتوقعون هتلر في أضعف النقاط، ويحشدون جيوشهم في هذه النقاط، وكان هتلر يضرب في أماكن أخرى، غير متوقعة.
حتى إن هتلر لم يكن ليستمع لنصائح قادته الكبار؛ كان لديه مُنجّم يقترح عليه نقاط الهجوم. وهذا شيء لم يحصل من قبل - أن تدار الحرب بواسطة المنجّمين! وعندما علم تشرتشل بذلك، عندما بدأت تقارير الجواسيس تقول إنه لا يمكن هزيمة هتلر لأنه كان غير منطقي لأقصى درجة - كان هناك منجّم مغفّل لا يعرف أي شيء عن الحرب ولم يقترب أبدًا من جبهات القتال، يساعد هتلر باتخاذ القرارات الهامة، مستندًا إلى النجوم... ما دخل النجوم بالحرب على الأرض؟ على الفور، عيّن تشرتشل منجّمًا ملكيًا وبدأ التقيد بإرشاداته. وبعد ذلك انتظمت وتحسنت الأوضاع. الآن أصبح هناك مغفلان يقومان بالتنبؤات الحربية.
لو اتبع أي سارق التفكير المنطقي في عمله، لقُبض عليه عاجلاً أم آجلاً لأن الشرطة تستخدم طريقة التفكير المنطقي نفسها. وإذا اتبعت المنطق، فأي شخص يتبع ذات المنطق، يمكنه أن يمسك بك في أي مكان. يجب أن يكون سلوك السارق غير قابل للتنبؤ؛ هنا يكون المنطق غير ممكن، ويجب أن يكون غير منطقي - حتى لا يتمكن أحد من التنبؤ بسلوكه. ولكن السلوك المخالف للمنطق لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كانت طاقتك بأكملها تتحرك من خلال النصف الأيمن من الدماغ.
تملك الصبي الغضب والرعب، وتملكته الحيرة حيال كيفية الخروج من الخزانة.
أن نسأل كيف؟ يعني أننا نسأل سؤلاً منطقيًا. لذلك كان الصبي مرتعبًا لعدم وجود طريقة منطقية للخروج من الخزانة.
ثم ومضت بداخله فكرة - الآن هذه نقلة نوعية. فقط في الحالات الخطرة حيث لا يتمكن الدماغ الأيسر من القيام بوظيفته، يُسمح للدماغ الأيمن باعتماد طرقه الخاصة لإنقاذ الموقف. فعندما تُسد جميع الطرق في وجهه، وعندما يشعر بالهزيمة الكلية، عندها فقط، يقرر إعطاء فرصة للنصف المضطهد والمسجون من الدماغ.
ثم ومضت بداخله فكرة - أصدر صوتًا يشبه مواء الهرة.
إن إحداث صوت يشبه صوت الهرة ليس بالأمر المنطقي. إنها فكرة سخيفة فحسب. ولكنها حققت الغاية.
طلب أحد أفراد العائلة من الخادمة أن تضيء شمعةً وتفحص الخزانة.

عندما فُتح باب الخزانة، قفز منها الصبي. أطفأ الشمعة، ودفع الخادمة جانبًا ثم لاذ بالفرار. وانطلق أهل المنزل في أثره.
بعد أن لاحظ وجود بئر بجانب الطريق، التقط الصبي حجرًا كبيرًا ورماه بداخله ثم توارى في الظلام. تجمّع أهل البيت حول البئر لكي يشاهدوا الصبي يغرق.
هذا العمل لم ينتج عن التفكير المنطقي أيضًا. لأن التفكير المنطقي يحتاج إلى الوقت ليدرس جميع الخيارات المتوفرة ولينتقي ما يعتقده أفضل خيار؛ وهناك دائمًا كثير من الخيارات. ولكن عندما تكون في وضع مماثل، لا يوجد وقت كافٍ للتفكير. إذا كنت ملاحقًا من قِبل الناس، كيف يمكنك أن تفكر؟ التفكير ممكن عندما تكون جالسًا في مقعد مريح، بحيث يمكنك أن تغلق عينيك وتبدأ بالتفكير والنقاش وتحدد مواقفك المؤيدة أو المناهضة لتلك الأفكار. ولكن عندما تكون ملاحقًا من قِبل الناس، وتكون حياتك مهددة بالخطر، فليس هناك وقت للتفكير - يجب أن تتكيف مع هذه اللحظة، يجب أن تتصرف بعفوية. الصبي لم يتخذ قرارًا برمي الحجر في البئر، لقد حصل الأمر فحسب. عمله لم يكن خلاصة لعملية تفكير منطقي، ولقد وجد نفسه يقوم بذلك فحسب. لقد رمى حجرًا في البئر وتوارى في الظلام. وهذا جعل ما من كانوا يلاحقونه يعتقدون أن السارق أغرق نفسه في البئر.
عندما عاد الصبي إلى المنزل، كان غاضبًا من والده وحاول أن يخبره بما حصل؛ ولكن الوالد أجابه قائلاً: «لا تشغل نفسك بإخباري التفاصيل. أنت هنا - لقد تعلمت فن السرقة».
ما هي الغاية من سرد التفاصيل؟ إنها غير مفيدة.
التفاصيل غير مفيدة عندما يتعلق الأمر بالحدس، لأن الحدس لا ينتج عن أحداث منطقية متسلسلة مترابطة. والتفاصيل مفيدة في حالة التفكير المنطقي؛ لأن الأشخاص المنطقيين يخوضون في أدق التفاصيل، لأنه في حال حصلت الوضعية نفسها مجددًا، سيعرفون ما عليهم القيام به للتحكم بالأمور. ولكن في حياة السارق، نادرًا ما تتكرر الوضعية نفسها مجددًا.
وفي الحياة اليومية أيضًا، نادرًا ما تتكرر الوضعية مجددًا. فإذا كنت تخزن خلاصات عديدة في ذهنك، ستصبح في حكم الميت ولن تتمكن من الاستجابة لوضعيات جديدة. في الحياة، الاستجابة ضرورية، وليس ردة الفعل: يجب أن تفعل شيئًا ما في وضعية جديدة لم تصادفها من قبل، دون الاعتماد على الخلاصات في ذهنك.
وهذا ما اعتاد أحد الحكماء على قوله عندما كان الناس يسألونه عن صفات مذهب الزن. كان يردد هذه القصة. إن مذهب الزن هو كالسرقة تمامًا، هو فن وليس علم، أنثوي وليس ذكوريًا، وهو غير عدواني، ومنفتح. وهو ليس منهجية فائقة التخطيط، بل هو العفوية. لا علاقة له بالنظريات، والفرضيات، والمبادئ، وله علاقة بشيء واحد فقط، الوعي.
ماذا حدث في تلك اللحظة عندما كان الصبي داخل الخزانة؟ في حالة خطر مماثلة، لا يمكنك أن تكون في حالة نعاس، ففي حالة مماثلة يصبح وعيك في أقصى درجات الحساسية - وهذا ضروري. حياتك في خطر، أنت في حالة يقظة تامة.
وهكذا يجب أن يكون كل واحد منا في حالة يقظة تامة في كل لحظة. وفي هذه الحالة فقط يمكن أن تحصل النقلة النوعية. تنتقل الطاقة من النصف الأيسر إلى النصف الأيمن من الدماغ.

عندما تكون متيقظًا، تصبح حدسيًا. يأتيك الوميض من المجهول، من حيث لا تدري. قد لا تتبع هذا الوميض - وهكذا قد تضيع كثيرًا من الفرص.
عندما تجد نفسك محاصرًا في زاوية بسبب فشل التفكير المنطقي، لا تيأس ولا تفقد الأمل. إن هذه اللحظات قد تكون من أكرم النعم في حياتك. وهذه هي اللحظات التي يسمح فيها الدماغ الأيسر للدماغ الأيمن باعتماد طرقه الخاصة. عند ذلك يقوم لك النصف الأنثوي، النصف المنفتح، فكرة، إذا اتبعتها، ستنفتح أمامك الأبواب. ولكن هناك إمكانية أن تضيع هذه الفرصة؛ كأن تقول: «ما هذا الهراء».
كان بإمكان هذا الصبي أن يضيع الفرصة. الفكرة لم تكن عادية، طبيعية، منطقية - أن يصدر صوتًا كمواء الهرة. كان بإمكانه أن يسأل: «لماذا؟» ويضيع الفرصة. ولكنه لم يطرح هذا السؤال لأن الوضعية لم تسمح بطرح أية أفكار منطقية. وهكذا قال لنفسه: «لِمَ لا أجرّب ذلك، ما هو الضرر الذي قد ينتج عن ذلك؟» ثم نفّذ تلك الفكرة.
كان الوالد محقًا. قال له: «لا تشغل نفسك بالتفاصيل، إنها غير هامة. لقد عدت إلى المنزل، لقد تعلمت فن السرقة».
هذا الفن بمجمله ينحصر بالمقدرة على العمل بواسطة النصف الأيمن من الدماغ؛ النصف الأنثوي - لأن النصف الأنثوي يتصل بالكل بعكس النصف الذكوري. إن النصف الذكوري عدواني، في حالة صراع دائم؛ والنصف الأنثوي في حالة استسلام دائمة، في حالة ثقة مطلقة.
اسأل المرأة إذا كانت ترغب بالذهاب إلى القمر. سوف تسأل بدهشة: «لماذا؟ ما الغاية من ذلك؟ لماذا تَحَمُّل كل هذه المشقة؟ أفضّل البقاء في المنزل». إنها أكثر اهتمامًا بمكان وجودها، باللحظة الآنية، وهذا ما يجعلها أكثر تناسقًا وجمالاً. والرجل يحاول دائمًا أن يثبت شيئًا ما، ولذلك يضطر للقتال والتنافس بصورة دائمة.
في أحد الأيام حاولت امرأة أن تتحدث إلى الدكتور جونسن Johnson، ولكنه لم يُعرها أي اهتمام.
«لماذا يا دكتور» قالت بخبث، «أعتقد أنك تُفضّل رفقة الرجال على النساء».
«سيدتي»، أجاب الدكتور جونسن، «أنا أحب رفقة النساء. أنا أحب جمالهن، أحب رقتهن، أحب حيويتهن... وأحب صمتهن».
لقد أجبَر الرجل المرأة على أن تكون صامتة، ليس في الخارج فحسب، بل في الداخل ـ مجبرًا النصف الأنثوي على التزام الصمت. حاول أن تراقب نفسك من الداخل. إذا قال النصف الأنثوي شيئًا، تهاجمه فورًا وتقول: «هذا شيء غير منطقي وسخيف!» الدكتور جونسن يحاول أن يبقي المرأة صامتة.
إن القلب أنثوي. وأنت تضيع كثيرًا من الفرص في حياتك لأن الرأس لا يتوقف عن الكلام، ولا يعطي القلب أية فرصة للكلام. والصفات الوحيدة للرأس هي أنه أكثر طلاقة، ومكرًا، وخطورةً، وعنفًا. وبسبب عنفه، أصبح القائد في الداخل. وقيادة الرأس في الداخل، أصبحت قيادة الرجل للمرأة في الخارج. لقد سيطر الرجل على المرأة في العالم الخارجي.
دُعي أحد الحكماء إلى مدرسة في مناسبة معينة. كان هناك حشد من الطلاب ولقد انتظم الحشد في صف واحد حسب طول القامة؛ من الأقصر في المقدمة إلى الأطول في المؤخرة. ولكن الملّا لاحظ أن أحد الفتيان الذي كان في مقدمة الصف أخلّ بهذا الترتيب. كان أطول من بقية

الفتيان. «لماذا هو في مقدمة الصف؟» تساءل الملّا: ثم سأل إحدى الفتيات، «هل هو قائد المدرسة، رئيس الفريق الرياضي، أم شيئًا مشابهًا لذلك؟».
«كلا»، أجابت الفتاة هامسة، «إنه يقرص».
إن عقل الرجل لا يتوقف عن القرص، وإثارة المشاكل - ومثيرو المشاكل يصبحون هم القادة. في المدارس، يختار جميع المدرّسين المحنّكين أكثر التلامذة إثارة للمشاكل كقادة للصف أو المدرسة. وعندما يصبح هؤلاء في مركز قوي، تصبح طاقتهم لإثارة المشاكل بأكملها عاملاً مساعدًا للمدرس. وهكذا يساعدون المدرسين في خلق جوّ منضبط.
راقبْ رجال السياسة في العالم: عندما يكون أحد الأحزاب في مركز القوة، يبدأ أعضاء الحزب المعارض بإثارة المتاعب في البلد؛ إنهم مخالفو القانون، الثوار. أما الحزب الحاكم فهو يعمل على تأمين الأمن والانضباط في البلد. وعندما يُزاح الحزب الحاكم من السلطة، يبدأ بإثارة المشاكل. وحين يتسلم الحزب المعارض السلطة، يصبح حامي الأمن والنظام.
إنهم جميعًا مثيرون للمشاكل.
إن العقل الذكوري يتجلى في ظاهرة إثارة المشاكل - إنه يهيمن، يسيطر. ولكن بالرغم من أنه يسيطر فإنه يضيع معنى الحياة. إذا لم يرتدّ الإنسان إلى العقل الأنثوي، إذا لم ينقلب كفاحه ومقاومته إلى استسلام، فلن يتمكن من معرفة المعنى الحقيقي للحياة ولن يتمكن من الاحتفال بها.
لقد سمعت الحكاية التالية:
زار أحد العلماء الأميركيين عالم الفيزياء والحائز على جائزة نوبل، نيلز بور Niels Bohr، في مكتبه في كوبنهاغن Copenhagen ولقد دهش عندما رأى حذوة حصان على مكتبه. كانت الحذوة مثبتة بالحائط بواسطة مسمار وكانت فتحتها باتجاه الأعلى لتتمكن من التقاط الحظ الجيد ومنعه من التسرب. قال الأميركي بضحكة متوترة: «أنت بالتأكيد لا تؤمن أن هذه الحذوة ستجلب لك الحظ الجيد، هل تؤمن بذلك، بروفيسور بور؟ في النهاية، أنت عالم متزن العقل...».
قال بور ضاحكًا: «أنا لا أؤمن بذلك على الإطلاق يا صديقي. أنا لا أؤمن بهذه السخافات على الإطلاق. على أية حال، لقد قيل لي إن نضوة الحصان تجلب لك الحظ الجيد، لا فرق إذا كنت تؤمن بذلك أم لا».
تعمّق قليلاً في نظرتك، وسوف تجد أن تحت أفكارك المنطقية، تنساب مياه نقية من الحدس والثقة.
الزن هو الطريقة العفوية - الطريقة التي لا تحتاج إلى مجهود، طريقة الحدس.
أحد معلمي الزن، إيكيو Ikkyu، وهو شاعر عظيم، قال: «بإمكاني أن أرى الغيوم على بعد آلاف الأميال، وأن أسمع ألحانًا قديمة في أحراش الصنوبر».
هذه هي طريقة الزن. لا يمكنك أن ترى الغيوم على بعد آلاف الأميال بواسطة العقل المنطقي. العقل المنطقي هو كالنظارات، كثير الاتساخ، يغطيه غبار الأفكار، والنظريات والمبادئ. ولكن بإمكانك أن ترى الغيوم على بعد آلاف الأميال بواسطة نظارات الحدس النقية، من دون أية أفكار - ثمة وعي مطلق فقط. المرآة نظيفة والوضوح تام.

لا يمكنك أن تسمع الألحان القديمة في أحراش الصنوبر بواسطة العقل المنطقي. كيف يمكنك أن تسمع الألحان القديمة؟ عندما تنبعث الموسيقى، تذهب إلى الأبد.
ولكن دعني أقول لك، إيكيو على حق. يمكنك سماع الموسيقى القديمة في أحراش الصنوبر - لقد سمعتها شخصيًا - ولكن ليحصل ذلك، أنت بحاجة إلى نقلة، إلى تغيُّر شامل، إلى تغيُّر نوعي في الكل. عندها يمكنك أن ترى أحد الحكماء يتكلم ويعظ مجددًا. يمكنك أن تسمع الألحان القديمة في أحراش الصنوبر - لأنها ألحان أبدية لا تزول. لقد فقدت قدرتك على سماعها. إن الألحان أزلية. وعندما تستعيد قدرتك على سماعها، فجأة، تكون هناك مجددًا. لقد كانت هناك طوال الوقت، ولكن أنت لم تكن هناك.
حاول أن تتبدل أكثر فأكثر باتجاه النصف الأيمن من الدماغ، حاول أن تصبح أكثر فأكثر أنثويًا، أكثر فأكثر محبًا، واثقًا، ومستسلمًا، أكثر فأكثر قريبًا من الكل. لا تحاول أن تكون جزيرة، كن جزءًا من القارة.

انتقل من التفكير إلى الإحساس

الفكر نسبي، والذكاء أكثر شمولية. الفكر مستعار، والذكاء هو خاصتك. الفكر منطقي وعقلاني؛ والذكاء يتعدى المنطق، إنه حدسي. والشخص الفكري يعتمد على الجدال فقط. بالتأكيد، قد يوصلك الجدال إلى نقطة معينة، ولكن فيما يتعدى ذلك، أنت بحاجة للحس الباطني.
حتى العلماء العظماء الذين يعملون بواسطة الفكر المنطقي، يصلون إلى نقطة حيث التفكير المنطقي لا يجدي، فينتظرون حسًا باطنيًا، ومضة حدسية، نورًا يأتيهم من عالم المجهول. وهذا يحصل على الدوام: إذا عملت جاهدًا بواسطة الفكر، ولم تكن تعتقد أن الفكر هو الطريق الوحيد، وكنت مستعدًا لتقبل العالم الذي يتعدى الفكر، ففي أحد الأيام سيخترقك شعاع. هذا الشعاع لا يخصك؛ ومع ذلك هو يخصك لأنه لا يخص أي شخص آخر. يأتي من أعمق مركز في داخلك. تشعر وكأنه آت من عالم آخر، لأنك لا تعرف أين مركز الحدس بداخلك.
الكلمة السنسكريتية سادهوماتي Sadhumati هي كلمة جميلة ومعبرة. ماتي Mati تعني الذكاء، وسادهو Sadhu تعني الحكمة: الذكاء الحكيم. ليس الذكاء فقط، بل الذكاء الحكيم. هناك أشخاص قد يكونوا منطقيين ولكن غير عاقلين - أن تكون عاقلاً تعني أكثر من أن تكون منطقيًا. أحيانًا قد يكون الشخص العاقل مستعدًا لتقبل ما هو غير منطقي أيضًا - لأنه عاقل. إنه يفهم أن غير المنطقي موجود أيضًا. أما الشخص المنطقي فهو لا يستطيع أن يفهم أن غير المنطقي موجود أيضًا. إنه يستطيع أن يفهم المقارنة المنطقية المحدودة فقط.
ولكن هناك أشياء لا يمكن إثباتها عن طريق المنطق، ومع ذلك فإنها موجودة. الحب موجود - ولكن لم يتمكن أحد بعد من أن يثبت ما هو وما إذا كان موجودًا أم لا. ولكن الجميع يعرف - أن الحب موجود. حتى الأشخاص الذين ينكرون وجوده - إنهم غير مستعدين لتقبل أي شيء يتعدى المنطق - يقعون في الحب. وعندما يقعون في الحب، يقعون في مشكلة، لأنهم يشعرون بالذنب.

ولكن الحب موجود.
لا يمكن لأحد أن يشعر بالرضى عن طريق الفكر إلا إذا حقق القلب رغباته. هذان هما القطبان في داخلك: الرأس والقلب.
الذكاء هو قدرتنا الفطرية على أن نبصر، وأن ندرك. يولد جميع الأطفال أذكياء ولكن المجتمع يحوّلهم إلى حمقى. إننا نعلّمهم الحماقة، وعاجلاً أم آجلاً سيتخرجون بدرجة عالية من الحماقة.
الذكاء هو ظاهرة طبيعية - كما هي الحال بالنسبة للتنفس والنظر. الذكاء هو أن نبصر من الداخل. الذكاء حدسي. لا علاقة له بالفكر. تذكّر أن لا تخلط بين الذكاء والفكر، إنهما على طرفي نقيض. إن الفكر يتعلق بالرأس؛ نتعلمه من الآخرين، يُفرض علينا ويجب أن نتعهده بالعناية. إنه شيء مستعار، غريب عنا ولا يولد معنا.
ولكن الذكاء فطري، يولد معنا. إنه الكائن فينا، إنه طبيعتنا. إن جميع الحيوانات ذكية. ليست فكرية، ولكنها ذكية. الأشجار ذكية، والوجود بكامله ذكي، وكل طفل يولد ذكيًا. هل سبق أن صادفت طفلاً أحمق؟ هذا مستحيل! ولكن من النادر أن تصادف راشدًا يتحلى بالذكاء؛ شيء خاطئ حصل بين المرحلتين.
بعث صديق لي بهذه القصة الجميلة. أود منك أن تصغي إليها؛ فقد تجد فيها بعض الفائدة. عنوان القصة «مدرسة الحيوانات».
اجتمع الحيوانات في الغابة في أحد الأيام وقرروا أن يؤسّسوا مدرسة. ضمّت المجموعة أرنبًا، وطائرًا، وسنجابًا، وسمكة، وأنقليسًا، وتشكّل منها مجلس إدارة. أصرّ الأرنب على أن يتضمن المنهاج الركض. والطير أصرّ على أن يتضمن الطيران. والسمكة على أن تكون السباحة ضمن المنهاج. وقال السنجاب إن تسلّق الشجرة العمودي يجب أن يدخل بالضرورة ضمن المنهاج. وضعوا كل هذه الاقتراحات معًا وكتبوا دليلاً للمنهاج. وبعد أن انتهوا من وضع المنهاج، أصرّوا على أن تُدَرَّس جميع المواد لجميع الحيوانات.
بالرغم من أن الأرنب كان يحصل على علامة ممتازة في الركض، كان تسلّق الشجرة العمودي يمثل مشكلة بالنسبة له. لقد حاول كل جهده لتعلم ذلك ولكنه لم يتمكن. بعد فترة أصيب ببعض الخلل في دماغه ولم يعد بإمكانه الركض. وبدل أن يحصل على علامة ممتاز في الركض، أصبح الآن يحصل على علامة مقبول وبالطبع كان دائمًا يحصل على علامة راسب في التسلق العمودي للشجر. وكان الطير رائعًا في الطيران، ولكن عندما اقتضى الأمر حفر جُحر في الأرض، لم تجر الأمور على ما يرام. كان يكسر منقاره وأجنحته عند كل محاولة، ولم تمض فترة طويلة حتى أصبح يحصل على علامة مقبول في الطيران وعلامة راسب في حفر الجحر، وكان يلاقي صعوبة هائلة في تسلّق الشجرة العمودي.
في نهاية الأمر، كان الحيوان الذي حصل على أعلى علامات في المدرسة، هو الأنقليس المتخلف عقليًا والذي كانت نتائجه متوسطة في كل المواد. ولكن المربّون كانوا في غاية السعادة لأن الجميع درسوا كل المواد. ودُعيت الدورة التدريبية «الثقافة التأسيسية المتنوعة».
نحن نضحك لذلك، ولكن هذا ما يحصل في مجتمعاتنا. هذا ما حصل لك. نحن نحاول أن نجعل الجميع متشابهين، وبهذا ندمّر إمكانية أي فرد لتحقيق شخصيته الفريدة.
إن الذكاء يضمحل عندما نحاول تقليد الآخرين. وإذا أردت المحافظة على ذكائك، يجب أن تتخلى عن تقليد الآخرين. ففي اللحظة التي تفكر فيها كيف يمكنك أن تصبح مثل هذا الشخص الآخر،

تبدأ بفقدان ذكائك وتقترب من الحماقة. وعندما تقارن نفسك بأي شخص آخر، تبدأ بفقدان طاقاتك الطبيعية. والآن لن تعرف معنى السعادة، ولن تتمكن أبدًا من أن تكون نقيًا، أو جليًا، أو شفّافًا. سوف تفقد نقاوتك، وتفقد حاسة البصر. سوف تكون عيناك مستعارتين؛ ولكن كيف يمكنك أن ترى من خلال عيني شخص آخر؟ أنت بحاجة إلى عينيك لتبصر، وبحاجة إلى قدميك لتمشي، وبحاجة إلى قلبك لتنبض فيك الحياة.

إن الناس يعيشون حياةً مستعارة، ولهذا تصبح حياتهم مشلولة ويبدون كالحمقى.

نحن بحاجة إلى ثقافة مختلفة كليًا في هذا العالم. إن الشخص الذي يولد شاعرًا يثبت أنه مغفل في الرياضيات، والشخص الذي كان بإمكانه أن يصبح من عظماء علماء الرياضيات، يُتخم نفسه بقراءة التاريخ ويشعر بالضياع. إن الأشياء مقلوبة رأسًا على عقب، لأن الثقافة لا تتم وفقًا لطبيعة الإنسان. ولا تقيم وزنًا للفروقات الفردية، وتجبر الجميع على اعتماد نمط معين. ربما عن طريق المصادفة، قد يناسب هذا النمط قِلّة من الناس، ولكن الأغلبية ضائعة وتعيش حياة تعيسة.

منتهى التعاسة في الحياة أن يشعر الإنسان أنه أحمق، عديم الذكاء ولا قيمة له - ولا أحد يخلق عديم الذكاء لأننا جميعنا نأتي من الوجود، والوجود هو ذكاء خالص. ونحن عندما نأتي إلى هذا العالم نجلب معنا بعض النكهة، بعض الرائحة العطرة من البعيد. ولكن المجتمع ينقضّ علينا على الفور ويباشر بالتلاعب فينا، بتدريبنا، بتغييرنا، يلغي أشياء ويضيف أشياءً أخرى، وفي وقت قصير، نخسر شكلنا وخصائصنا الأساسية. إن المجتمع يريدنا أن نكون مطيعين، ممتثلين ومتقيدين بالأعراف. هكذا يصار إلى تدمير ذكائنا.

نحن الآن نعيش في زنزانة - يمكننا أن نتحرر من هذه الزنزانة، ولكن الأمر لن يكون سهلاً. لقد تعودنا عليها وأصبحت الثياب التي نرتديها يوميًا تقريبًا كالجلد الذي يغلّف جسدنا. وسيكون من الصعب علينا أن نتخلص منها لأنها أصبحت هويتنا - ولكن يجب علينا أن نتحرر منها إذا أردنا أن نسترد كياننا الحقيقي.

إذا أردت أن تكون ذكيًا، يجب أن تكون ثائرًا. وحده الثائر هو الذكي. ماذا أقصد بالثورة؟ - أقصد بالثورة التخلي عن جميع الأشياء التي فُرضت علينا رغم إرادتنا. إبحث عن هويتك مجددًا، ابتدئ من نقطة الصفر. اعتبر أن حياتك كانت وقتًا ضائعًا لأنك كنت تتبع الآخرين.

لا يوجد شخصان متشابهان على الإطلاق، كل شخص هو فريد من نوعه - هذه هي طبيعة الذكاء - ولا يمكن مقارنته بالآخرين. لا تقارن نفسك بالآخرين، أنت هو أنت والآخر هو الآخر. والمقارنة مستحيلة.

ولكن لقد تعلمنا أن نقارن ونحن نقارن باستمرار. بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، متقطعة أو متواصلة، نحن نقارن. وإذا قارنت فمن المستحيل أن تشعر بالاحترام الذاتي: هناك من هو أجمل منك، أطول قامة منك، يتمتع بصحة أفضل من صحتك، يتمتع بصوت موسيقي أجمل من صوتك.... هناك ملايين الناس الذين يمكنك أن تقارن نفسك بهم، والمقارنة ستثقل كاهلك وتدمّرك إذا استمريت بها.

كان لديك روح جميلة، كائن جميل يريد أن يزهر، يريد أن يصبح زهرة ذهبية، ولكنك لم تسمح له أبدًا بذلك.

ارفع الأثقال عنك، ضعها جانبًا. استرد براءتك وطفولتك. لقد كان عيسى عليه السلام محقًا عندما قال: «إذا لم تولد ثانيةً، لن تدخل مملكتي الإلهية». وأنا أقول لك الشيء نفسه: إذا لم تولد

ثانية....
إرم جميع النفايات التي حُمّلت بها. كن نقيًا، انطلق من البداية، وسوف تفاجأ بمقدار الذكاء الذي سينطلق فورًا من داخلك.
الذكاء هو القدرة على أن نبصر، ونفهم، ونحيا حياتنا وفقًا لطبيعتنا. هذا هو الذكاء. وما هي الحماقة؟ إنها اتباع الآخرين، تقليدهم وإطاعتهم. هي أن ننظر في أعين الآخرين ونحاول أن نتشرّب معرفتهم ونتبنّاها على أنها معرفتنا - هذه هي الحماقة.
ولذلك فإن العلماء هم حمقى في أغلب الأحيان. إنهم ببغاوات، يرددون ما يقوله الآخرون. إنهم يشبهون الأسطوانات الفونوغرافية. يمكنهم أن يرددوا أي شيء بمهارة، ولكن عندما تبرز معطيات جديدة، معطيات غير مكتوبة في كتبهم، يصبحون في حالة ضياع. إنهم عديمو الذكاء. والذكاء هو القدرة على الاستجابة الفورية لكل متطلبات الحياة التي تواجهنا، وليس الاستجابة وفقًا لبرنامج مُحضّر.
إن الأشخاص غير الأذكياء وحدهم يمتلكون برنامجًا. إنهم خائفون؛ يعلمون أنهم لا يمتلكون ما يكفي من الذكاء لمواجهة الحياة كما هي. ويجب أن يكونوا مستعدين، يجب أن يتدربوا. إنهم يحضّرون الأجوبة قبل أن تُطرح الأسئلة - وبهذه الطريقة يبرهنون عن حماقتهم، لأن الأسئلة لا تتشابه أبدًا. هناك دائمًا أسئلة جديدة؛ كل يوم يجلب معه مشاكله وتحدياته، وكل لحظة تجلب أسئلة جديدة. وإذا كان لديك أجوبة جاهزة في رأسك، لن تتمكن حتى من الإصغاء إلى الأسئلة الجديدة التي تطرح عليك، لأنك ممتلئ بأجوبتك. ومهما فعلت، سيكون وفقًا لأجوبتك المحضرة - التي ليس لها أية صلة بالواقع كما هو.
الذكاء هو أن تتواصل مع الواقع، من دون تحضير. وجمال مواجهة الحياة من دون أن نكون متحضرين يفوق الوصف. عندها تكتسب الحياة نضارة وحداثة؛ تكتسب سلاسة ونقاوة؛ وتصبح مليئة بالمفاجآت. وعندما تمتلئ الحياة بالمفاجآت، لن تعرف معنى الضجر أبدًا.
إن الشخص الأحمق دائم الضجر. يضجر بسبب الأجوبة التي جمعها من الآخرين والتي يستمر في ترددها. يضجر لأن عينيه مليئتان بالمعلومات ولا تمكّنانه من رؤية ما يحصل. هو يعرف الكثير ولا يعرف أي شيء على الإطلاق. وهو ليس حكيمًا، واسع المعرفة فقط. عندما ينظر إلى وردة، لا ينظر إلى هذه الوردة بحد ذاتها. ذلك أن جميع الوردات التي قرأ عنها، والتي تحدث عنها الشعراء، والتي رسمها الرسامون وتناقش بشأنها الفلاسفة، جميعها تقف أمام عينيه - إنه تجمّع حاشد من الذكريات والمعلومات. وهذه الزهرة الماثلة أمامه الآن، ضائعة في هذا التجمع، في هذا الحشد، ولا يمكنه رؤيتها. إنه يقول ويردد فحسب: «هذه الوردة جميلة». حتى هذه الكلمات ليست كلماته، ليست أصيلة، ليست صادقة، ليست حقيقية. إنها صوت شخصٍ آخر... هو يلعب دور الشريط المسجّل فقط.
إن الحماقة هي الترداد، ترداد ما يقوله الآخرون. وهي رخيصة لأنها لا تحتاج إلى التعلم. فالتعلم عملية شاقة. والإنسان بحاجة إلى الشجاعة ليتعلم. والتعلم يعني أن تكون متواضعًا. أن تكون على استعداد دائم للتخلي عن القديم، وتقبّل الجديد. إن التعلم يقتضي أن نتخلى عن أنانيتنا.
ونحن لا ندري إلى أين سيقودنا التعلم. ولا يمكننا التنبؤ فيما يتعلق بالمتعلّم؛ إن حياته غير قابلة للتنبؤ. وهو شخصيًا لا يمكنه أن يتنبأ بما يخبئ له الغد. إنه يتنقل في حالة من اللامعرفة. وعندما تعيش في حالة دائمة من اللامعرفة، عندها فقط يمكنك أن تتعلم.

لذلك يتعلم الأطفال بسرعة وسهولة. عندما يتقدمون في العمر، يتوقفون عن التعلم، لأنهم جمعوا بعض المعرفة التي يسهل ترددها. لماذا نزعج أنفسنا بمصاعب التعلم؟ إن المعرفة رخيصة وسهلة. ولكنها تقود إلى الضجر. والحماقة والضجر يترافقان.
إن الشخص الذكي نقي كقطرات الندى في الصباح وكالنجوم في عتمة الليل. ويمكنك أن تشعر بنقاوته التي تشابه النسيم.
والذكاء هو القدرة على أن نخلق أنفسنا مجددًا. هو أن ننغلق على الماضي ونعيش الحاضر.
في الواقع، ليس ذكاء الرأس بذكاء على الإطلاق؛ إنه معرفة. وذكاء القلب هو الذكاء الوحيد. والرأس يعمل فقط على تكديس الأشياء. إنه قديم دائمًا، لا يتحلى بالحداثة أو الأصالة. إنه يخدم بعض الأغراض؛ وهو ممتاز بالنسبة لتصنيف المعلومات. ونحن نحتاج إلى ذلك. وفي الحياة يجب أن نتذكر العديد من الأشياء. إن العقل، الرأس، هو كومبيوتر عضوي. يمكنك أن تكدّس المعلومات فيه، وعندما تحتاج إليها، يمكنك أن تسترجعها. إنه مفيد في حقل الرياضيات، والإحصائيات، والحياة اليومية والأسواق المالية. ولكن إذا كنت تعتقد أن هذا هو كل ما في الحياة، فستبقى الحماقة ملتصقة بك. ولن تعرف أبدًا جمال الأحاسيس ونعمة القلب. ولن تعرف معنى الجمال الذي يهبط عليك من خلال القلب. ولن تعرف معنى الصلاة، أو الشعر، أو الحب.
ذكاء القلب يخلق شعرًا في حياتك، يعطي إيقاعًا راقصًا لخطواتك، يجعل حياتك مهرجانًا من الفرح، والضحك، والاحتفالات. إنه يضفي عليك روح الفكاهة. ويجعلك قادرًا على أن تحب وتشارك. وهذه هي الحياة الحقيقية. والحياة التي يُسيّرها الرأس هي حياة آلية. تصبح إنسانًا آليًا Robot - وربما في غاية الفعالية. فالآلة أكثر فعالية من الإنسان. ويمكنك أن تجني الكثير بواسطة الرأس، ولكن لن تعيش حياة ممتعة. قد تحصل على مستوى حياة أفضل، ولكنك لن تحصل على الحياة.
الحياة تنبع من القلب. الحياة يمكنها أن تنمو من خلال القلب. فقط في تربة القلب ينمو الحب، وتنمو الحياة وتنمو الألوهية. إن كل ما هو جميل، وقيّم، وذو معنى وهام يأتي من خلال القلب. القلب هو مركزك، والرأس هو أطرافك. وأن تحيا من خلال الرأس هو أن تحيا في الأطراف من دون أن تدرك جمال الكنوز المخبأة في المركز. وأن تحيا في الأطراف حماقة.
أن تحيا من خلال الرأس فقط هو الحماقة، وأن تحيا من خلال القلب وتستخدم الرأس عندما يكون هناك حاجة لذلك، هو الذكاء. ولكن المركز، السيد، هو في صميم حياتك. إن السيد هو القلب والرأس هو الخادم فقط - وهذا هو الذكاء. وعندما يصبح الرأس هو السيد وينسى كل ما يتعلق بالقلب، فتلك هي الحماقة.
إن الخيار يعود إليك. تذكّر أن الرأس عندما يعمل كخادم تكون له فوائد كثيرة، ولكن عندما يعمل كسيّد، يصبح خطرًا ويُسمّم حياتك بأكملها. أنظر حولك! حياة الناس مسمومة كليًا، مسمومة بسبب الرأس. أصبح الناس متبلّدي الشعور، وقد فقدوا مشاعرهم، ولا شيء يفرحهم أو يثيرهم. إن الشمس تشرق ولكن لا شيء يشرق بداخلهم؛ ينظرون إلى الشمس بعيون فارغة. تمتلئ السماء بالنجوم، والسحر والأسرار، ولكن لا يتحرك أي شيء في قلوبهم. والطيور تغني، ولكن الإنسان نسي كيف يغني. والغيوم تطوف السماء والطواويس ترقص، ولكن

الإنسان نسي كيف يرقص. لقد أصبح مقعدًا. إن الأشجار تزهر. والإنسان يفكر، ولا يشعر، ومن دون شعور لا يمكن لأي شيء أن يزهر.
شاهد، راقب، دقق، أنظر إلى الحياة نظرة جديدة. لن يساعدك أحد في ذلك. لقد اعتمدت على الآخرين لمدة طويلة؛ ولذلك أصبحت أحمق. والآن، اعتن بنفسك؛ إنها مسؤوليتك. وعليك أن تلقي نظرة ثاقبة ومتعمقة على ما تفعله في حياتك. هل هناك أي شعر في قلبك؟ إذا لم يكن هناك من شعر، لا تُضِع الوقت. ساعد قلبك بنسج وغزل الشعر. هل هناك أية رومانسية في حياتك؟ إذا أجبت بلا، فأنت ميت، أنت في قبرك.
أخرج من حالتك هذه! أَدخل بعض الرومانسية، بعض المغامرة، في حياتك. استكشف! إن ملايين الأشياء الجميلة والساحرة بانتظارك. أنت تدور في حلقة مفرغة، ولكن لا تدخل أبدًا إلى معبد الحياة. باب المعبد هو القلب.
تذكر، هناك نقلة يجب أن تحصل: يجب أن تنتقل من التفكير إلى الشعور. الشعور هو أقرب للحدس. والتفكير هو أبعد ما يكون عن الحدس. إنه شيء تعلّمته من الغير. أما الحدس هو شيء لم تتعلمه في أية مدرسة أو جامعة، ولكنه يزهر في داخلك. لم تسمع عنه من أحد، وهو يتفجر بداخلك فقط. هذا هو الحدس. ولست بحاجة للذهاب إلى أي مكان، أنت بحاجة فقط لأن تدخل إلى أعماق نفسك.
الشعور أقرب إلى الحدس. أنا لا أتوقع المستحيل، أنا لا أقول: «كن حدسيًا فحسب» - لا يمكنك أن تفعل ذلك. إذا كان بإمكانك أن تفعل شيئًا واحدًا الآن - انتقل من التفكير إلى الشعور - فهذا يكفي. ثم تنتقل بعد ذلك من الشعور إلى الحدس. وسيكون ذلك سهلاً. ولكن أن تنتقل من التفكير إلى الحدس أمر في غاية الصعوبة. إن الحدس والتفكير لا يلتقيان، وهما على طرفي نقيض. الشعور هو في الوسط، على نفس المسافة من التفكير والحدس. إنْ ذهبت بهذا الاتجاه، تصل إلى الفكر؛ وإنْ ذهبت بالاتجاه المعاكس، تصل إلى الحدس.
في الشعور يلتقي الحدس والفكر. بعض من الفكر يبقى في الشعور، وكذلك بعض من الحدس.

استرخِ

إن أعظم الاكتشافات العلمية لم تأت من خلال الفكر بل من خلال الحدس. من أرخميدس إلى آينشتاين.
يعرف كثير من الناس قصة أرخميدس - حصل الاكتشاف عندما كان مستلقيًا في حوض الاستحمام يستمتع بحمّام ساخن وفجأة، في حالة الاسترخاء هذه... لقد اعتراه القلق لأيام عديدة - كان ملك البلاد يمتلك تاجًا ذهبيًا، وأراد أن يعرف ما إذا كان هذا التاج مصنوعًا من الذهب الخالص أو من مزيج من المعادن. وكان يريد أن يتحقق من ذلك من دون تحطيم التاج. كان ذلك لغزًا: كيف يمكن الحصول على الجواب؟ كيف يمكن معرفة نسبة الذهب والمعادن الأخرى في التاج؟ حاول أرخميدس بكل جهده؛ لم يعرف طعم النوم لعدد من الليالي متلاحقة ولكن لم يكن هناك أي أمل بإيجاد الحل. ولكن المعجزة حصلت.

كان الحوض ممتلئًا. عندما دخله أرخميدس، خرج بعض الماء منه - وكومضة، ومضة برق، أتته الفكرة: «كمية المياه التي خرجت من الحوض، يجب أن يكون لها علاقة بوزني». واكتملت الفكرة: «إذا وضعنا الذهب في حوض ممتلئ بالماء، ستخرج منه كمية من الماء. وهذه الكمية سيكون لها علاقة بكمية الذهب».

لقد شعر بفرح عارم. كان عاريًا - لكنه نسي حالة العراء هذه، لقد غمرته النشوة. خرج إلى الشارع وهو يصرخ، «يوريكا! يوريكا! وجدتها! وجدتها!».

كان ذلك حدسًا وليس خلاصة فكرية.

لقد اعتاد ألبرت آينشتاين أن يجلس في حوض الاستحمام لساعات طويلة - ربما يرجع السبب في ذلك إلى أرخميدس! وذات يوم ذهب أحد مفكري الهند العظماء، الدكتور رام مانوهار لوهيا Dr Ram Manohar Lohia، لرؤيته - أخبرني الدكتور لوهيا القصة بكاملها. كان من أنزه رجال السياسة في الهند، مراقبًا ثاقب النظر، وصاحب رؤى عظيما، وعبقريًا. درس في جامعات ألمانيا، وكان له أصدقاء على معرفة بآنشتاين؛ وقد تم اللقاء عبر أحد الأصدقاء المشتركين. وصل الدكتور لوهيا في الوقت المحدد فاستقبلته زوجة آينشتاين قائلة: «عليك أن تنتظر، لأنه في حوض الاستحمام ولا يمكن التنبؤ بالوقت الذي سيخرج منه».

مضت نصف ساعة، ثم ساعة كاملة، فسأل الدكتور لوهيا الزوجة: «كم يستغرق من الوقت؟».

قالت: «لا يمكن التنبؤ».

سألها دكتور لوهيا: «ماذا يفعل وهو جالس في حوض الاستحمام؟».

بدأت الزوجة بالضحك وأجابت: «إنه يتلهى بفقاقيع الصابون».

«ما السبب؟» سأل مجددًا.

«الوقت الذي يتلهى فيه بفقاقيع الصابون هو الوقت الذي يتوصل فيه إلى تبصّر حلول كان قد أمضى كثيرًا من الوقت يفكر فيها من غير طائل. كان وميض التبصّر يأتيه دائمًا وهو جالس في حوض الاستحمام».

لماذا في حوض الاستحمام؟ لأنك مسترخٍ. والاسترخاء هو أساس التأمل. عندما تسترخي، تزول جميع التوترات. المياه الساخنة، وسكون الحمام، ووحدتك... والآن في الغرب، بدأوا ببناء حمامات في غاية الجمال، تشبه المعابد تقريبًا. وقلة من الناس بدأت ببناء غرف جلوس داخل الحمام! إنه شيء رائع. يمكن للإنسان أن يسترخي، أن يتأمل. وفي هذا الجو التأملي، تحدث الأشياء. لقد كان حوض الاستحمام دائمًا من أهم المحرّضين. يوافقني على هذا الرأي أعظم علماء العالم. أحيانًا يعملون جاهدين لسنوات لكي يتوصّلوا إلى خلاصة معيّنة ولا يتوصلون إليها، ثم فجأة في يوم ما تصل إليهم... من عالم الغيب، من العالم البعيد. لا يمكننا القول إنها خلاصة، فهي ليست بخلاصة على الإطلاق.

إن الاكتشافات العلمية تنتج دائمًا من التأمل وليس من الفكر. وعندما ينتج أي شيء من الفكر، فهو ليس بعلم بل تكنولوجيا فقط. والتكنولوجيا هي أدنى مرتبة من العلم. إنها لا تنتج عن التبصّر بل هي توظيف لما ينتج عن التبصّر. وهي تنتج عن الفكر لأن الفكر بحد ذاته هو أداة تكنولوجية - أداة تكنولوجية بيولوجية. وجميع الآلات تنتج عن الفكر، لأن الفكر بحد ذاته هو آلة. ولكن لا يَنتجُ أبدًا أي تبصّر عن الفكر، لأنه لا وجود حتى لكومبيوتر يمكنه أن يقدم لنا

أفكارًا تبصّرية. التبصّر يأتي من البعيد. إن الفكر هو الطبقة الخارجية من الكائن؛ والتبصر يأتي من مركز الكائن، والتأمل يأخذك إلى المركز.
وهكذا عندما أقول إن الفكر هو الفسحة المغلوطة، أعني أنها لا تتماهى مع الفكر. لا تصبح فكرك فحسب - أنت أكثر بكثير من الفكر. الفكر هو فقط آلة صغيرة في داخلك؛ استخدمها، ولكن لا تتماهى معها. كما أنك تقود سيارتك - إنها آلة، وأنت تستخدمها، ولا تصبح السيارة. الفكر هو آلة في داخلك، ولكن لا تتماهى معه، فأنت لست بحاجة لذلك. وهذا التماهي يخلق الفسحة المغلوطة. وعندما تبدأ بالتفكير: «أنا الفكر»، تصبح في الفسحة المغلوطة. إذا قلت: «أنا لست الفكر، ولكنني سيد الفكر، أنا أستطيع أن أستخدم الفكر»، عندها يصبح الفكر آلة جيدة ولها قيمة عالية. يمكنه أن يخلق التكنولوجيا.
ولكن هذه الومضة، هذا التبصّر الذي اختبره أحد الحكماء تحت الشجرة... عندما أصبح ولأول مرة، واعيًا كل الوعي أنه لم يكن شيئًا منبثقًا من الفكر. لقد كان شيئًا آتيًا من البعيد، ليس له علاقة بجسد الإنسان أو فكره. إنه شيء نقي، طاهر، جزء من الأبدية. بالطبع لقد بقي صامتًا بعد ذلك لمدة سبعة أيام. لقد كانت الصدمة قوية لدرجة أنه لم يتمكن من أن ينطق بكلمة واحدة. وتقول الرواية أن الآلهة في السماء أصبحت منزعجة بسبب ذلك لأنه من النادر أن يصبح أي إنسان أحد الحكماء، وإذا بقي أحد الحكماء صامتًا، فمن سيعلّم ملايين الناس العميان الذين يتلمسون طريقهم في الظلمة؟ هذه الرواية ما هي إلا خرافة، ولكنها رواية جميلة تحمل معاني هامة.
وعندما بدأ أحد الحكماء بالكلام، كان كلامه صادرًا من الفكر، كان جزءًا من الفكر. والظاهرة بحد ذاتها حصلت بصمت، ولكن بعد ذلك كان بحاجة لاستخدام الكلمات. وتلك الكلمات تخص الفكر.
ما أعرفه يتعدى الفكر، ما أقوله لكم، أقوله من خلال الفكر. إن كلماتي هي جزء من الفكر، ولكن العرفان ليس جزءًا من الفكر.

ابحث عن الدليل الداخلي

تملك دليلاً في الداخل، ولكنك لا تستخدمه. لم تستخدمه لأزمان طويلة، لدرجة أنك لا تدرك وجوده في داخلك.
كنت أقرأ كتاب كاستانييدا Castaneda. لقد طلب منه معلمه دون خوان Don Juan، أن يجري اختبارا معيّنًا، من أقدم الاختبارات. في ليلة مظلمة، وعلى طريق جبلية وعرة وخطرة، ومن دون استخدام أية وسيلة إنارة، قال المعلم لكاستانييدا: «أنت تؤمن بالدليل الداخلي فباشر الركض». كان الوضع خطرًا، طريق جبلية لا يعرفها، مليئة بالأشجار، ويحيط بها هاوية من كل جانب. حتى خلال النهار، كان عليه أن يكون شديد اليقظة ليسلك هذه الطريق، وفي الليل كانت تسود الظلمة. لم يكن بإمكانه رؤية أي شيء وكان معلمه يقول: «لا تمشِ، أركض!».
لم يصدق كاستانييدا أذنه! كان أمرًا انتحاريًا. لقد تملكه الخوف - ولكن المعلم ركض. لقد ركض كحيوان وحشي وعاد أدراجه راكضًا. لم يفهم كاستانييدا كيف تمكن المعلم من القيام بذلك. لم

يركض المعلم في الظلمة فقط، بل كان في كل مرة يركض، يتوجه نحو كاستانييدا، وكأنه يراه. تدريجيًا، استعاد كاستانييدا شجاعته وقال لنفسه: «إذا كان بإمكان هذا الرجل المسنّ أن يفعل ذلك، فأنا أيضًا أستطيع ذلك». بدأ المحاولة، وتدريجيًا شعر بضوء داخلي يخترقه وبدأ بالركض. أنت موجود فقط عندما تتوقف عن التفكير. وعندها فقط ينبعث الشعاع الداخلي. عندما لا تفكر تسير الأمور على ما يرام وكأن دليلاً داخليًا يُسيّر خطاك. لقد أرشدك الفكر إلى الطريق الخاطئ. وأكثر ما يتجلى هذا الخطأ في المقولة التالية: لا يمكنك أن تؤمن بالإشعاع الداخلي.

أولاً، عليك أن تُقنع فكرك. حتى ولو كان دليلك الداخلي يقول لك: «باشر العمل»، يجب أن تقنع فكرك، وهذا يسبّب ضياع كثير من الفرص. لأن هناك لحظات معينة... إما أن تستخدمها أو تضيعها. والتفكير يأخذ كثيرًا من الوقت، وبينما أنت تفكر وتدرس الوضعية، تضيع الفرصة. على أن الحياة لا تنتظرك، ويجب أن تحياها على الفور. يجب أن تكون محاربًا كما يقول أتباع الزن، لأنه عندما تحارب بسيفك في ساحة المعركة، لا يمكنك التفكير، بل يجب إن تتصرف من دون تفكير.

استخدم المعلمون من أتباع الزن السيف كأداة للتأمل. ويقولون في اليابان إنه إذا دخل معلّمان من أتباع الزن، شخصان يعتمدان التأمل، في قتال بالسيف، فلن يكون هناك خاتمة للقتال. لا يمكن لأي منهما أن يهزم الآخر، لأن الاثنين لا يفكران. والسيوف ليست بأياديهم، ولكنها بيديّ الدليل الداخلي، الدليل الذي لا يفكر، وقبل أن يبدأ الآخر الهجوم، يعلم بذلك الدليل الداخلي ويدافع. لا متسع من الوقت للتفكير بذلك. إن المقاتل الآخر يصوب سيفه إلى قلبك، في ومضة سريعة، قد يخترق السيف قلبك. لا وقت لديك للتفكير بأية خطة دفاعية. وعندما تلمع فكرة «اخترق القلب» في داخله، يجب أن تلمع في داخلك وفي نفس الوقت فكرة «دافع» من دون أية فجوة ـ وفي هذه الحالة فقط يمكنك أن تدافع.

وهكذا يعلمونك المبارزة بالسيف كأداة تأمّل ويقولون لك: «رافق دليلك الداخلي في كل لحظة، لا تفكّر. ضع مصيرك بين يديّ الدليل الداخلي». وهذا أمر صعب لأننا مدربون لاستخدام الفكر. إن المدارس، والكليات، والجامعات، وجميع الحضارات والثقافات، تدرّب الفكر. ولقد فقدنا الاتصال بالدليل الداخلي الذي يولد معنا ولكن لا نسمح له بالقيام بوظيفته. لقد أصبح في حالة شلل تقريبًا، ولكن بإمكاننا إحياؤه.

لا تفكر من خلال الرأس. في الواقع، لا تفكر على الإطلاق. تحرّك فقط. جرّب هذا في وضعية معيّنة. سيكون الأمر صعبًا، لأن العادة القديمة هي أن نبدأ بالتفكير. يجب أن تكون في حالة يقظة - أن لا تفكر، بل تشعر بما يأتي لفكرك من الداخل. قد يختلط عليك الأمر في كثير من المرات لأنك لا تدري ما إذا كان هذا الشعور ينبعث من الداخل أو يأتي من الفكر الخارجي. ولكن في وقت قريب ستتمكن من التفريق بين الاثنين.

عندما ينبعث شيء من الداخل، فإنه ينبعث من السرّة (وسط الجسم) صعودًا. ويمكنك أن تشعر بالتدفق، بالدفء، آتيًا من وسط الجسم وباتجاه القسم الأعلى. وعندما يعمل الفكر، فإنه يعمل على مستوى السطح الخارجي، في الرأس، ثم يتجه إلى الأسفل. وعندما يعمل دليلك الداخلي، تشعر بغليان في داخلك، يأتي من صميم أعماقك ويتجه نحو الفكر. يتلقاه الفكر ولكنه ليس الفكر. إنه يأتي من مستوى يتعدى الفكر - لذلك يخشاه الفكر. والفكر لا

يستطيع أن يثق به لأنه يأتي من خلف الفكر، لا يحمل أي أسباب أو براهين. إنه يغلي في الداخل فقط.
جرّب ذلك في بعض الوضعيات. على سبيل المثال، ضللت طريقك في الغابة. لا تفكر، أغلق عينيك فقط، اجلس، كن متأملاً ولا تفكر. لأن التفكير لا يجدي. ولكن التفكير أصبح عادة تلجأ إليها حتى عندما لا يكون هناك أي جدوى في ذلك. يمكن الفكر أن يتناول شيئًا معلومًا فقط. وأنت تائه في الغابة، لا تملك خريطة، ولا يوجد أي شخص يمكنك الاستعانة به. بماذا تفكر؟ ومع ذلك لا تزال تفكر. هذا التفكير هو الآن قلق فحسب وليس تفكيرًا. وكلما ازداد قلقك، قلّت فعالية الدليل الداخلي.
تخلّص من القلق. اجلس تحت شجرة وانتظر ودع أفكارك تختفي وتزول. انتظر فقط، لا تفكر. لا تخلق المشكلة، انتظر فقط. وعندما تشعر في لحظة معينة أن التفكير توقف، قف وباشر التحرك. دع جسمك يتحرك إلى أي مكان يختاره. كن شاهدًا فقط، لا تتدخل. يمكنك أن تجد طريقك الضائعة مجددًا بسهولة. والشرط الوحيد لذلك، هو أن لا تدع فكرك يتدخل.
لقد حصل ذلك مرات عديدة من دون أن نعرف ذلك. يقول العلماء العظام إنه عندما نتوصل إلى اكتشاف هام، فإنما نتوصل إليه عن طريق الدليل الداخلي وليس عن طريق الفكر.
عندما يصبح فكرك مرهقًا ولا يستطيع القيام بوظيفته، فهو ينسحب بكل بساطة. وفي لحظة الانسحاب هذه، يمكن للدليل الداخلي أن يعطينا تلميحات، وإشارات، ومفاتيح للحلول. إن الرجل الذي فاز بجائزة نوبل بسبب أعماله في مجال البنية الداخلية للخلية الإنسانية، رأى هذه البنية في حلمه. رأى البنية الداخلية بكاملها في حلمه، وعندما استيقظ في الصباح، قام برسمها. هو بنفسه لم يصدق ما حصل، فقد عمل جاهدًا لسنين طويلة ولم يتوصل إلى نتيجة، ولم يكن يتوقع أن تحصل الأمور بهذه الطريقة.
بالنسبة لمدام كوري، بعد أن علمت بعملية الدليل الداخلي، قررت تجربتها. عندما كان لديها مسألة تتطلب الحل، كانت تقول لنفسها: «لماذا القلق بشأنها، لماذا المحاولة؟ اذهبي إلى النوم فقط». نامت نومًا مريحًا، ولكن لم تتوصل إلى حل. فتملكتها الحيرة. حاولت ذلك عدة مرات ولكن لم تحصل على حل.
أولاً، يجب أن يكون الفكر في حالة إرهاق تامة؛ وعند ذلك فقط، يمكن للحل أن يولد في داخلك. يجب أن يكون الرأس في حالة إرهاق تامة؛ وإلا فإنه سيتابع القيام بوظيفته حتى في الأحلام.
ويقول العلماء الآن إن جميع الاكتشافات الهامة هي حدسية وليست فكرية. وهذا ما يُقصد بالدليل الداخلي.
تخلَّ عن الرأس وتوصّل إلى الدليل الداخلي. إنه هناك. تقول النصوص القديمة إن المعلم الخارجي يمكنه فقط المساعدة في إيجاد المعلم الداخلي. هذا كل ما بإمكانه القيام به. وعندما يساعدك المعلم الخارجي في إيجاد المعلم الداخلي، يمكنك الاستغناء عن وظائفه.
لا يمكنك الوصول إلى الحقيقة عبر معلّم خارجي؛ ولكن يمكنك أن تصل إلى المعلم الداخلي عبر معلم خارجي - ومن ثم يقودك هذا المعلم الداخلي إلى الحقيقة. إذا وجدتُ دليلي الداخلي، يمكنني أن أنظر إليك وأشعر بدليلك الداخلي. وإذا كنت حقًا دليلك، فإن وظيفتي هي أن أقودك

إلـى دليلـك الـداخلي. وعنـدما تصـبح متواصـلاً مـع دليلـك الداخلي، لن تعود بحاجة إليّ. يمكنك الآن التحرك بمفردك.
إذًا كل ما يستطيع المعلم الخارجي القيام به، هو أن ينقلك مـن مسـتوى القـدرات الفكريـة إلـى مسـتوى القـدرات الحدسـية، مـن فكـرك الجـدلي إلـى دليلـك الـداخلي. وهـذه الظـاهرة لا تقتصـر علـى الإنسـان فحسـب، بـل تشـمل الحيوانات، والطيور، والأشجار. إنها تمتلك دليلاً داخليًا، ولقد اكتشفت عدة ظاهرات حديثة تدل على وجوده.
هناك عدد من الحالات. وعلى سبيل المثال، فإن السمكة الأم تمـوت فـورًا بعـدما تبـيض. بعد ذلـك يعمـد الأب إلـى تلقيح البيضة ثم يموت. تبقى البيضة وحيدة من غير أم أو أب وتنضج. وتولد سمكة جديدة. هذه السمكة لا تعلم شيئًا عن الأم أو الأب؛ لا تعرف من أين أتيا. وبالرغم من أن هذه السمكة تعيش في منطقة معيّنة من البحر، فإنها تنتقل إلى المنطقة التي أتى منها الأب والأم لتضع بيضها. تعود إلى المصدر، تضع البيض هناك وتموت. إذًا لا يوجد أي اتصال بين صغار السمك وأهاليهم، ومع ذلك يعرف الصغار دائمًا إلى أين يجب أن يذهبوا - وهم لا يخطئون على الإطلاق. كما أنه لا يمكنك خداعهم، وقد جرت محاولات من هذا القبيل ولكنها لم تنجح. سيصلون إلى المصدر، فهناك دليل داخلي يوجههم.
لقـد أُجـريت تجـارب فـي روسيا علـى الجـرذان، والقطـط، وحيوانات صغيرة أخرى. فُصلت إحدى القطط عن صغارها، وأُخذ الصغار إلى أعماق البحر؛ ولم تعلم القطة الأم ماذا حصل لصغارها. ثم ربط العلماء جميع أنواع أدوات القياس إلى القطة؛ وهي أدوات يمكنها قياس الموجات الدماغية ونبضات القلب، وعمدوا إلى قتل أحد الصغار. على الفور شـعرت الأم بـذلك، بـدت عليـها مظـاهر القلـق والحـيرة وازدادت نبضـات قلبـها فـي اللحظـة التـي قُتل فيـها أحـد صغارها. كما أن أدوات القياس أشارت إلى أنها كانت تشعر بألم شديد. وبعد فترة محددة عاد كل شيء إلى طبيعته. ثم قُتل صـغير آخـر وحصـلت نفس التغيرات مجـددًا، ثـم حصـل الشـيء نفسـه مـع الصـغير الثـالث. وفـي كـل مـرّة، حصلت التغيرات في نفس الوقت تمامًا، دون أية فجوة زمنية. ما الذي كان يحصل؟
يقول العلماء إن الأم كانت تملك دليلاً داخليًا، مركز شعور داخلـي متصـل بصـغارها أينمـا كـانوا، يُمَكّنـها بطريقـة تخاطرية Telepathic أن تشعر بما يحصل لهم. والأمر الذي يثير الدهشة هو أن المرأة الأم لا تملك هذا الشعور. ويجب أن يكون الأمر على عكس ذلك: يجب أن يكون شعور المرأة الأم أكثر حساسية لأنها أكثر تطورًا. ولكن الواقع هو غير ذلك، لأن الفكر سيطر على الإنسان وتسبب بشلل المراكز الداخلية.
عنـدما تشـعر بـالحيرة فـي وضـعية معيّنـة ولا تـدري كـيف يمكنك الخروج منها، لا تفكّر؛ حاول أن تضع نفسك في حالة خالية من التفكير ودع دليلك الداخلي يوجّه سلوكك. في بادئ الأمر ستشعر بالخوف وعدم الاطمئنان. ولكن بعد وقـت قصـير، عنـدما تتوصـل كـل مـرة إلـى الخلاصـة الصـحيحة، عنـدما تصـل كـل مـرة إلـى البـاب الصـحيح، ستشعر بالشجاعة والثقة.
الحكمة تأتي من القلب وليس الفكر. تأتي من أعمق المراكز في داخلك، وليس من الرأس.
اقطـع رأسـك، كُن بـلا رأس - اتبـع دليلـك الـداخلي حـيث يقودك. حتى لو قادك إلى الخطر، اذهب إلى الخطر، لأن هذا الطريق سيكون طريقك. اتبع دليلك الداخلي، ثق به، وتحرك برفقته.

اجْعَلْ السعادة مقياسك

هل الإنسان الذي يعيش من خلال الحدس ينجح على الدوام؟ كلا، ولكنه دائم السعادة أكان النجاح حليفه أم لا. والشخص الذي لا يعيش من خلال الحدس هو دائم التعاسة، أكان النجاح حليفه أم لا. والنجاح ليس المقياس، لأن النجاح يعتمد على أمور كثيرة. ولكن السعادة هي المقياس لأنها تعتمد عليك فقط. قد لا تنجح لأن الآخرين منافسين أقوياء. حتى لو كنت تعمل من خلال الحدس، قد يعمل الآخرون بقدر أكبر من المكر، والذكاء، والتخطيط، والعنف، واللاأخلاقية. يعتمد النجاح إذًا على أمور كثيرة؛ إنه ظاهرة اجتماعية.

من بإمكانه القول إن عيسى عليه السلام لاقى النجاح؟ أن تصلب ليس بالنجاح، هو أقصى درجات الفشل. لقد صُلب عيسى عليه السلام وهو في الثالثة والثلاثين من العمر - هل يمكن أن ندعو ذلك نجاحًا؟ لم يكن واسع الشهرة، لقد عرفه فقط بعض القرويين غير المثقفين الذين كانوا تلامذته. لم يكن لديه أي مركز، أو مكانة، أو سلطة. أي نوع من النجاح هذا؟ ولكنه كان سعيدًا، كان في غاية السعادة، حتى أثناء صلبه. وأولئك الذين صلبوه سيبقون على قيد الحياة لسنوات عديدة، ولكنهم سيكونون تعساء. إذًا، من الذي صُلب حقًا؟. الذين صلبوا عيسى عليه السلام، أم عيسى عليه السلام. من الذي صلب؟ هذا هو السؤال الحقيقي. كان عيسى عليه السلام سعيدًا - كيف يمكنك أن تصلب السعادة؟ كان منتشيًا - كيف يمكنك أن تصلب النشوة؟ تستطيع إن تقتل الجسد ولكن لا تستطيع أن تقتل الروح. أولئك الذين صلبوه، بقوا على قيد الحياة، ولكن حياتهم لم تكن سوى حالة صلب بطيئة، طويلة، ومليئة بالشقاء.

أنا لا أريد القول إنك في حال اتبعت الدليل الداخلي لحدسك، ستلاقي دائمًا النجاح بالمعنى المتعارف عليه في العالم. ولكنك ستلاقي النجاح وفقًا لمقياس أحد الحكماء أو عيسى عليه السلام. وسيُقاس هذا النجاح بمدى سعادتك. ستكون سعيدًا مهما صادفت من مصاعب. ومهما قال عنك الناس، أقالوا أنك شخص فاشل، أم أنك نجم في قمة النجاح، فلن يغيروا مشاعرك؛ ستكون سعيدًا على أية حال. والسعادة هي مقياس النجاح بالنسبة لي. فإذا تمكنت من فهم هذه الحقيقة، أن السعادة هي مقياس النجاح، أقول إنك ستكون دائم السعادة. ولكن النجاح بالنسبة لك لا يعني السعادة. إنه يعني شيئًا آخر. قد يكون الشقاء. حتى ولو علمت أن النجاح سيسبّب لك الشقاء، ستسعى وراءه. نحن مستعدون لتحمل الشقاء إذا حققنا النجاح. إذًا ما هو النجاح بالنسبة لنا؟ النجاح هو إرضاء الغرور الذاتي وليس السعادة. كل ما تريده هو أن يقول الناس إنك حققت النجاح. قد تكون أضعت كل شيء - قد تكون أضعت روحك، أضعت كل البراءة التي تحقق السعادة، أضعت السلام والصمت اللذين يقربانك من الله، قد تكون أضعت كل ذلك وأصبحت مجنونًا - ولكن العالم سيقول إنك حققت النجاح.

بالنسبة للعالم، إن إرضاء الغرور الذاتي هو النجاح؛ ولكنني أرفض ذلك. بالنسبة لي، أن تكون سعيدًا هو النجاح - أكنت معروفًا من قِبل العالم أم لا.

إذًا تـذكّر هـذا التمـييز لأن هنـاك الكثير مـن النـاس الـذين يريـــدون أن يكـــونوا حدســـيين، أن يعثـروا علــى الـدليل الداخلي، لينجحوا في الحياة فقط. ومحاولة العثور على الدليل الداخلي ستكون مُحبِطة بالنسبة لأولئك الناس. من ناحيـة أولـى، لـن يتمكنـوا مـن العثـور عليـه. ومـن الناحيـة الثانية، حتى لو تمكنوا من العثور عليه، سيكونون تعساء. لأن ما يسعون إليه هو تقدير العالم، وإرضاء الغرور الذاتي - وليس السعادة.

كن واضحًا في تفكيرك - لا تَسْعَ وراء النجاح. فالنجاح هو أقصى درجات الفشل في العالم. إذًا لا تحاول النجاح، وإلا ستبوء بالفشل. فكّر بالسعادة. في كل لحظة، فكّر بأن تكون أكثـر سـعادة. عنـدها قـد يقـول العـالم بأجمعـه إنـك فاشـل، ولكنك لست بالفاشل، لقد حققت مبتغاك.

أحـد الحكمـاء كـان فاشــلاً فــي أعـين أصـدقائه، وعائلتـه، وزوجته، ووالده، ومدرسيه، والمجتمع. لقد أصبح متسوّلاً. أي نوعٍ من النجاح هذا؟ كان بإمكانه أن يصبح إمبراطورًا عظيمًا؛ كان يتحلى بالشخصية، والفكر، وكلّ المزايا اللازمة. كـان بإمكانـه أن يصـبح إمبـراطورًا عظيمـًا ولكنــه أصـبح متسوّلاً. كان فاشلاً بوضوح. ولكنني أقول لكم إنه لم يكن فاشلاً. لو أصبح إمبراطورًا، لأصبح فاشلاً، لأنه كان سيضيّع حياته الحقيقية. وما وصل إليه تحت شجرة البودي Bodhi كان هو الحقيقي، وما خسره كان غير الحقيقي.

مع الحقيقي ستتمكن من النجاح في الحياة الباطنية، ومع غير الحقيقي... لا أدري. إذا كنت تريد النجاح في العالم غير الحقيقي، اتبع طريق أولئك الذين يعملون في مجال الاحتيـــال، والمكـــر، والتنـــافس، والحسـد، والعنـف. اتبـع طريقهم، لأن الدليل الداخلي لا يناسبك. إذا كنت تطمح بالحصول على أشياء دنيوية، لا تُصغِ إلى دليلك الداخلي.

ولكن في النهاية ستشعر أنه بالرغم من أنك ربحت العالم بكامله، خسرت نفسك. يقول عيسى عليه السلام «ما نفع أن يخسر الإنسان نفسه ويربح العالم بأكمله؟» لمن ستعطي الشهادة بالنجاح - الإسكندر العظيم أم عيسى عليه السلام المصلوب؟

إذًا، إذا كـان اهتمـامك ينحصــر فـي الأمـور الـدنيوية، فـإن الدليل الداخلي لا يناسبك. وإذا كنت مهتمًا بأبعاد الكائن الباطنية، فالدليل الداخلي، وحده، يمكنه تقديم المساعدة.

اتجه نحو الشعر

هناك كثير من الأشياء التي لا يمكن التعبير عنها باللغات الغربية، لأن التوجه الشرقي لفهم الحقيقة مختلف كليًا من الناحية الضمنية والجوهرية. قد يحصل بعض الأحيان أن ننظر إلى شيء معيّن بكلا الطريقتين، الشرقية والغربية، ونرى أن الخلاصتين متشابهتان ظاهريًا، ولكن في الواقع، لا يمكن أن تكونا متشابهتين. وإذا تعمقت بالمقارنة بعض الشيء، ستجد فروقات كبيرة - ليست فروقات اعتيادية، وإنما فروقات غير اعتيادية.

منذ أيام قليلة، كنت أقرأ قصيدة مشهورة لباشو Basho، أحد معلمي الزن المتصوفين، ولكن العقل الغربي لا يعتبرها شـعرًا عظيمـًا. وقـد أصـبحت غالبيـة العـالم مثقفـة علــى الطريقة الغربية.

أصغ إليها بصمت، قد لا تكون شعرًا رائعًا، ولكنها تبصّر رائع - وهذا أهم بكثير. فيها مقدار هائل من الشاعرية، ولكن لكي تتحسّس تلك الشاعرية، يجب أن تكون مرهف الإحساس. ولا يمكن فهمها من خلال الفكر، بل من خلال الحدس فقط.
وهذه هي القصيدة:

عندما أنظر بتمعّن،
أرى زهرة النازونيا تزهر
قرب السياج!

الآن، قد يبدو أنه ليس فيها كثير من الشاعرية. لكن لنتمعن بها بطريقة أكثر تعاطفًا، لأن قصيدة باشو تُرجمت إلى الإنجليزية؛ أما في لغته الأم فتأخذ هذه الأبيات طابعًا مختلفًا من حيث النكهة والنسيج.
النازونيا Nazunia هي زهرة عادية - تنبت في الطبيعة على حافة الطرقات وبين الأعشاب. وهي زهرة عادية لدرجة أن لا أحد ينظر إليها. فهي ليست وردة ثمينة أو زهرة لوتس نادرة. ومن السهل أن نرى جمال زهرة اللوتس النادرة وهي تطفو فوق مياه البحيرة - زهرة لوتس زرقاء، كيف يمكنك أن لا تراها. سيسحرك جمالها لبرهة وجيزة. إنها وردة جميلة ترقص في الريح، في الشمس... سيتملكك جمالها لبرهة وجيزة. ولكن النازونيا زهرة عادية تنبت في كل الأماكن. لا تحتاج إلى رعاية، وتنبت في الطبيعة، في أي مكان. ولكي نتمكّن من رؤية النازونيا بتمعن، نحن بحاجة إلى التأمل، إلى وعي مرهف؛ وإلا سنمرّ بها من دون أن نراها جمالها عميق، ليس فيها أي جمال ظاهر، جمالها عادي، ولكن العادي يحتوي غير العادي. إذا لم تنظر إلى هذا الجمال بقلب متعاطف، فلن تراه.
عندما تقرأ قصيدة باشو لأول مرة، تبدأ بالتفكير: «ما هي الأشياء الهامة التي يمكن أن نقولها عن زهرة نازونيا تزهر على حافة السياج؟».
في قصيدة باشو المقطع اللفظي - كانا kana في اللغة اليابانية - تُرجِمَ بواسطة علامة تعجب لعدم إمكانية ترجمته بطريقة أخرى. ولكن kana تعني «أنا مندهش!».
والآن، من أين يأتي الجمال؟ هل يأتي من زهرة النازونيا؟ - لأن هناك آلاف الناس الذين يمرّون بالسياج ولا ينظرون إلى هذه الزهرة. ولكنها تملكت باشو بجمالها ونقلته إلى عالم آخر. ماذا حصل؟
الجمال ليس في زهرة النازونيا، وإلا لكانت اجتذبت أنظار الجميع. الجمال هو في تبصّر باشو، في قلبه المنفتح، ورؤيته المتعاطفة، وتأمله. التأمل هو خيمياء alchemy (الكيمياء القديمة): يمكنها أن تحول أي معدن إلى ذهب، يمكنها أن تحوّل زهرة النازونيا إلى زهرة لوتس.
يقول باشو: عندما أنظر بتمعّن....
والكلمة «بتمعّن» تعني بانتباه، بوعي، بتركيز، بتأمل، بحب، باهتمام. يمكن للإنسان أن ينظر من غير اهتمام على الإطلاق، عندها تكون الرؤية سطحية وضيّقة. ويجب أن نتذكر أن كلمة «بتمعن» تعني بجذورها «بتأمل». وما معنى أن نرى شيئًا بتأمل؟ يعني أن ننظر من دون فكر، من دون أن تغطي غيوم الفكر سماء وعيك، من دون ذكريات عابرة، ومن دون رغبات... من دون أي شيء على الإطلاق، فراغ مطلق.

عندما تنظر وأنت في حالة الفراغ الفكري هذه، تنتقل زهرة النازونيا إلى عالم آخر. تصبح زهرة لوتس في الجنة، لم تعد جزءًا من الأرض؛ لقد وجدنا غير الاعتيادي في الاعتيادي. هذه هي طريقة أحد الحكماء. أن نجد غير الاعتيادي في الاعتيادي. أن نجد الكل في اللحظة الآنيّة، أن نجد الكل في ما يسمّيه أحد الحكماء «التاساتا» Tathata.
إن قصيدة باشو هي قصيدة تاساتا. وزهرة النازونيا هذه، إذا نظرنا إليها بمحبة - بعطف قلبي، بوعي غير مشوش، بحالة فراغ فكري - سنشعر بالدهشة والروعة. سينبعث سحر رائع: كيف أمكن ذلك؟ إذا كان ذلك ممكنًا مع زهرة النازونيا، فإنه ممكن مع أي شيء. إذا كان بإمكان النازونيا أن تكون جميلة، فإن بإمكان باشو أن يكون أحد الحكماء. إذا كان بإمكان النازونيا أن توحي بالشعر، فبإمكان أي صخر أن يلقي المواعظ.
Kana - أنا مندهش! أنا عاجز عن النطق؛ لا يمكنني وصف جمالها - بإمكاني أن ألمّح إلى ذلك. القصيدة تلمّح فقط، إنها تدلّ - وبطريقة غير مباشرة.
يمكن أن نجد وضعية مشابهة في قصائد تانيسون Tennyson المشهورة؛ ومقارنة الاثنين ستوضح الصورة. باشو يمثل التأمل والحدس، وتانيسون يمثل الفكر. باشو يمثل الشرق، وتانيسون يمثل الغرب. هناك تشابه بين الاثنين، وقصائد تانيسون تبدو أكثر شاعرية من قصائد باشو لأنها مباشرة، واضحة.

زهرة في الحائط المتشقق،
أقتلعكِ من شقوق الحائط؛
أمسك بكِ هنا بيدي، مع جذورك،
أيتها الزهرة الصغيرة - لكن لو استطعت أن أفهم
ما أنت، بجذورك، بكلّيتك،
لاستطعت أن أعرف ما هو الله والإنسان.

قطعة شعر جميلة، ولكن ليس عندما نقارنها بشعر باشو. لنر الآن أين يختلف الاثنان.
أولاً: زهرة في الحائط المتشقق، أقتلعك من شقوق الحائط...
باشو ينظر إلى الزهرة فحسب، لا يقتلعها. إن وعي باشو فيه استسلام، أما وعي تانيسون ففيه حركة وعنف. في الواقع، إذا كنت شديد الإعجاب بالزهرة، لا يمكنك أن تقتلعها. إذا تملكت الزهرة قلبك، كيف يمكنك أن تقتلعها. أن تقتلعها يعني أن تدمّرها، أن تقتلها - إنها جريمة قتل! لم يفكر أحد بشعر تانيسون على أنه جريمة قتل - ولكنه جريمة قتل. كيف يمكنك أن تدمّر شيئًا بهذا الجمال؟
ولكن هكذا يعمل فكرنا؛ إنه مدمر. يريد أن يمتلك، والتملك لا يتحقق إلا عبر التدمير.
تذكّر، عندما تتملّك شيئًا أو شخصًا، فأنت تدمّرهما. إذا تملّكت المرأة، فأنت تدمرها، تدمّر جمالها وروحها. إذا تملكت الرجل، تفقده قيمته ككائن؛ تختزله إلى غرض، إلى سلعة.
باشو ينظر «بتمعّن» - ينظر فقط، لا يحدق بتركيز. ينظر فقط، نظرة رقيقة أنثوية، وكأنه يخشى أن يؤذي النازونيا بنظرته.
تانيسون يقتلعها من الشقوق ويقول:
أمسك بك هنا بيدي، مع جذورك، أيتها الزهرة الصغيرة...

يبقى منفصلاً. المشاهِد والمشاهَد لا يلتقيان، لا يتحدان، لا ينصهران. إنها ليست قصة حب. إن تانيسون يهاجم الزهرة، يقتلعها من جذورها، ويمسكها بيده.
إن الفكر يشعر دائمًا بالراحة عندما يتمكن من التملك، والتحكم، والسيطرة. وحالة الوعي التأملية لا تهتم بالتملّك والسيطرة، لأنها من طرق الفكر العنيف.
وتانيسون يقول: «أيتها الزهرة الصغيرة» - الزهرة تبقى صغيرة، بينما يبقى هو في مكان مرتفع. إنه رجل، مفكر وشاعر كبير. الوردة تبقى صغيرة أمام غروره الذاتي.
بالنسبة لباشو الموضوع ليس موضوع مقارنة. إنه لا يتكلم عن نفسه، وكأنه غير موجود. والمشاهد غير موجود. والجمال يخلق حالة من الارتقاء. زهرة النازونيا هناك، تزهر قرب السياج - kana - لقد أصابت الدهشة باشو وهزّت كيانه. فالجمال يفوق الوصف. وبدل أن يتملك الزهرة، تملكته. لقد استسلم كليًا لجمال الزهرة، لجمال اللحظة الآنية.
أيتها الزهرة الصغيرة، يقول تانيسون، لكن لو استطعت أن أفهم...
ما هذا الهوس بالفهم! كأن التقدير والحب لا يكفيان؛ يجب أن نتوصل إلى الفهم، يجب أن ننتج المعرفة. إذا لم يتوصل إلى المعرفة، لا يمكن لتانيسون أن يشعر بالراحة. وبالنسبة لتانيسون أصبحت الزهرة علامة استفهام، بالنسبة لباشو هي علامة تعجب.
وهناك فرق كبير بين العلامتين.
باشو يكفيه الحب. والفهم يعني الحب. وهل هناك فهم يفوق ذلك؟ ولكن يبدو أن تانيسون لا يعرف شيئًا عن الحب. فكره يتوق للمعرفة.
ولكن لو استطعت أن أفهم ما أنت، بجذورك، بكلّيتك...
والفكر لا يستطيع إلا أن يكون مثاليًا. لا يمكنه السماح لأي شيء بأن يبقى في عالم المجهول ولأسرار. يجب أن يفهم الزهرة بجوهرها، بكلّيتها. إذا لم يتمكن الفكر من معرفة كل شيء، يصاب بالخوف - لأن المعرفة تمده بالقوة. وإذا كان هناك من أسرار، يبقى الفكر في حالة خوف، لأنه لا يستطيع التحكم بالأسرار. ومن يدري ما تخبئ الأسرار؟ ربما العدو، ربما الخطر؟ ومن يدري ما قد تفعله بك؟ قبل أن تفعل أي شيء، يجب أن نفهمها، نتعرف إليها. يجب أن لا نترك أي شيء في حالة غموض.
ولكن بعد ذلك يختفي الشعر، يختفي الحب، يختفي السحر، وتختفي الأسرار. تختفي الروح، تختفي الأغنية، وتختفي الاحتفالات. عندما يُعرف كل شيء، تفقد جميع الأشياء قيمتها. عندما يُعرف كل شيء، تفقد الحياة معناها.
انظر التناقض، يقول العقل: «اعرف كل شيء». - وعندما تعرف كل شيء، يقول العقل، «لم يعد للحياة معنى».
لقد دمّر الفكر المعنى، والآن يتوق إلى المعنى. الفكر يدمّر المعنى. وبما أنه يصر على معرفة كل شيء، لا يتقبل وجود الفئة الثالثة، فئة الأشياء التي لا يمكن إدراكها - التي تبقى غير قابلة للإدراك إلى الأبد. وفي هذه الفئة الثالثة يوجد معنى الحياة.
جميع القيم العظيمة - الجمال، الحب، الله، الصلاة، - كل ما له معنى، كل ما يعطي قيمة للحياة، هو جزء من هذه الفئة الثالثة: فئة الأشياء التي لا يمكن إدراكها. والأشياء التي لا يمكن إدراكها هي اسم آخر لله، اسم آخر للأسرار والمعجزات. من دونها، لا يمكن أن يوجد سحر في قلبك. ومن دون السحر لا وجود للقلب. عند ذلك تصبح عيناك مليئتين بالغبار، ولا

تتمكن من الرؤية بوضوح. عندها لن يؤثـر فيـك غنـاء الطـيور ولـن يـهز جوارحـك، لأن قلبـك لا يتحرك - لأنك قادر على تفسير الظاهرة.
الأشجار خضراء ولكن خضرتها لا تحوّلك إلى راقص أو مغنٍّ. لا تطلق فيك موهبة الشعر لأنك قادر على تفسير الظاهرة: الكلوروفيل هو الذي يكسب الأشجار خضرتها. ولا يتبقى شيء من الشاعرية. عندما يوجد التفسير، تختفي الشاعرية.
إذا لم يكن لديك ثقة بالأشياء غير القابلة للإدراك، كيف يمكنك القول إن الوردة جميلة؟ أين الجمال؟ إنه لا يكمن فـي مكوّنـات الـوردة الكيميائيـة. يمكنـك أن تحلـل الـوردة ولكنك لن تجد فيها أي جمال. إذا كنت لا تؤمن بالأشياء غير القابلة للإدراك، يمكنك أن تشرّح رجلاً بعد وفاته - لن تجد أي روح بداخله. ويمكنك أن تستمر في بحثك عن الله، ولكنك لن تجده في أي مكان، لأنه في كل مكان. سيفتقده الفكـر، لأن الفكـر يُفـضّل أن يكـون اللـه شـيئًا، واللـه لـيس بشيء.
الله هو ذبذبة. إذا كنت في حالة تناغم مع صوت الوجود غـير المسـموع، إذا كنـت فـي حالـة تنـاغم مـع يـد واحـدة تصفّق، إذا كنت متناغمًا مع ما يسمّيه الصوفيون الهنود أناهات anahat - موسيقى الوجود المطلقة - إذا كنت في حالة تناغم مع الأسرار، ستعرف أن الله وحده موجود، ولا وجود لسواه. الله إذًا هو الوجود.
ولكـــن تلـــك الأشـــياء لا يمكـــن فـــهمها، لا يمكـــن اختزالـــها بالمعرفة. وهنا يضيع تانيسون المغزى بكامله. يقول:
أيتها الزهرة الصغيرة، ولكن لو كنت أستطيع أن أعرف ما أنـت، بجـذورك، بكليتـك، لاسـتطعت أن أعـرف مـا هـو اللـه والإنسان.
ولكن كل ذلك هو في مجال «لكن» و «لو».
باشو يعرف ما هو الله وما هو الإنسان في علامة التعجب تلك - kana «أنا مندهش، أنا متفاجئ...زهرة النازونيا تزهر قرب السياج!».
قد يكون ذلك قد حصل في ليلة مقمرة، أو في الصباح الباكر - يمكنني أن أرى باشو واقفًا إلى جانب الطريق، لا يتحرك، وكأنه توقف عن التنفس. زهرة نازونيا... وفي غاية الجمال. لقد ذهب الماضي بأكمله واختفى المستقبل. لم يعد يوجد أية أسئلة في فكره، لا وجود لأي شيء سوى الدهشة. لقد أصبح باشو طفلاً. وعينا ذلك الطفل البريئتان تنظران إلى النازونيا بتمعّن وحب. وفي ذلك الحب هناك نـوع مختلـف مـن الفـهم - لا علاقـة لـه بـالفكر والتحليـل. تانيسون يُعقلن الظاهرة بكاملها ويدمّر جمالها.
تانيسون يمثل الغرب وباشو يمثل الشرق. تانيسون يمثل العقل الذكوري وباشو يمثل العقل الأنثوي. تانيسون يمثل الفكر وباشو يمثل اللافكر.

الخاتمة:
لا تحدّد الهدف

الفرق دقيق، ولكنه نفس الفرق بين العقل والقلب، بين المنطق والحب، وبصورة أكثر ملاءمة، بين النثر والشعر.
إن الهدف شيء محدد بوضوح؛ والوجهة حدسية. الهدف هو شيء خارجي، كأي شيء آخر. والوجهة هي شعور داخلي، وليس بشيء. هي خاصيّة ذاتية كلّيًا. يمكنك أن تشعر بالوجهة، ولا يمكنك أن تعرفها. يمكنك أن تعرف الهدف، ولا يمكنك أن تشعر به. الهدف هو المستقبل. وعندما تحدده، تبدأ بتنظيم حياتك لتحقيقه، وتبدأ مسيرتك للوصول إليه.
كيف يمكنك أن تقرر المستقبل؟ كيف يمكنك أن تقرر المجهول؟ كيف يمكن تحديد المستقبل؟ المستقبل غير المعروف حتى الآن. المستقبل مفتوح على كل الاحتمالات. وعندما تحدد هدفًا، لا يعود المستقبل مستقبلاً، لأنه لم يعد مفتوحًا. لقد اخترت الآن واحدًا من عدة خيارات وأقفلت الباب على الباقي. عندما كانت كل الخيارات مفتوحة، كان مستقبلاً، أما الآن فقد أصبح ماضيًا.
عندما تحدد الهدف، يصبح القرار من صنع الماضي. وخبرتك السابقة، معرفتك السابقة، هي التي تقرر. أنت تلغي المستقبل - ثم تعمد إلى إصلاح ماضيك بطريقة مناسبة ومريحة. تعمد إلى استخدام طلاء جديد وألوان جديدة، ولكن الماضي يبقى الماضي. هكذا نفقد طريق المستقبل: بتحديد هدف معيّن. نصبح في عداد الأموات، نبدأ بالعمل كآلة.
إن الوجهة هي شيء حي، هي اللحظة الآنية. لا تعرف شيئًا عن المستقبل، لا تعرف شيئًا عن الماضي، ولكنها تخفق وتنبض في هذه اللحظة الآنية. ومن خلال هذه اللحظة النابضة تولد اللحظة التالية؛ وليس بقرار من قِبلك - بما أنك تحيا وتحب هذه اللحظة بكلّيتك، تولد اللحظة التالية من خلال هذا الكل، وتولد معها الوجهة. أنت لم تعطِها أو تفرض عليها هذه الوجهة؛ إنها وجهة عفوية.
لا يمكنك تقرير الوجهة، يمكنك فقط أن تحيا هذه اللحظة المتيسرة لك. عندما تحيا هذه اللحظة، تنبعث الوجهة. وإذا كنت ترقص، ستكون اللحظة التالية رقصة أكثر عمقًا. وأنت لا تقرر هذه اللحظة، أنت تحياها فقط. ستكون اللحظة التالية طافحة بالرقص وكذلك اللحظات التي ستليها.
إن الهدف يحدده الفكر؛ والوجهة نكتسبها من خلال الحياة. والهدف منطقي: تريد أن تصبح طبيبًا، مهندسًا، عالمًا، أو رجل سياسة. تريد أن تصبح رجلاً غنيًا أو مشهورًا - هذه جميعها أهداف. ماذا عن الوجهة؟ - الإنسان يعيش اللحظة فحسب وهو على أتم الثقة أن الحياة ستقرر. يعيش الإنسان هذه اللحظة بكلّيتها ومن خلال هذه الكلّية يولد شيء جديد. من خلال هذه الكلية يبدأ الماضي بالتفكك ويبدأ شكل المستقبل بالتكوّن. ولكنك أنت لم تعطَ هذا الشكل، لقد اكتسبته.
كان أحد معلمي الزن، رينزاي Rinzai، على فراش الموت، عندما سأله أحدهم: «أيها المعلم، بعد وفاتك سيسأل الناس، ما هي أهم تعاليمك؟ لقد تكلمت عن أشياء كثيرة - سيصعب علينا أن نختصرها بعبارة صغيرة. نرجو منك أن تلخصها لنا قبل وفاتك بجملة واحدة، لتصبح هذه

الجملة كنزنا الروحي. وعندما يرغب الناس الذين لم يتعرفوا إليك بالإطلاع على تعاليمك، نعطيهم هذه الجملة».
فتح رينزاي عينيه وهو مشرف على الموت، وأطلق صرخة زن، زئير أسد! أصيب الجميع بصدمة! لم يصدقوا أن هذا الرجل المحتضر كان يملك هذا القدر من الطاقة. لم يتوقعوا ذلك. لقد كان هذا الرجل غير قابل للتنبؤ، ومع ذلك لم يتوقعوا منه في آخر لحظاته، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، أن يطلق صرخة تشبه زئير الأسد. وعندما أصيبوا بالصدمة ـ لقد فوجئوا وتوقف عقلهم عن التفكير - قال رينزاي: «هذه هي!» ثم أغلق عينيه وفارق الحياة.
هذه هي...
هذه اللحظة الصامتة، غير المثقلة بالفكر، هذا الصمت الذي كان يحيط بالمفاجأة، زئير الأسد عند الاحتضار - هذه هي اللحظة.
نعم، ينتج التوجّه عن هذه اللحظة التي نعيشها. إنه لا ينتج عن أشياء نديرها ونخطط لها. إنه يحصل، إنه مرهف، ولن تستطيع أن تكون على يقين بشأنه. يمكنك أن تشعر به فقط. لهذا أقول إنه يشبه الشعر وليس النثر؛ يشبه الحب وليس المنطق؛ يشبه الفن وليس العلم. وهذا سر جماله - متردد، كقطرة ندى على ورقة عشب، ينزلق، لا يعرف إلى أين، ولماذا.
التوجّه مرهف، ودقيق، وهش.
الهدف ينتمي إلى الغرور الذاتي، والتوجّه ينتمي إلى الحياة، إلى الكائن. ولكي نسلك طريق التوجه، نحتاج إلى كثير من الثقة، لأننا نسير في المجهول، نسير في الظلمة. ولكن الظلمة تحمل الإثارة في طياتها: من دون خريطة، من دون مرشد، نسير في المجهول. هناك اكتشاف في كل خطوة، والاكتشاف لا يقتصر على العالم الخارجي، بل يتضمن اكتشاف الذات في نفس الوقت. وكلما ازدادت معرفتنا بالعالم المجهول، ازدادت معرفتنا بأنفسنا. وكلما ازدادت مشاعر الحب في داخلنا، ازدادت معرفتنا بالحبيب.
لن أحدد لك أي هدف. يمكنني أن أعطيك توجهًا فقط - توجهًا يقظًا، ينبض بالحياة والمجهول، مفاجئًا، ولا يمكن التنبؤ به. لن أعطيك خريطة، يمكنني أن أعطيك حبًا جارفًا للاستكشاف.
نعم، أنت لست بحاجة إلى خريطة، أنت بحاجة فقط إلى حب جارف ورغبة جامحة بالاستكشاف. عندها يمكنني أن أدعك وشأنك. يمكنك أن تتابع الطريق بمفردك. تحرّك في الكون الفسيح اللامتناهي وتعلّم أن تثق به تدريجيًا. دع الحياة تتولى أمرك. إن الرجل الواثق، الرجل الذي يشعر بالإثارة حتى وهو يستقبل الموت - يستطيع أن يزأر كالأسد. حتى وهو يشارف على الموت - لأنه يعرف أن لا شيء يموت - وفي لحظته الأخيرة، يمكنه أن يقول: «هذه هي!» يجب أن نقول: «هذه هي» حيال كل لحظة. وقد تكون لحظة حياة، لحظة موت، لحظة نجاح، لحظة فشل، لحظة سعادة، لحظة شقاء. كل لحظة... «هذه هي!».

-- انتهى --